الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم التاريخ والآثار
رقم التسجيل:.....
الرقم التسلسلي:.....

عنـــــوان المذكرة:

سلسلة موانئ الشرق الجزائري القديمة
(دراسة تاريخية وصفية اعتمادا على المصادر المادية المحلية)

مذكـــرة مقدمة لنيل شـــهادة الماجستـــير في التاريـــــخ القديـــم.

إعداد الطالبة:
سهام حداد.

تحت إشراف:
أ.د.محمد الصغير غانم.

اعضاء المناقشة:

تاريخ المناقشة:.....

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
د.عبد العزيز بن لحرش	أستاذ محاضر	رئيسا	جامعة منتوري قسنطينة
أ.د.محمد الصغير غانم	أستاذ التعليم العالي	مشرفا مقررا	جامعة منتوري قسنطينة
د.محمد العربي عقون	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة منتوري قسنطينة
د.يوسف عيبش	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة منتوري قسنطينة

السنة الجامعية:1428-1429 ه/2008-2009 م

قـــال تعـالى:

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

﴿ ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴿31﴾ و إذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد، وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور﴿32﴾ ﴾.

صدق الله العظيم

سورة لقمان الآية: 31-32.

مـــقدمـــــة

يعد التاريخ الجزائري القديم للجزائر من بين المواضيع الهامة التي لم تحظ بالاهتمام المناسب في أوساط الباحثين والمؤرخين في جامعاتنا الجزائرية، مما ترتب عليه نقص المراجع التي يهتدى بها لدراسة أي موضوع من مواضيع هذه الفترة، ونجد بالمقابل جل الدراسات التاريخية تنصب على دراسة التاريخ الحديث والمعاصر، غير مراعين في ذلك أن التاريخ هو سلسلة الأحداث المتتابعة التي يبدأها الإنسان مرحلة بمرحلة انطلاقا من عصور ما قبل التاريخ إلى العصور اللاحقة وهو ما يعتبر نقصا في التوجيه لم تراعيه المدرسة الجزائرية الحديثة.

كانت هذه الأفكار وغيرها حافزا لي على أن اختار هذا الميدان الصعب، وأن أتسلح بالصبر والمثابرة بتشجيع من الأستاذ المشرف محمد الصغير غانم – أطال الله عمره– لأبحث في مثل هذه المواضيع، وقد وقع اختياري على دراسة سلسلة موانئ الشرق الجزائري القديمة (دراسة تاريخية وصفية اعتمادا على المصادر المادية المحلية).

فارتأيت اختيار هذا الموضوع رغبة مني في الكشف عن كيفية إنشاء الموانئ الجزائرية القديمة بصفة عامة وموانئ الشرق الجزائري بصفة خاصة، فالمعلومات التي وصلتنا عن طريق المؤرخين الإغريق واللاتين ينتابها نوع من الغموض والشك في كثير من الأحيان، ونظرا لما يكتسبه موضوع الموانئ الجزائرية من أهمية في تاريخ بلادنا، فإن رغبتي كانت منصبة على هذا الموضوع ، ذلك لأنه يمثل جانبا لا يستهان به في منظومتنا التاريخية.

من هذا المنطلق يمكننا طرح عدة تساؤلات نذكر منها:

– ما هي عوامل التوسع الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط ؟.

–ما هو دور مستوطنة قرطاجة في الحوض الغربي للبحر المتوسط ؟ وما علاقتها بموانئ الشرق الجزائري ؟.

–ما هي أهم موانئ الشرق الجزائري القديمة وكيف نشأت ؟ وما هي المصادر المادية الدالة على ذلك؟.

كانت هذه بعض التساؤلات التي آليت على نفسي الإجابة عليها في بحثي هذا وهي تمثل الإشكالية التي طرحتها.

واستنادا إلى ما تحصلت عليه من مادة خبرية فقد قسمت بحثي هذا إلى أربعة فصول إلى جانب مقدمة، ثم مدخل وخاتمة، مدعمة ذلك بصور وأشكال وخرائط توضيحية. هذا وقد حددت فترة الدراسة بما قبل التواجد الفينيقي أي بفجر التاريخ إلى غاية الفترة الرومانية.

بناءاً على ذلك، خصصت المدخل لدراسة البيئة الجغرافية و المناخية و التراتب التاريخي لسلسلة موانئ الشرق الجزائري.

أما الفصل الأول، فقد تطرقت فيه لعوامل التوسع الفينيقي وتأسيس المحطات الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وقد أفردت عنصرا لكيفية نشأة وتطور صناعة السفن التي كانت الوسيلة الوحيدة لتنقل الفينيقيين للوصول إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط.

وقد خصصت الفصل الثاني، لدراسة دور مستوطنة قرطاجة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، من نشأة المدينة الجديدة (قرط حدشت)، ثم التنظيم السياسي القرطاجي. وخصصت عنصرا لإعطاء فكرة عن نشأة الميناء التجاري والحربي والنشاط الإقتصادي القرطاجي، ثم البحث عن علاقة قرطاجة بموانئ الحوض الغربي للبحر المتوسط.

و كان الفصل الثالث على قدر كبير من الأهمية، حيث تعرضت فيه لدراسة أهم الموانئ التجارية القديمة الواقعة على السواحل الشرقية الجزائرية الحالية، مدعمة ذلك بصور وأشكال توضيحية، إلى جانب أني أفردت عنصرا لدراسة السكان المحليين.

أما الفصل الرابع، فقد كان وصفا لأهم المصادر المادية التي عثر عليها بسلسلة موانئ الشرق الجزائري القديمة.

أما الخاتمة، فكانت عبارة عن حوصلة لما جاء في فصول المذكرة الأربعة، بحيث بينت فيها النتائج التي توصلت إليها خلال إنجازي لهذا البحث.

و لإنجاز بحثي هذا، اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع، كان من أهمها مجموعة من المصادر العربية والأجنبية، إضافة إلى المراجع الحديثة سواء منها المقالات أو الكتب المختصة.

لقد لفت انتباهي ما لاحظته على المراجع التي أرفقتها في مذكرتي، ذلك أن مؤلفيها كانوا قد ركزوا على الجوانب التاريخية للموانئ الجزائرية بصفة عامة، دون أن يكون لهم اهتمام بدراسة تفاصيل كل ميناء على حدى بكل حيثياته، من حيث التمركز و الأهمية

التجارية (الداخلية و الخارجية) وأهملوا جوانب عديدة من هذا الموضوع، أما المصادر القديمة فرغم قلتها، فقد أفادتني في جمع عناصر البحث.

و هكذا، فإنني سأحاول باختصار عرض أهم المصادر و المراجع التي اعتمدت عليها و هي كما يلي:

1)- أهم المصادر التي كتبت باللغة العربية:

-عبد الرحمن ابن خلدون: أفادني كتاب هذا المؤلف " العبر وديوان المبتدأ والخبر..." المجلد الثاني بمعلومات حول أصل البربر،إضافة إلى معلومات حول التنقل والترحال والتنظيمات القبلية القائمة لدى الإنسان المغاربي القديم .

-حسن بن محمد الوزان الفاسي: استفدت من كتابه " وصف إفريقيا " عند دراستي لموانئ الشرق الجزائري، حيث قدم هذا المؤلف وصفا لجميع المدن التي تناولتها بالدراسة كبجاية والقل وجيجل...إلخ.

2)-أهم المصادر التي كتبت باللغة الأجنبية:

- كان من أهم المصادر الأجنبية المؤرخ بوليب(Polybe) الذي كان اعتمادي عليه خاصة فيما يخص العلاقات القرطاجية الرومانية و النوميدية.
- إضافة إلى المؤرخ هيرودوث(Hérodote) الذي تطرق للتنظيم القبلي في لوبة القديمة (شمال إفريقيا).
- إلى جانب ذلك استفدت من المؤرخ أرسطو(Aristote) في التنظيم السياسي والمؤسسات الدستورية في قرطاجة.

كانت هذه أهم المصادر العربية والأجنبية القديمة التي اعتمدت عليها في هذا البحث.

أما المراجع الحديثة فسأذكرها باختصار على التوالي:

-محمد الصغير غانم، اعتمدت على كتاب "معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر"، حيث استفدت منه في كل ما يتعلق بتاريخ الفينيقيين داخل وخارج بلادهم، إلى غاية تواجدهم بالجزائر.

- آسيا مسعودي، فقد ساعدتني رسالتها هي الأخرى في معرفة الكثير من الأمور التي تتعلق بالتجارة البحرية في بلاد المغرب القديم.

- كذلك استفدت من مذكرة لويزة آيت اعمارة، من حيث دراسة نشأة القوارب وتطور صناعة السفن و أنواعها التجارية و الحربية.

– أيضا استفدت من رسالة شارن شافية، لاسيما فيما يتعلق بالنشاط التجاري في نوميديا خلال العهد الإمبراطوري الأول.

و لا يفوتني هنا، إلى أن أخص بالذكر المؤرخ ستيفان قزال(Stéphane Gsell) صاحب مؤلفي الأطلس الأركيولوجي للجزائر(Atlas archéologique de l'Algérie)، وكذا كتاب التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية بأجزائه الثمانية(Histoire ancienne de l'Afrique du nord) وقد كانت استفادتي منه كبيرة خاصة عند دراسة المدخل وكل من الفصول الأول والثالث والرابع.

كانت هذه بعض المصادر والمراجع الهامة التي اعتمدت عليها خلال إنجازي لهذا البحث، وهناك مقالات و حوليات و كتب أخرى لا تقل أهمية عن التي ذكرتها آنفا.

ولإنجاز هذا البحث، أتبعت منهج المقارنة والوصف في الاستفادة من اللقى الأثرية والنقوش القديمة التي قمت بوصف نماذج منها، لأظهر مدى أهمية البقايا الأثرية المتواجدة بموانئ الشرق الجزائري.

وفقا لما أشرت إليه سابقا، فإن مشاكل البحث والصعوبات التي واجهتني تتلخص في عدة نقاط أهمها مايلي:

– نقص المصادر الكتابية والمادية الخاصة بتاريخ موانئ الشرق الجزائري فيما عدا الكتابات العامة.

– ضياع البقايا الأثرية الخاصة بكل ميناء، حيث أن هناك الكثير من تلك البقايا الأثرية لا تزال لم تحدد هويتها أو تجمع بعد في متحف يخصص لها.

– يلاحظ وجود فترة غموض تاريخي بين فجر التاريخ و الفترة التاريخية من حيث التحديد ونزول البحارة الفينيقيين إلى سواحل بلاد المغرب القديم.

أما عن المشاكل والصعوبات الشخصية التي اعترضتني خلال بحثي المتواضع هذا، فهي لم تزدن سوى تصميما على مواصلة البحث والحفاظ على موضوعيته.

وفي الأخير، أريد أن أتوجه بالحمد لله تعالى الذي أعانني لإكمال هذا البحث، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور محمد الصغير غانم، الذي لم يبخل علي بتقديم مساعدته الفكرية والمعنوية، والذي ساير فصول المذكرة منذ بدايتها حتى الخاتمة، وكان له الفضل الكبير في توجيهي وإرشادي نظرا لصعوبة البحث، ولولا رحابة صدره وتوجيهاته القيمة لما ظهر هذا البحث بالشكل الذي هو عليه الآن.

ولا يفوتني في نهاية هذا البحث، إلا أن أتوجه بالشكر والامتنان إلى كل الذين مدوا لي يد المساعدة من قريب أو بعيد، و أخص بالذكر أساتذتي في قسم التاريخ و الآثار بكلية العلوم الإنسانية بجامعة منتوري قسنطينة و كذا عمال المكتبات التي عملت بها في كل من الجزائر العاصمة و قسنطينة و عنابة و سكيكدة، و إلى كل الذين لم يبخلوا علي بتشجيعاتهم المعنوية، وأسأل الله أن يوفقنا إلى ما فيه صالح الأعمال، فهو نعم المولى ونعم النصير.

والله ولـــي التوفيــق.

المدخـــــــل:

البيئة الجغرافية والمناخية والتراتب التاريخي لسلسلة موانئ الشرق الجزائري.

أولا- البيئة الجغرافية والمناخية لسلسة موانئ الشرق الجزائري.

1 - ظاهرة الخلجان.

2 - ظاهرة الرؤوس البحرية.

3 - السهول الساحلية.

4 - السلاسل الجبلية التلية.

5 - المناخ.

6 - الأودية التي تصب في البحر.

7 - الغطاء النباتي.

ثانيا- التراتب التاريخي لسلسلة موانئ الشرق الجزائري.

1- نمط الحياة الاجتماعية للإنسان المغاربي القديم.

أ- حياة التنقل والترحال.

ب- حياة الاستقرار.

2- الكهوف الطبيعية والمغارات.

3- المدافن الحجرية البدائية.

4- امتداد مناطق الدولمن بسواحل الشرق الجزائري.

5- صناعة الفخار.

أ - فخار دولاب الخزاف البسيط.

ب- الفخار النموذجي.

أولا- البيئة الجغرافية والمناخية لسلسة موانئ الشرق الجزائري:

نظرا للأهمية البالغة التي لعبتها البيئة في حياة سكان سواحل البحر المتوسط بصفة عامة والساحل الجزائري على وجه التحديد، ارتأينا أنه من الضروري في بداية هذه الدراسة أن نقدم فكرة عن التكوين الجغرافي لهذا الساحل، وعن الظروف الطبيعية التي جعلت منه مركز جذب واستقبال لهجرات كثيرة وفدت عليه عن طريق البحر، وذلك منذ عهود موغلة في القدم [1].

لقد حظيت منطقة الساحل الجزائري بصفة خاصة في تاريخها القديم، بخصائص منفردة اعتمادا على السلسلة الجبلية التي تستند عليها، وذلك ما جعلها تحوز على مكانة هامة في سجل الحضارات القديمة. ولعل أوضح تلك الخصائص هي كثرة التنوع في تضاريسها[2]، فهناك مجموعة السهول الساحلية المتقطعة التي تسبب فيها امتدادات جبال الأطلس التلي التي تنزل عمودية في كثير من الأحيان على شواطئ البحر، إضافة إلى السهول الداخلية التي تتوافر في منطقة النجود وعلى ضفاف الأودية وبالقرب من الغابات...الخ[3].

وعليه، فإن تاريخ المنطقة الساحلية يتصل في عصور ما قبل التاريخ اتصالا وثيقا بالتطورات الجغرافية الجوية والأرضية ثم المائية[4]، التي حدثت في الزمن الجيولوجي الرابع[5].

وفي هذا الصدد، نشير إلى أن الباحثين الجيولوجيين كانوا قد عثروا على أدلة مختلفة، أثبتت حدوث تطورات جغرافية شملت منطقة سواحل شمال إفريقيا، تظهر نوعية الحياة الحيوانية والنباتية التي كانت متوافرة أثناء تلك الفترة[6].

---

(1) -Gsell (S.), Histoire ancienne de l'Afrique du nord, T. 1, éd. Hachette, Paris, 1970, p.30.

(2)- محمد الطاهر العدواني، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص.233.

(3)- رشيد الناضوري، تاريخ المغرب الكبير، العصور القديمة (أسسها التاريخية الحضارية، السياسية) ج.1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص.51.

(4) - المرجع نفسه، ص.51.

(5) - عصر البلايستوسين: هو أحد أزمنة العصر الجيولوجي الرابع، الذي غالبا ما كانت تكويناته فيضية حملتها مياه الأودية أو السيول ورسبتها حيث الأودية والسهول والمنخفضات، وفيه ظهر الإنسان الذي شاهد الكثير من المظاهر الطبيعية تتغير أمامه، وفيه أيضا أخذت البحار مكانتها التي نراها عليها الآن تقريبا. لمزيد من المعلومات أنظر: حليمي عبد القادر علي، جغرافية الجزائر (طبيعية- بشرية- اقتصادية)، ط.2، الجزائر، 1968، ص.18.

(6)- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص. 51.

بناءًا على ما سبق، فإن دراستنا ستتركز على الساحل الشرقي الجزائري باعتباره يمثل وحدة متكاملة.

وهكذا، يمكن تحديد امتداد الساحل الجزائري بصفة عامة من غرب الغزوات الحالية حتى شرق القالة، وهو ما يقدر طوله بحوالي 1200 كلم تقريبا[1].

وما يمكن قوله بناءًا على ما سبق ذكره، أن الساحل الجزائري هو عبارة عن شواطئ صخرية صلبة تمتد على شكل خط منعرج على طول الساحل متمشية مع الاتجاه العام لسلسة الأطلس التلي من الغرب إلى الشرق، ولا تسمح هذه الشواطئ الصخرية إلا بظهور عدد ليس بالكثير من الموانئ الطبيعية التي تحمى فيها السفن طبيعيا من تلاطم الأمواج البحرية بخلجان بحرية[2].

حتى نعرف الخصائص الطبيعية التي يشتمل عليها الساحل الجزائري، فإننا قمنا بتقسيم البحث إلى عدة وحدات طبيعية هي:

1- ظاهرة الخلجان:

تتخلل ظاهرة الخلجان معظم الساحل الجزائري، وكثيرا ما تشبه في مظهرها أنصاف دوائر مفتوحة نحو البحر، وذلك مثل خليج الجزائر العاصمة وبجاية وسكيكدة وعنابة، وكل هذه الخلجان معرضة للرياح الغربية والشمالية وتيارات البحر المتوسط القادم من جبل طارق، الذي يحمل في طياته رواسب يلقي بها على الحافات الغربية للخلجان[3]. ولذلك، نلاحظ أن الموانئ الجزائرية تقوم إما في وسط الخلجان أو على جوانبها الشرقية، وذلك لحمايتها من الرياح الغربية القوية التي تهب غالبا من الغرب متجهة نحو الشرق [4].

وما يمكن قوله، أن تلك الخلجان لا تتوغل إلا قليلا داخل اليابسة، فيما عدا خليج عنابة الذي يعتبر أكبر خلجان الجزائر[5].

2- ظاهرة الرؤوس البحرية:

إلى جانب الخلجان نجد ظاهرة الرؤوس الممتدة داخل البحر، والمنتشرة من الغــرب

---

(1) – محمد جدار، أطلس الوطن العربي، قصر الكتاب ،الجزائر، دون تاريخ، ص.35.

(2) – حليمي عبد القادر، المرجع السابق، ص.35.

(3) Lieussou (M.A.), Etudes sur les ports d'Algérie, éd. Paul Dubont, Paris, 1850, p.81.

(4) -Conteneau (G.), La civilisation phénicienne, éd. Payot, Paris, 1928, p.307.

(5) -Gsell (S.), Atlas archéologique de l'Algérie, T.Texte, éd. Spéciale des arts, Paris, 1911, F.9, note, 59.

إلى الشرق على طول الساحل الجزائري. وقد أشير إلى كلمة"رأس"[1] في كثير من موانئنا التي بنيت عليها فيما بعد مدن ساحلية.

ومن أهم الرؤوس الساحلية في الجزائر نجد: رأس ملوية عند الحدود الجزائرية المغربية، ورأس فالكون غرب المرسى الكبير، والرأس البحري إلى الشرق من مدينة الجزائر، وكافولو إلى الشرق من بجاية ورأس كاربون إلى الغرب منها[2]. أما خليج سكيكدة فينحصر بين رأسين أحدهما في الشرق وهو رأس الحديد (Cap de fer) والثاني في الغرب وهو رأس بوقرعون (Cap bougaroun) [3]. (أنظر الشكل رقم:1 (أ،ب) ص.5).

وباتجاهنا نحو الشرق نجد رأس الحارس بالقرب من عنابة، ورأس روزاركس بالقرب من الحدود الجزائرية التونسية[4].

وقد توفرت بتلك الرؤوس البحرية الممتدة من الغرب إلى الشرق منارات لإرشاد القوارب والسفن، إضافة إلى ذلك فإنها لم تكن موجودة في الزمن الجيولوجي الثالث[5] – حسب علماء الجيولوجيا – بل ترجع في تكوينها إلى الزمن الجيولوجي الرابع فقط. وما يلاحظ أن الكثير منها كان يمثل فوهات بركانية، ومثال ذلك رأس الحديد ورأس بوقرعون اللذان تظهر بهما التكوينات البركانية[6].

ومن جهة أخرى، تشير الأبحاث الجيولوجية الحديثة إلى وقوع انخفاض لمستوى البحر المتوسط خلال الزمن الجيولوجي الرابع، نتج عنه ظهور ما يسمى بالمدرجات البحرية والرؤوس الساحلية[7].

---

[1] - رأس: هي تسمية سامية الأصل، لأنها تساوي المصطلح الفينيقي "Rus" أو روش الذي يعني "رأس" وهو المصطلح الذي عرفت به كثير من مدن الساحل الجزائري من أهمها: روس غونية الذي يعني البرج البحري، وروسيكلري مرسى الحجاج، و روسوكورو، وهو ما يقابله دلس وروسيبيسير وهي تجزيرت وروسازو، والتي نقصد بها أزفون. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص.179.

[2] – حليمي عبد القادر، المرجع السابق، ص.43.

[3] -Gsell (S.), Atlas archéologique…, F. 01.

[4] -Lieussou (M.A.), op-cit., p.81.

[5] - الزمن الجيولوجي الثالث: هو الزمن الذي بدأت فيه الصورة الجيولوجية لشمال الجزائر، تأخذ شكلها الحالي، وأهم تكوينات هذا العصر تعود للنوملتيك، حيث تكوينات الباليوسين الجيرية السيليكية. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر، دون تاريخ، ص. 14.

[6] – حليمي عبد القادر، المرجع السابق، ص.43.

[7] – نفسه.

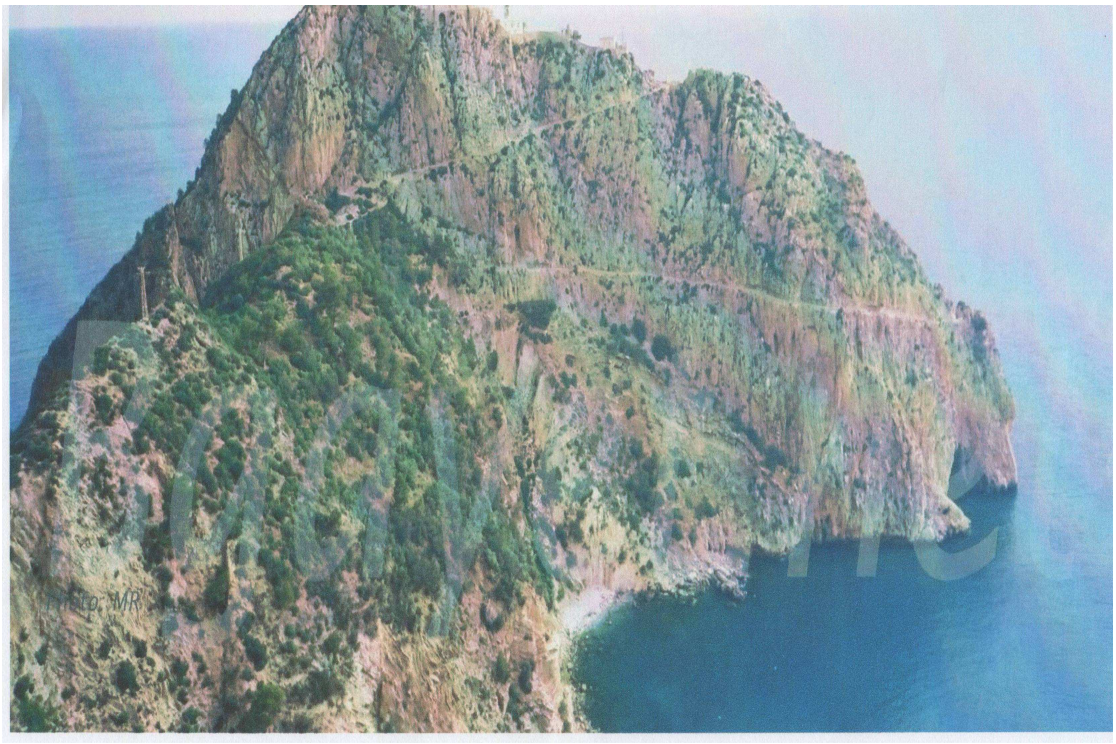

أ- منظر طبيعي لموقع رأس الحديد -الواجهة الشرقية- لبجاية.

ب- منظر طبيعي لموقع رأس الحديد -الواجهة الغربية لبجاية.

شكـــــــــل رقم:1 (أ،ب).

اعتمادا على منشورات مديرية الثقافة لولاية بجاية.

3-السهول الساحلية:

تبدو للناظر السهول الساحلية الجزائرية متقطعة محصورة بين الجبال من جهة والبحر من جهة أخرى، وترجع تكويناتها إلى الزمن الجيولوجي الرابع، رمت بها مياه السهول التي اغتصبها من المرتفعات المجاورة في أحواض منخفضة، وذلك عبر الأزمنة الجيولوجية التي تعاقبت على المنطقة الساحلية برمتها[1].

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن السهول الساحلية المشار إليها أنفا هي عبارة عن أجزاء من البحار الجيولوجية القديمة، وقد كانت قديما عبارة عن مناطق مقعرة والجبال القريبة منها مناطق محدبة[2].

وفي هذا الصدد، نشير إلى أن أشهر السهول الساحلية الجزائرية تتمثل في كل من سهل وهران، وسهل متيجة الذي يعتبر امتدادا طبيعيا للسهل الوهراني، وكل تلك السهول لا تفصل بينهما إلا مرتفعات جبلية ضيقة تمتد ما بين مليانة، والسهل المتيجي الذي لا يزيد عرضه عن 30 كلم وهو حديث التكوين، و قد كان يمثل في مطلع الزمن الجيولوجي الرابع التواءً مقعرا، و خليجا بحريا ملأته الرواسب الفيضية القادمة عن طريق السيول من المرتفعات المجاورة بالأطلس المتيجي[3].

إضافة إلى ما سبق، لدينا سهل عنابة الذي تحده شمالا جبال إيدوغ والبحر المتوسط، وغربا جبال نوميديا، وجنوبا جبال سوق أهراس، وشرقا جبال مجردة. وما قلناه عن سهلي متيجة ووهران يمكن أيضا أن يقال عن سهل عنابة، إذ يعتبر هذا الأخير حديث التكوين، تنتشر به البحيرات، ويجري به وادي سيبوس[4].

تلكم هي أهم السهول الساحلية المنخفضة المشهورة بالغلال والخضر والبساتين والكروم...الخ[5].

---

(1) - Sauter (M.R.), Préhistoire de la méditerranée, paléolithique, éd. Payot, Paris, 1948, p.101.

(2) – محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص.12.

(3)– محمد جدار، المرجع السابق، ص.35.

(4) -Gsell (S.), Atlas archéologique…, F.9, note 95.

(5) – محمد جدار، المرجع السابق، ص.37.

4- السلاسل الجبلية التلية:

تمثل السلاسل الجبلية كتلة إلتوائية حديثة التكوين، متوسطة الارتفاع، وهي ما يعرف عند الجغرافيين بالأطلس التلي، تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي[1]، بادئة من جبال تلمسان بالحدود الجزائرية المراكشية الحالية ومنتهية بجبال سوق أهراس بالحدود الجزائرية التونسية[2].

ويمكن تقسيم السلسلة الجبلية التلية إلى كتلتين جبليتين: كتلة جبلية غربية وأخرى شرقية، تفصل بينهما جبال مليانة و زكاز، يظهر هذا التقسيم على أساس النضج والتطور وكذلك الاتساع الجغرافي، ذلك أن كتلة الأطلس التلي الشرقي تعد أكثر اتساعا من كتلة الأطلس التلي الغربي، ثم قمم الكتل الجبلية الشرقية أخذت تتسطح مما يجعل الأودية بها تسير في شكل عرضاني[3]. إضافة إلى ذلك، فإن الأحواض الداخلية بالكتل الجبلية الشرقية منشرحة للغاية كما هو الحال في حوض قالمة[4].

كل هذه المظاهر الطبيعية السالفة الذكر، تعتبر دليلا واضحا على أن التطور التضاريسي كان أكثر تقدما في الجهات الشرقية منه في الجهات الغربية، التي ما تزال تظهر بها القمم الجبلية الحادة والأحواض المعلقة التي لم تكتمل بعد ولم تملأ بالرواسب[5].

و هنا، لابد أن نتساءل عن الأسباب التي تكمن وراء صعوبة وتداخل تضاريس الشرق الجزائري أكثر منها في غربها؟. هل يمكن أن نعيد ذلك إلى كمية الأمطار التي تنزل في الإقليم الشرقي أكثر منها في الإقليم الغربي؟. أم أن جبال الإقليم الشرقي أقدم في تكوينها وظهورها من جبال الإقليم الغربي[6] ؟.

مهما كانت الأسباب التي التجأ إليها الباحثون الجيولوجيون في تعليمهم لهذه الظاهرة الطبيعية، فإن الحركة التكتونية والمناخ السائد هما المسئولان عن ذلك مع مرور الزمن.

تشخيصا للموضوع أكثر، فإننا نشير إلى أن الكتل الجبلية الغربية للجزائر تبدأ بجبال

---

(1)– محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص.12.

(2) – نفسه.

(3) – حليمي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص.44.

(4) – محمد جدار، المرجع السابق، ص.35.

(5) - Bertrandy (F.), L'Algérie au temps des royaumes numides, V^e av. J-C,1^esiècle ap. J-C, musée des partementals des antiquités, éd. Somogy, Paris, 2003,p.16.

(6) - Sauter (M.R.), op-cit., p.102.

تلمسان الحالية، وهي الحد الفاصل بين جبال الريف بالمغرب الأقصى، وجبال الأطلس التلي بالجزائر[1]، التي لا يزيد ارتفاعها في غالب الأحيان عن 1824م والمتكونة في معظمها من صخور جيرية تعود إلى العصر الجوراسي[2].

وباتجاهنا نحو الشرق، تعترضنا جبال تاسالا التي يصل ارتفاعها في المتوسط 1061م، وهي التي تحد شمالا سهل بلعباس المرتفع، الذي تحده جنوبا جبال الضاية التي يبلغ ارتفاعها في المتوسط 1417م.

وإذا اتجاهنا شرقا بعد ذلك تعترض طريقنا أيضا جبال سعيدة التي يصل ارتفاعها في المتوسط 1288م وهي الحد الجنوبي لسهل معسكر المرتفع[3].

أما شرق تلك الجبال السالفة الذكر، فإننا نجد جبال فرندة التي يصل ارتفاعها في المتوسط 1132م العائدة في تكوينها الجيولوجي إلى العصر الجوراسي[4]. ثم إن معظم الكتل الجبلية المشار إليها تتكون في أغلبها من صخور جيرية، تعود إلى العصر الكريتاسي[5] كما تتميز بشدة التوائها[6].

وإذا اتجهنا إلى الجهة الشرقية من جبال زكار، فإننا نجد سلسلة الكتل الجبلية التي تبدأ من جبال البليـــدة أو الأطلس المتيجي الذي يبلغ ارتفاعه في المتوسط 1972م، وتتكون تلك

---

[1]– محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص.128.

[2] – العصر الجوراسي: قسمه العالم سافرنين إلى زمرتين وهما: زمرة الليلس، وتظهر تكويناتها علـــى طـــول الجبـــال الساحلية، وتمتد من وجدة حتى جبال القبائل، وهي تتكون من صخور جيرية في أغلب الأحيان. أما الزمرة الثانيـــة فهـــي أحدث من الأولى، فقد أطلق عليها اسم تكوينات الأوليتيك (نسبة إلى صخور بيضاوية الشكل) تحتوي على صخور جيريـــة وحصوية تظهر في منطقة سعيدة وجبال فرندة وتلمسان والبابور. لمزيد من المعلومات أنظر: حليمي عبد القـــادر علـــي، المرجع السابق، ص ص. 14-15.

[3] – نفسه، ص.40.

[4] – نفسه.

[5] – العصر الكريتاسي: ينقسم العصر الكريتاسي إلى أسفل وأوسط ثم أعلى، فالأسفل عبارة عن صخور رملية وحصوية بيضاء ممتدة من الحدود المراكشية إلى بوسعادة. ويظهر فوق ظهر السلسلة الجبلية الصحراوية. أما في الجهات الـــشمالية من الجزائر، فإن العصر الكريتاسي الأسفل تمثله الصخور الجيرية والطينية الجيرية التي تتكون منها أغلب جبال سلـــسلة الأطلس التلي، وبالخصوص جبال الظهرة والونشريس. ولقد كان يغطي الجزائر الشمالية في العصر الكريتاســـي الأوســـط بحر ضحل ترسبت فيه مفتتات قارية، ثم التحمت لتكون الصخور الرملية الطينية، والصخور الجيرية الطينية التـــي تمثـــل الهيكل الأساسي الذي بنيت عليه أرض الجزائر الشمالية. لمزيد من المعلومات أنظر: حليمي عبد القادر، المرجع الـــسابق، ص.15.

[6]– محمد جدار، المرجع السابق، ص.37.

الكتل الآنفة الذكر من صخور الشيست والمارن[1].

في اتجاه الشرق من جبال البليدة يرتفع جبل بوزقرة إلى 1000م تقريبا، وهو مكون من صخور جيرية تعود أغلبها إلى العصر الكريتاسي، ثم جبال جرجرة التي تبدو صخورها جيرية مشققة أو هضاب قديمة، تبلغ أعلى قمة بها 2328م، وهي قمة لالة خديجة[2].

إضافة إلى ما سبق، وباتجاهنا نحو الشرق نجد جبال البابور التي يبلغ ارتفاعها 2004م والمتكونة هي الأخرى من صخور جيرية، يعود أغلبها إلى العصر الكريتاسي، ثم نجد مرتفعات القل التي يصل ارتفاعها 1090م، وجبال إيدوغ التي تتجاوز 1068م، وتعود تركيباتها إلى ما قبل الزمن الجيولوجي الأول[3].

ويلاحظ أنه إلى الجنوب من سلسلة الأطلس التلي الشرقية، نجد كتلا جبلية أخرى تسير موازية للجبال السابقة الذكر من الغرب إلى الشرق[4]، والتي تتكون هي الأخرى من طبقة رسوبية سميكة من الشيست، تتخللها تكوينات حصوية أو طينية مارنية. ومن أهم مظاهرها نذكر على سبيل المثال جبال التيطري التي يبلغ ارتفاعها في المتوسط 1237م، وتتصل هذه الأخيرة بجبال البيبان التي تصل إلى 1417م، وتتكون من صخور جيرية مشققة تعود في أغلبها إلى العصر الكريتاسي[5].

5- المناخ:

لقد ترتب عن وجود الساحل الجزائري في المنطقة المعتدلة بين خطي عرض 18°-38° شمالا، وبين خطي طول 9°غربا و 12°شرقا، أن كان مناخه عموما معتدلا[6].

ومن جهة أخرى، فإن موقع الساحل الجزائري على الشاطئ الغربي للبحر المتوسط جعل مناخه يخضع للمناخ المتوسطي، الذي تكاد تنعدم فيه الفوارق الفصلية [7]، وتتقسم السنة

---

(1) – الشيست والمارن: تعد من بين أقدم الرواسب الطبيعية في شمال إفريقيا ككل، و بالتحديد في الجزائر، وهي عبارة عن صخور حصوية مستديرة وملتحمة، كانت قبل التحامها عبارة عن رواسب رملية أو حصوية منفصلة. كما نلاحظ وجود صخور متحولة عن الصخور النارية، تتضمنها كتلة مرتفعات بوزريعة وكذا الهضاب الوسطى لمنطقة القبائل، والمناطق الساحلية الممتدة ما بين جيجل وعنابة ومناطق أخرى على الساحل الجزائري، ولكنها قليلة. لمزيد من المعلومات أنظر: حليمي عبد القادر، المرجع السابق، ص.12.

(2) – محمد جدار، المرجع السابق، ص.37.

(3) – محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص.14.

(4) - Sauter (M.R.), op-cit., p.102.

(5) – حليمي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص ص. 41-42.

(6) – محمد جدار، المرجع السابق، ص.35.

(7) -Lieussou (M.), op-cit., p.81.

فيه إلى فصلين رئيسيين:

الأول ممطر دافئ وطويل وهو فصل الشتاء، أما الثاني فهو جاف حار وقصير وهو فصل الصيف، والمدى الحراري فيها ضئيل عموما[1].

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن المناخ المتوسطي بدوره ينقسم إلى: مناخ البحر المتوسط الرطب، الذي يغطي منطقة القبائل الصغرى من جرجرة إلى منطقة القل وهو أكثر رطوبة، حيث يزيد معدل المطر عن 1000ملم في كل من منطقة جرجرة والبابور، حوالي 2000ملم في منطقة القل، أين توجد منطقة الزيتونة التي تعد أكثر المناطق الجزائرية مطرا بنحو 2443ملم سنويا. ومناخ المتوسط شبه الرطب، وهو يغطي باقي مناطق الأطلس التلي بمعدل مطري يبلغ ما يقارب 700ملم سنويا[2].

وبصفة عامة، فإن مناخ الساحل الجزائري لم يلحقه أي تغيير، بل بقي على ما كان عليه دون أي تغيير يذكر[3]. (أنظر الشكل رقم: 2. ص.11).

6- <u>الأودية التي تصب في البحر</u>:

تنقسم الأودية الجزائرية حسب الأماكن التي تفرغ فيها شحنتها إلى أودية تصب في حوض البحر المتوسط، أودية تصب في أحواض مغلقة بمنطقة النجود، و أودية أخرى تصب في الصحراء.

أما تلك التي تصب في البحر المتوسط فهي الأودية الشمالية أو التلية، وأهمها من الغرب إلى الشرق[4] والتي نوردها فيما يلي:

- وادي الصومام: يسمى بوادي الساحل، وفي جهاته العليا يرفده وادي بوسلام الذي يلتقي به بالقرب من مدينة أقبو، وينبع وادي الساحل من جبال البيبان ويشتد انحداره من منبعه إلى مدينة البويرة حتى يبلغ مصبه في خليج بجاية، والسهل الذي يجرى فيه وادي الصومام ضيق للغاية، يبلغ طول الوادي 210 كلم[5].

- الوادي الكبير: ويسمى بوادي الريمال، وقديما كان يطلق عليه اسم وادي لمســـاغة، بحيث

---

(1) –محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص.12.

(2) –نفسه.

(3) - Gsell (S.), H.A.A.N., T.1, p.161.

(4) – حليمي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص.55.

(5) - نفسه، ص.56.

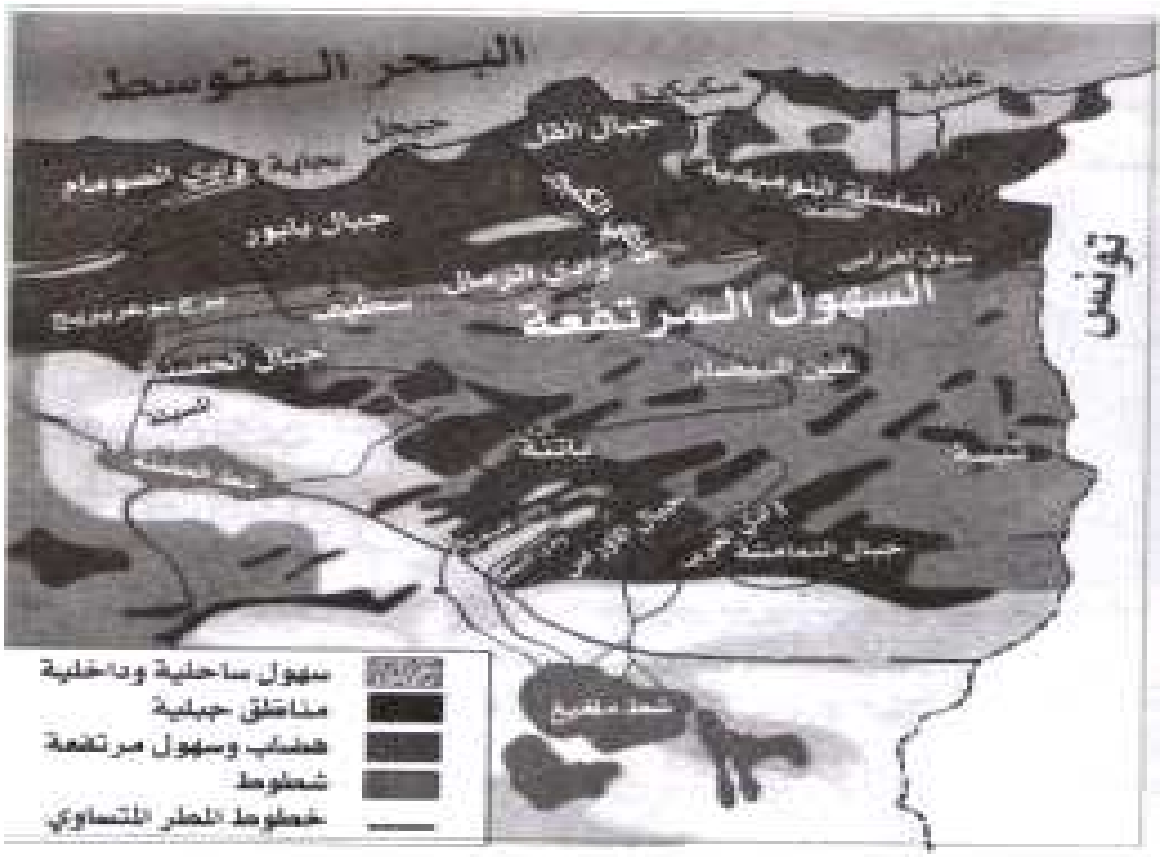

خريطة تمثل تضاريس الجزائر الشمالية الشرقية.

الشكل رقم: 2.

اعتمادا على: محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص. 19.

يبلغ طوله حوالي 250كلم، ويأخذ منابعه من جبال فرجيوة بالقرب مـــن جميلة، ويصـــرف نحو السفوح الجنوبية لجبال البابور، ثم يتجه من الغرب إلى الشرق إلى أن يصل إلى إقليم قسنطينة، ثم يحول اتجاهه من الجنوب إلى الشمال، فيخترق جبال نوميديا الجيرية حتى يصل إلى الغرب من جزيرة القل ب 45 كلم[1].

– وادي الصفصاف: يبلغ طوله 100كلم، يصب في خليج سكيكدة، بعد أن ينبع من منطقة سمندو[2].

– وادي سيبوس: ويمتد حتى الجبل الأزرق الواقع على ارتفاع 1195م بالقرب من عين البيضاء، ويسمى مجراه الأعلى بوادي الشرق، يرفده من جهاته اليمنى واليسرى عدة روافد من أهمها وادي زناتي الذي ينحدر من جبل أم سطاس بالقرب من عين عبيد الحالية، ويروي وادي السيبوس سهل عنابة طوله 232 كلم[3].

– وادي مجردة: وينحدر من جبال مجردة بالجزائر ليمر بالأرضي التونسية ويصب في خليج قرطاجة بتونس الحالية.

تلكم هي أهم أودية الشمال الجزائري، وهي كلها تصب في البحر المتوسط، وقد بنى على أغلبها السدود لخزن المياه وري السهول الفيضية التي تجري بها، وتأسست على الخلجان البحرية التي تصب فيها معظم موانئ ومدن الساحل الجزائري، منذ الفترة الفينيقية– البونية، وحتى يومنا هذا.

7– <u>الغطاء النباتي:</u>

يخضع الغطاء النباتي الذي يغطي سطح هذه البسيطة لشروط طبيعية معينة تتحكم في وجوده وكثافته ونوعيته، ومن أهم تلك الشروط: المطر والحرارة والتربة والموقع والتضاريس، لهذا نجد أن النباتات في الجزائر تختلف من مكان لآخر تبعا لاختلاف الظروف المناخية[4].

ومما سبق يمكن القول، أن إقليم البحر المتوسط يعد من أهم الأقاليم النباتية في الجزائر، ذلك لأنه يغطي الأرض المحصورة بين السفوح الجنوبية للأطلس التلي[5].

---

(1) -Lieussou (M.A.), op-cit., p.76.

(2) - Ledermann(E.), Phillippe ville et ses environs, éd. Syndicat d'initiative, Phillippe ville,1935,p. 8.

(3) -Ibid., p. 9.

(4)– رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.22.

(5)– حليمي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص.44.

ويعد ساحل البحر المتوسط من أوفر مناطق الجزائر نباتا وأغناها نوعا ، وذلك للخصائص الطبيعية التي تتميز بها.

وما يلاحظه الدارس أن الحياة النباتية في هذا العالم نشطة طوال أيام السنة ويتميز بتعدد أنواع الغابات والتي نجد من ضمنها:

غابات الصنوبر التي تمتد على مساحة 700 ألف هكتار، والبلوط 500 ألف هكتار، والفلين 440 ألف هكتار، والأرز 30 ألف هكتار.

ويجمع الدارسون على أن أطول وأضخم أشجار الأرز الجزائرية هي شبيهة بأشجار الأرز الضخمة المتواجدة في غابات جبال لبنان في شرق البحر المتوسط[1].

إضافة إلى ما سبق ذكره، نشير إلى أن أشجار الصنوبر والأشجار الممتدة مثل الزيتون والحمضيات بمختلف تشكيلاتها، تغطي هي الأخرى مساحة معتبرة في إقليم المتوسط، ويعد هذا الأخير أي إقليم المتوسط نطاق إنتاج الفواكه الأول في الجزائر[2].

تجدر الإشارة إلى أن الوضع الطبيعي للساحل الجزائري بصفة عامة قد أدى إلى أكثر من نتيجة؛ فقد كان له أثر في ازدهار عدة موانئ لاحت شهرتها في آفاق العالم القديم. إضافة إلى ذلك، فقد كان له أثره في توجيه نشاط السكان المحليين وجهة بحرية تجارية متفوقة في تلك العهود، وهذا ما ستأتي الإشارة إليه في الصفحات الآتية. (أنظر الشكل رقم3 ص.14).

ثانيا- التراتب التاريخي لسلسلة موانئ الشرق الجزائري:

على ضوء المعطيات العلمية التاريخية والأثرية ثم الجغرافية التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا، نستطيع القول أن منطقة الساحل الجزائري كسائر المناطق الساحلية الأخرى، وليدة امتزاج الجغرافيا والتاريخ معا.

وعليه، فإنه إذا بحثنا مثلا في الأسباب العامة التي تؤثر في تطور المجتمعات الإنسانية لوجدناها تتلخص فيما يلي: البيئة الطبيعية ذات التحولات الجيولوجية التي لم تستقر نسبيا إلا منذ الزمن الرابع الحديث، ولكن بما أن الطابع الإثنيني للمجموعات البشرية هو نوعا ما من صنع البيئة الطبيعية، اقتضاه الصراع من أجل الوجود. فإن ما ينتج عن ذلك، هو أن البيئـــة

---

[1]- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص.16.

[2]- حليمي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص.98.

منظر طبيعي يمثل الغطاء النباتي بمنطقة القل بالشرق الجزائري.

الشكل رقم: 3.

اعتمادا على: منشورات مديرية الثقافة لولاية سكيكدة

الطبيعية الناشئة نتيجة لعوامل صراع الإنسان مع طبيعة المناخ وطبيعة الترسبات الجيولوجية والموقع الجغرافي كانت هي العامل الجوهري في تاريخ المنطقة[1].

1- نمط الحياة الاجتماعية للإنسان المغاربي القديم:

لقد سخرت الأرض للإنسان حتى يجد عليها طعامه ولباسه ومسكنه، لكن للوصول إلى مآربه كان يتطلب منه بذل المزيد من الجهد والحركة الدائمة[2].

ومما لا شك فيه، أن حياة الإنسان المغاربي في العصور القديمة كانت مرتبطة بالبيئة التي عاش فيها والوسائل التي استخدمها، فحياته فيها في فترة ما قبل التاريخ كانت قد شهدت نفس المراحل التي مر بها إنسان المناطق الأخرى من العالم القديم[3].

مما سبق، يمكن القول أن الموقع الجغرافي الهام، والتنظيم الاجتماعي المميز لبلاد المغرب القديم بصفة عامة وسواحل الشرق الجزائري بصفة خاصة، قد أوجد إنسانا مغاربيا متميزا، حيث مثلت سلسلة جبال الأطلس التلي بامتدادها من الغرب إلى الشرق عبر منطقة بلاد المغرب القديم سواحل ضيقة، ذلك أن تلك الجبال كانت كثيرا ما تنزل عمودية على الساحل، مما يجعلها لا تترك إلا سواحل ضيقة حول خلجان الوديان التي تصب في البحر، وهو ما أثر سلبا على الاستقرار في تلك المنطقة قبل وصول قوارب الفينيقيين إليها[4].

أما عن سهول جبال الأطلس التلية الجنوبية أو ما يعرف بالهضاب، فإنها كانت ذات تربة خصبة وفرت العيش الكريم للسكان، لذلك نراهم ينتشرون في قرى بدائية كانت هي النواة الأولى للاستقرار بعد سكنى الكهوف[5].

لقد اجتمعت الطبيعة مع التنظيمات القبلية القائمة في عهد فجر التاريخ في تكوين إنسان مغاربي صلب مكتفيا باليسير من العيش، مبتعدا عن كل ما يعكر صفو حياته، وهـو في ذلك يلتقي مع إنسان المناطق الشمالية لأطراف الصحراء من حيث نمط المعيشة[6]، والتي يمكن أن نشير إليها في الشكل التالي:

---

(1) – جواد بولس، لبنان والبلدان المجاورة، مؤسسة أبدران وشركاه للطباعة والنشر، ط.2، لبنان، 1973، ص.15.

(2) – لوسيان فيغر،الأرض والتطور البشري، ترجمة محمد السيد غلاب، دار المطبوعات الجديدة، 1973، ص.283.

(3) – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.68 .

(4) – محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص.27.

(5) - Gsell (S.), H.A.A.N., T.1, p.31.

(6) -Gsell (S.), L'Algérie dans l'antiquité, éd. Adolphe Jourdan, Alger, 1903, p.18.

أ- حياة التنقل والترحال:

تظهر بصفة عامة لدى البدو الذين سكنوا الأكواخ و الخيم واحترفوا حياة البساطة وعدم الاستقرار واللهث وراء لقمة العيش والتعلق بالحرية وعدم التقيد بأي حكم سياسي مهما كانت بدائيته، فالحياة القبلية هي المعيار الوحيد لتسيير ناقوس حياتهم[1].

و الذي يمكن استنتاجه مما سبق، أن المجتمع المغاربي يكاد يخلو من داء الطبقية، تلك الطبقية التي عرفت عند دول العالم القديم مثل الفرس والروم واليونان والفينيقيين[2].

ولقد كان سكان الساحل الإفريقي قبل أن يحتكوا بالأجانب كالفينيقيين والرومان بعيدين عن الحياة الطبقية لأنهم جميعا متساوون، فلا تفاوت بين فرد وآخر ولا بين مجتمع وآخر، فمساكنهم متشابهة وكذلك أكلهم وشرابهم وملابسهم[3].

ومهما يكن من أمر، فإن الكتابات التاريخية التي وصلت إلى الباحثين والخاصة بالألف الأولى قبل الميلاد في بلاد المغرب القديم لا تذكر شيئا عن حياة مدينة منظمة، ذلك أنها على ما يبدو كانت لا تزال ذات وجود غامض [4]!

ب- حياة الاستقرار:

تظهر حياة الاستقرار من خلال المساكن المبنية بالحجارة والطين والثابتة وسط أماكن آمنة، تحيط بها الأسوار المبناة بالجلاميد الصخرية التي كانت تحيط بمناطق التجمعات البشرية. ويلاحظ أن إنسان سواحل شمال إفريقيا القديم كان قد مارس حرفتي الزراعة والرعي معا، وتمكن من إنتاج أدوات جديدة منذ فجر التاريخ كالجرار الفخارية التي استعملها في تخزين الأطعمة وأوعية للسوائل كالماء والألبان والزيوت، وقد تكوّن لديه ذوقا رفيعا فأنتج أدوات الزينة كالقلائد من الصدف والقواقع وقشور بيض النعام[5].

ويجمع الباحثون على أن سواحل بلاد المغرب القديم في الألف قبل الميلاد، كانت عبارة عن شبه مرافئ أو محطات بدائية، غير أنه لم تتوفر لدينا أية وثائق مادية أو كتابية توضح التطور التاريخي لتلك المنطقـــة، والتي يمكن أن تبرز وجود حياة مدنية مستقـــرة بها، يعود

---

(1) - عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم مـــن ذوي السلطان الأكبر، القسم الأول، المجلد الثاني، منشورات دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1996، ص.25.

(2) – لوسيان فيغر، المرجع السابق، ص.283.

(3) -Gsell (S.), L'Algérie dans l'antiquité…, p.18 .

(4) -Ibid., p.19.

(5) – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.68.

تاريخها لما قبل الألف الأول قبل الميلاد[1]، وذلك ما يعانيه تاريخ المنطقة الساحلية المغاربية ككـــل.

وعليه، فإن المنطقة المغاربية لا تزال تنتظر جهود الباحثين وذلك بإلقاء الضوء على التاريخ القديم لهذه المرافئ المنفتحة على الحوض الغربي البحر المتوسط.

2- الكهوف الطبيعية والمغارات:

يتساءل القارئ المتتبع لتاريخ سواحل بلاد المغرب القديم، عن نوعية السكن الذي كان يعيش فيه الإنسان المغاربي ونوعية الحياة والنشاط الذي كان يزاوله. وللإجابة عن ذلك يمكن أن نذهب إلى أنه جعل من الكهوف والمغارات الطبيعية مسكنا له يطول الاستقرار فيه أو يقصر تبعا لوفرة الغذاء في تلك المنطقة[2].

وفيما بعد، فإن تطور سكنى الكهوف الطبيعية والمغارات التي أدخل عليها بعض التعديلات بحيث آلت إلى الكهوف الإصطناعية، كما استقر في الأكواخ التي اتخذها من أغصان الأشجار وجلود الحيوانات التي كان يصطادها، وبما أن إنسان شمال أفريقيا القديم كان في صراع مستمر من أجل البقاء مع الطبيعة، فقد كان دائم البحث عن الغذاء والمأوى، حيث استقر على ضفاف الأنهار والوديان والمناطق الساحلية معتمدا في غذائه على صيد الحيوانات والطيور والأسماك...الخ[3].

مما سبق، نلاحظ أن حياة الإنسان المغاربي القديم لم تبق على الشكل الذي كانت عليه في عصور فجر التاريخ، بل تطورت مع مرور الزمن، لاسيما بعد اكتشافه للمعادن واستخدامه لها في حياته اليومية والفكرية، وأصبح يقيم الطقوس لدفن موتاه[4].

كذلك، يمكن القول أن الكهوف التي سكنها الإنسان المغاربي القديم، قد بقيت ممثلة في كهوف ضواحي الجزائر العاصمة قيوفيل (Guyoville) إضافة إلى كهوف التروجلوديت(Troglodytes) بالقرب من مدينة وهران، وكذلك الأمر في كهوف إيقـــاد (Aiguadaes) بالقرب من بجاية[5].

كما تحتوي كل من منطقة الجزائر العاصمة (الصخر الكبير) وبجاية على عدة ملاجئ

---

(1)- نفسه، ص ص.68-69.

(2) - Logeart (F.), Grottes funéraires et carreaux sous rochés de Sila, R.S.A.C., T.IXIII, 1935, pp.74-105.

(3)- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.28.

(4)- جواد بولس، المرجع السابق، ص.41.

(5) -Compardou (J.), La nécropole de Taza, B.S.G.A.O., T.XXXVII, 1917, pp.291-328.

تحت الصخور استعملها الإنسان خلال عصور فجر التاريخ، وقد اكتشف بقاياها الأثرية ثم درست[1].

وبالنسبة لبقية بلاد المغرب القديم الشرقية، فإنها تكاد تكون محرومة من الملاجئ الساحلية، غير أنه قد توفرت هناك بعض المحطات ذات الأهمية الكبرى التي اشتملت على أدوات تعود إلى العصر الحجري الحديث، نذكر من ذلك على سبيل المثال مواقع ضواحي عنابة بالشرق الجزائري[2].

3- المدافن الحجرية البدائية:

إن أهم شيء يلفت انتباه القارئ في دراسة بقايا مخلفات فجر التاريخ في بلاد المغرب القديم بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، هي بقايا تلك المدافن الحجرية التي تنتشر في كامل المنطقة الشمالية للجزائر. ومن خلال تتبعنا لها وجدنا أن بعضها كان قد وجد في المنطقة منذ عهود موغلة في القدم تطور فيما بعد، وكان ذلك النوع من الدفن يشمل الدفن في أرضية الكهوف الطبيعية (Grottes naturelles)[3]، ثم الدفن في القبور المخروطة الشكل وتعرف بالتيميلوس (Timilus)[4].

وهناك أنواع أخرى من المدافن، يعتقد –حسب رأي علماء الآثار– أنها أنشئت في مناطق أخرى مجاورة لبلاد المغرب القديم أو حتى بعيدا عنها، ثم نفذت إلى المنطقة المغاربية عن طريق الاتصالات البشرية التي كانت تتم من حين إلى آخر، ويدخل ضمن هذه الأخيرة مجموعة قبور الحوانيت والدولمن[5].

---

(1) -Gruet (M.), Gisements atériens et néolithiques du nord de Biserte, T.L1, Tunisie, 1947, PP.363-367 .

(2) -Derdour (H.), Annaba, 25 siècles de vie quotidienne et de luttes, T.1, Alger, 1982, p.24.

(3) – الكهوف الطبيعية: هي تلك الكهوف التي سكنها الإنسان لمدة من الزمن دون أن يدخل عليها أي عمل من الداخل يغير شكلها، وتشير بقايا العظام التي تم العثور عليها في أرضية الكهوف الطبيعية التي سكنها الإنسان المغاربي لأول مرة بأن هذا الأخير كان يدفن موتاه في أرضية هذه الكهوف. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص ص.18–19.

(4) - التيميلوس: ينتشر هذا النوع من القبور في المنطقة الشمالية من بلاد المغرب القديم، ولا يقتصر وجوده على المنطقة الشمالية فحسب، بل تمتد آثاره على المنطقة الصحراوية حتى حدود النيجر جنوبا. لمزيد من المعلومات أنظر:
-Gsell (S.), Les monuments antiques de l'Algérie, T.I, Paris, 1901, pp.6-7.

(5) – الدولمن: تعرف قبور الدولمن بالقبور المنضدية، وهي تلك القبور الحجرية التي بنيت فوق سطح الأرض، والمكونة من ثلاثة أعمدة حجرية قصيرة تعلوها حجرة أخرى مدت في شكل أفقي تمثل السقف ومزودة بفتحة وهناك أشكال مختلفة من قبور الدولمن لا ينطبق عليها هذا التعريف. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.36.

وفي هذا الصدد، يشير "ستيفان جزيل" بناءًا على البقايا المادية التي عثر عليها داخل قبور الدولمن، بأن هذه الأخيرة بقيت تستعمل حتى العهدين الفينيقي والروماني في بلاد المغرب القديم. وما الشواهد الأثرية المتناثرة هنا وهناك في مناطق الساحل الجزائري بصفة عامة وسواحل الشرق الجزائري بصفة خاصة لدليل على مدى انتشار هذا النوع من المدافن الحجرية التي تعود إلى عهود فجر التاريخ في سلسلة موانئ الشرق الجزائري[1].

ولعل ما تجدر الإشارة إليه، أنه قد عثر على عدة مدافن حجرية بنمطقة تمالوس بالقرب من عين قشرة بالقل، وذلك حسب ما جاء في كتابات المؤرخ لوسيان (Luciane)، إضافة إلى أنه عثر على دولمن أطلق عليه أهالي المنطقة اسم "الدخيرة"، كذلك عثر على اثنين آخرين وجدا بمنطقة صنادق الخربة بالقرب من المنطقة المشار إليها آنفا[2].

وخلاصة القول، يمكننا أن نشير إلى أن المناطق المشار إليها آنفا لازالت لم تنل حظها الكافي من الدراسة والبحث العلمي المعمق.

4- إمتداد مناطق الدولمن بسواحل الشرق الجزائري:

تكتسي آثار قبور الدولمن ببلاد المغرب القديم طابع البحر المتوسط، حيث تتصف بالقامة المتوسطة والقصيرة في بعض الأحيان[3].

وما يمكن قوله، أن انتشار الدولمن في بلاد المغرب القديم بصفة عامة، لم يتجاوز أطراف الصحراء جنوبا، وبعبارة أوضح فإن جبال الأطلس الصحراوي ومنطقة الأغواط هما الحد الجنوبي لتوزيع الدولمن في بلاد المغرب وفقا لما هو عليه البحث في وقتنا الحاضر، بغض النظر عن تلك القبور الدولمينية بمنطقة الهقار بالصحراء الجزائرية[4].

ومهما كانت آراء الباحثين في الحكم على محلية أو أجنبية قبور الدولمن، فإن ما لاشك فيه هو أن المغاربة القدماء كانوا قد استعملوا تلك القبور لمواراة أجساد موتاهم في الفترة السابقة للعهود التاريخية.

كما أن توزيع قبور الدولمن في بلاد المغرب القديم يتركز في شمال شرقي الجزائر وغرب تونس[5].

---

(1) -Gsell (S.), Atlas archéologique de l'Algérie…, F. 8, note 47 .

(2) - Luciani, Recueil de la société archéologique de Constantine, T.XIII, 1884, p.103.

(3) - Gsell (S.), Atlas archéologique de l'Algérie…, F. 8, note 47.

(4) -Raymaud (M.), Le dolmen d'amerzursat, B.S.P.M., 1937, p.59.

(5) -Camps (G.), Monuments et rites funéraires protohistoriques, Paris, 1916, p.122, fig.2 .

وإذا نظرنا من الشمال إلى الجنوب، فإن قبور الدولمن تمتد في الجزائر من منطقة القل شمالا حتى وادي العرب بمنطقة الأوراس جنوبا، وتصل إلى جنوب تونس حتى منطقة القصرين والضرسة التونسية[1].

ومن جهة أخرى، فإن اجتيازنا لدولمن العالية النفيذة بالساحل التونسي في اتجاه الغرب، ينذر بوجود قبور الدولمن بعد ذلك على السواحل التونسية حتى منطقة القل (Collo) وكفالو (Cavallo) بشرقي الجزائر[2]. (أنظر الشكل رقم: 4 ص.21).

إضافة إلى ماسبق، تتمتع كل من بجاية وتيجزرت (Tigzirt) ببعض قبور الدولمن لاسيما في منطقة آيت روانة (Aït raouana)[3].

5- صناعة الفخار:

لقد ظهرت لأول مرة أوعية مصنوعة من الفخار تقليدا لبيض النعام والقفاف، تلك الأجهزة الدالة على حياة الاستقرار لإنسان فجر التاريخ[4].

ويشكل الفخار بكامل أنواعه أكبر جزء من الأثاث الجنائزي الذي وجد داخل القبور الفينيقية البونية في الجزائر[5]، أين كان الأموات يطرحون في القبور على التراب أو على صفوف من الحجارة. وكانت هده الأخيرة تحتوي على أواني فخارية بغية التزود للحياة الأخرى[6].

وما يمكن الإشارة إليه، هو أن الجرار الفخارية التي وجدت بمناطق متفرقة من بلادنا ونخص بالذكر سواحل الشرق الجزائري المتميزة بألوانها البسيطة وأحجامها وأشكالها المختلفة، وكانت تصنع من طينة طبيعية تعرف عادة باسم الخزف الطبيعي، اعتمد عليها النوميديون والموريون والشرقيون فيما بعد في تجارتهم، وفي حفظ مختلف المواد الغذائية مثل الحبوب وبعض الفواكه الجافة، كتلك التي عثر عليها في منطقة القل بسكيكدة وبجاية وجيجل[7].

---

[1] – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.37.

[2] – نفسه.

[3] – نفسه.

[4] – جواد بولس، المرجع السابق، ص.37.

[5] – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.146.

[6] – جواد بولس، المرجع السابق، ص.37.

[7] – شارن شافية، النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الإحتلال الروماني العهد الإمبراطوري الأول ./

نموذج لقبور الدولمن الساحلية عثر عليها بمنطقة القل بالشرق الجزائري.

الشكل رقم: 4.

اعتمادا على منشورات مديرية الثقافة لولاية سكيكدة.

من خلال دراستنا لأشكال الفخار وألوان الطلاء والطينة التي صنع منها، يمكننا أن نقسمه إلى نوعين هامين هما:

أ- <u>فخار دولاب الخزاف البسيط</u>:

يتميز هذا النوع من الفخار بأنه ذو قشرة رقيقة، أملس عند اللمس، له طلاء إما أحمر قاني أو أسود لامع، وتوجد بين هذا النوع من الفخار أنواع مزركشة ذات رسوم هندسية متنوعة[1].

ب- <u>الفخار النموذجي</u>:

يتميز هذا النوع من الفخار بخشونة الملمس والجدران السميكة وتشير الكتابات التاريخية من جهتها إلى أنه قد شرع في صناعته بواسطة اليد منذ فجر التاريخ ببلاد المغرب القديم[2].

وقد جاء في كتابات الأستاذ غانم، أن أقدم فخار بوني عثر عليه حتى الآن في الجزائر يعود إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد [3]، عثر عليه في جزيرة رشقون بالغرب الجزائري.

وما تجدر الإشارة إليه، أن الجرار الفخارية هي الأكثر انتشارا في بلاد المغرب القديم، وتعد من أهم وسائل التعبئة التي اعتمد عليها النوميديون والشرقيون على حد سواء في تجارتهم، وفي حفظ المواد الطبيعية لتبقى شاهدا أثريا على ما قدمه أسلافنا للحضارة الإنسانية[4].

نستخلص من كل ما سبق، أن البيئة الجغرافية والتراتب التاريخي لسلسلة موانئ الشرق الجزائري، كان قد مر بمرحلتين أساسيتين هما: مرحلة ما قبل التاريخ وفجره والذي مال فيه الاستقرار الجيولوجي نحو التثبت، وبدأت البيئة الطبيعية فيه تأخذ شكلها التقريبي الذي هي عليه حتى الآن تقريبا. كما أن رصيد البقايا الإنسانية المادية في تلك الفترة تكاد تكون لا تظهر إلا في بعض المستقرات والمدافن البدائية، ثم الاستعمال البسيط للفخار والعظام والمعادن.

...رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ القديم، ج.1، الجزائر، 2000-2001، ص.319.

(1) -Gsell (S.), Atlas archéologique..., F. 8, note 196.

(2) – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.146.

(3) – نفسه.

(4) – نفسه.

أما المرحلة الثانية و المتمثلة في الفترة التاريخية، فإن معالمها واضحة تتمثل في الموانئ البسيطة و ذات المرفأين، و التبادلات التجارية التي كانت تتم على التوالي بين الأجانب مثل الفينيقيين و الرومان ثم الوندال و البيزنطيين من جهة و النوميديين ثم المور والبربر من جهة أخرى. كذلك تتمثل تلك المعالم المشار إليها آنفا في الامتزاج الحضاري بمعناه الواسع، الذي لا تزال بصماته الأثرية تلوح للعيان في مواقع المدن الساحلية الفينيقية– البونية وتلك الداخلية الرومانية، يضاف إلى ذلك بقايا النقوش الكتابية والنصب المزخرفة والتوابيت، وكل ما له صلة بالتراتب التاريخي الحضاري .

الفصـــــل الأول:

عوامل التوسع الفينيقي وتأسيس المحطات الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

أولا- عوامل التوسع الفينيقي في حوض البحر المتوسط.

1- العوامل السياسية.

2- العوامل الاقتصادية.

3- العوامل الاجتماعية.

ثانيا- نشأة و تطور صناعة السفن و تأسيس المحطات البـــاكرة فـــي الحـــوض الغربي للبحر المتوسط.

1- نشأة وتطور صناعة السفن.

أ- نشأة القوارب.

1-وفرة الثروة الخشبية.

2-صناعة القوارب.

ب- تطور صناعة السفن.

1- السفن التجارية.

2- السفن الحربية.

2-تأسيس المحطات التجارية.

أ- المحطات التجارية الطبيعية.

ب- المحطات التجارية الاصطناعية.

1- الأحواض.

2- الكاسرات.

3- الأرصفة.

4- قيادة الميناء.

3-نماذج لأهم المحطات الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

أ- محطة ليكسوس.

ب-محطة أوتيكا.

ج- محطة تيبازة.

د- محطة قورايا.

هـ-محطة رشقون.

أولا- عوامل التوسع الفينيقي في حوض البحر المتوسط:

كان لموقع فينيقيا الجغرافي الدور الكبير في تحديد تاريخها السياسي وتطورها الثقافي، ونظرا لتموقعها في ملتقى الطرق التجارية الهامة التي تلتقي فيها أقوى الحضارات وأعظمها، والتي كانت تسعى كل واحدة منها إلى الإستلاء عليها لإيجاد منفذ لنفسها تطل به على البحر، ذلك ما جعل دول مدن المنطقة تتغير حسب قوة وضعف الإمبراطوريات المحيطة بها، والتي كان لها أثر كبير على مصيرها[1].

وبذلك، يمكن اعتبار العوامل التي أدت بالفينيقيين[2] إلى الخروج إلى غربي البحر المتوسط على نحو متشابك ومتفاعل، منها السياسية والاقتصادية ثم الاجتماعية، ويمكن أن نرصدها على الشكل الآتي:

1- العوامل السياسية:

لقد أدت العلاقات الدولية التي سادت في تلك الفترة منطقة الشرق الأدنى القديم إلى ركوب الفينيقيين البحر، وهذا في الفترة المحددة ما بين نهاية الألف الثانية و بداية الألف الأولى قبل الميلاد، وذلك بسبب الصراعات السياسية التي سادت[3] خاصة المناطق التي تكدست بها الثقافات المختلفة، وبالتالي نشأت بها مراكز للنشاط السياسي[4].

وقد كانت المدن الفينيقية مثل صيدون و جبيل [5] على الساحل، وبعيدا إلى الداخل

---

[1]- حلمي محروس إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته، بلاد مابين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1997، ص.151.

[2]- الفينيقيون: تتفق الوثائق الكتابية التي تناولت موضوع أصل الفينيقيين وتسميتهم بأن هؤلاء الأقوام ليسوا من جنس السكان المحليين لفينيقيا، و إنما ظهروا في شمال منطقة الهلال الخصيب منذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد، ثم نزحوا بعد ذلك إلى الساحل السوري واختلطوا بسكانه الذين ينتمون إلى أرومة جنس البحر المتوسط. أما التسمية التي أشتهر بها الفينيقيون فهي تسمية مهنية أطلقها أولا الحوريون على سكان الساحل السوري من الكنعانيين (knaggi) فيما بين القرنين 18-17 ق.م، وهي تعني في لغتهم الصباغة الأرجوانية التي أشتهر بها التجار الفينيقيون والتي كانت تستخرج من محار الميوريكس(Murix) الذي يوجد بوفرة على الساحل السوري، وبذلك تكون كلمة كنعاني مرادفة لكلمة فينيقي (Phoinix) التي تعني هي الأخرى صباغة الأرجوان. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط... ، ص ص. 16-18؛ - Caratini (R.), Histoire universelle, Le monde antique préface de Grimal, 1^er^éd., l'Italie, 1968, P.936.3.A.a.

[3]- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.154.

[4]- جواد بولس، المرجع السابق، ص.178.

[5] جبيل: يعتقد المؤرخون أن مجموعة من الصيادين بنوا جبيل قبل ما لا يقل عن 7000 سنة ق .م، ثم تبعتهم مجموعات وشعوب أخرى اتخذوها موطنا لهم وجلبوا معهم عادتهم وصناعتهم. كانت جبيل مركزا تجاريا مهما وأصبحت حوالي./

المدن الأمورية مثل ألب (Alep) وجاتينا (gatina) مرغمة على المناورة في جو الصراعات بالخضوع تارة والتبعية تارة أخرى لدولة من الدول القوية، فكانت ممزقة بين الحضارات التي تتنافس على المنطقة وهي: الدولة المصرية في وادي النيل، والإمبراطورية الحثية في آسيا الصغرى، ثم الدولة الآشورية في منطقة وادي الرافدين، بالإضافة إلى وجود الآراميين في سوريا الداخلية والعبرانيين في فلسطين[1].

وتشير الكتابات التاريخية، إلى أن علاقة الدولة المصرية بالساحل الفينيقي قد بدأت منذ حوالي الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت اعتبارا من عصر الملكية القديمة (الأسرة الخامسة بصفة خاصة)، تقتصر على التبادلات التجارية حيث كان المصريون يستوردون الأخشاب من غابات جبال لبنان لاستعمالها في مشاريعهم وأبنيتهم العمرانية[2]، كما تعتبر مدينة جبيل أول مدينة فينيقية تلعب دورا رئيسيا في العلاقات الفينيقية المصرية[3].

وقد اشتد النزاع بين الأطراف المتصارعة، حيث اصطدمت القوات المصرية والتحالف الأموري الحثي في معركة قادس (Gades) سنة 1296 ق.م، انتهت باتفاقية تمت بين الطرفين نصت على التصالح فيما بينهما، وبالتالي قسم الساحل الفينيقي إلى منطقتي نفوذ الجنوب للمصريين والشمال للحثيين[4].

وبحلول القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ظهرت شعوب البحر [5] على مسرح الأحداث

...3000ق.م أول مدينة فينيقية مرتبطة تجاريا بالمملكة المصرية القديمة، وراحت تصدر زيت الزيتون وخشب الأرز والنبيذ و تستورد المرمر والذهب وورق البردي وغيرها من مصر. لمزيد من المعلومات أنظر: حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص.152.

(1) -Auphan(P.), Histoire de la méditerranéen, éd. La table ronde, Paris, 1962, p.21.

(2)- أحمد فخري، مصر الفرعونية، القاهرة، ط.2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1960، ص.100.

(3)- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ...، ص.42.

(4)- الحثيون: تبدو ملامحهم على الآثار شبيهة بملامح الحوريين، سكنوا منطقة نهر الهاليس(Halys) وكانوا يسمون بلادهم "خاطى"، وقد ورد في النقوش الأثرية المصرية بإسم خيطا(Kheta) وربما كان معنى هذه الكلمة "الفضة"، وعاصمتهم مدينة (خاطى) أو (خطوتش) وهي اليوم بوغازكوي، على بعد تسعين ميلا شرقي أنقرة، ويأتي الاسم الإنجليزي من "حطى" (Hitti) العبرية، ولا يزال موقع عاصمتهم القديمة كوشار(Kushar) مجهولا.دامت المملكة الحثية الحديثة من حوالي 1450 ق.م حتى 1200 ق.م، وبلغت ذروتها في عهد الملك القوي شوبيلوليوما (1355 ق.م-1380ق.م)، لمزيد من المعلومات أنظر: فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ج.1، بيروت، 1958، ص.166.

(5)- شعوب البحر: حدثت هجرات جماعية لا تزال مجهولة الأسباب، لبعض الشعوب الشمالية القادمة من البلقان ومن السهول الواقعة شمال البحر الأسود، وهم شعوب متوحشة ألحقت كوارث ونكبات كبيرة بالجزء الشرقي من البحر المتوسط. لمزيد من المعلومات أنظر: جواد بولس، المرجع السابق، ص.107.

إذ استطاعت القضاء على الإمبراطورية الحثية في آسيا الصغرى، كما تمكنت من تحطيم عاصمتها، وواصلت بذلك زحفها نحو الجنوب حتى اصطدمت بالجيوش المصرية على عهد رمسيس الثالث[1].

وآخر التوسعات الذي عانته بلاد فينيقيا في تلك الفترة كان التوسع الآشوري، الذي احتل الساحل الفينيقي بعد القضاء على دولة الحثيين ومد النفوذ نحو الغرب على عهد الملك تجلات فلاسر الأول[2]، الذي يعتقد أنه كان قد غزا سوريا حوالي 1094 ق.م، وادعى لنفسه إدخال بعض مدنها تحت نفوذه، كما أمر بقطع أخشاب الأرز وحملها إلى شمال بلاد ما بين النهرين لاستعمالها في بناء المعابد والقصور[3].

ويلاحظ أنه إلى جانب الزحف الآشوري على الساحل الفينيقي، كانت هناك بعض الشعوب السامية الأخرى التي كانت تسكن منطقة سوريا الداخلية، وقد كان لها بعض التأثيرات على التوسع الفينيقي في البحر المتوسط، ومن بين تلك الشعوب نذكر الآراميين، الذين نافسوا الفينيقيين في التجارة البرية مع بلاد ما بين النهرين، وفي الناحية الجنوبية الداخلية من سوريا كان العبرانيون يتطلعون إلى أخذ مكانتهم على الشاطئ الفينيقي خاصة في عهد الملك داوود وسليمان الحكيم رغم صداقتهم للملك أحيرام[4] في القرن العاشر ق.م[5].

كل تلك الاضطرابات السياسية التي سادت في شرق البحر المتوسط، سمحت للفينيقيين بأن يستغلوا ضعف البحرية الإغريقية التي تداعت عقب غزوة شعوب البحر المدمرة في بداية القرن الثاني عشر ق. م، وانطلق الفينيقيون بعد ذلك إلى الحوض الغربي

---

[1]– رمسيس الثالث: كان رمسيس الثالث آخر حكام مصر الأقوياء، وقد اعتبر هذا الأخير الملك رمسيس الثاني أباه الروحي و اتبع خطاه، حكم قرابة 31 عاما في الفترة الممتدة ما بين 1152ق.م– 1183ق.م. لمزيد من المعلومات أنظر: جون ويلسون، الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1951، ص.121.

[2]– تجلات فلاسر الأول: جاء في سفر الملوك الرابع في التوراة عن الملك الأشوري تجلات فلاسر الأول أنه قام بعدة حملات سنة 732ق.م وتمكن من دخول كل من دمشق (سوريا حاليا) وبلاد إسرائيل. لمزيد من المعلومات أنظر: هنري عبود، معجم الحضارات السامية، لبنان، 1988، ص.370.

[3]– Cintas (P.), Manuel d'archéologie punique, T.1, Paris, 1970, P.56 .

[4]– الملك أحيرام: تولى الملك أحيرام في حوالي سنة 980 ق.م عرش مدينة صور وعمره عشرون عاما، ووصلت صور في أيامه إلى مركز حضاري و تجاري لا مثيل له، وقد كان أحيرام نشيطا ومهتما بالمحافظة على ما حققه أسلافه من نجاحات خارج حدود بلاده. لمزيد من المعلومات أنظر: Decret (F.),Carthage ou l'empire de la mer,éd.Seuil, Paris,P.22.

[5]– محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط... ، ص.46.

للبحر المتوسط[1].

2- العوامل الاقتصادية:

ترتبط العوامل الاقتصادية للتوسع الفينيقي ارتباطا وثيقا بالعوامل السياسية، ذلك أن كلى العاملين يتأثر بالأوضاع الطبيعية والبشرية التي كانت تحيط بمنطقة الساحل الفينيقي، فقد أدت قلة مساحة الأراضي الزراعية إلى تحويل اتجاه السكان من الاعتماد على الزراعة مثل جيرانهم في كل من وادي النيل وبلاد الرافدين، إلى الاعتماد على التجارة البحرية والبرية[2].

وهناك أسباب عديدة كانت قد ساعدت الفينيقيين على احتراف التجارة نذكر منها:

- توفر مادة الخشب التي اشتهرت بها غابات جبال لبنان، مما ساعدهم على احتراف صناعة القوارب والسفن.

- الموقع الجغرافي الإستراتيجي الذي تميزت به مدنهم القائمة على رؤوس بحرية متوغلة داخل ساحل البحر، وعلى جزر متقطعة بالقرب من السواحل، وهذا ما وفر لهم وجود الموانئ الطبيعية التي آلت فيما بعد إلى موانئ اصطناعية.

- تحكم الساحل الفينيقي في الطريق الدولي الذي يصعد من وادي النيل عبر سيناء، ويربط مناطق ازدهار الحضارات القديمة في شمال سوريا وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى[3].

" لقد كان الفينيقيون دون شك واعون لأخطار أمواج البحر، لكنهم كانوا لا يملكون الخيار من أجل العيش" [4]، حيث أنهم معتادون على الابحار إلى مصر وإلى بلاد بعيدة أخرى بهدف التجارة، حيث يبيعون خلال كل رحلة ما أنتجت بلادهم، ويشترون المواد الخام خاصة تلك التي تساعدهم في الصناعة مثل الذهب والفضة والعاج وجلود الحيوانات...إلخ، كما يقتنون أيضا من شعوب أخرى مصنوعات غير متوفرة في بلادهم[5].

وقد عمل الفينيقيون كوسطاء تجاريين في إيصال بضائع دول شرقي البحر المتوسط إلى الشعوب التي كانت في حاجة إليها إلى جزر البحر المتوسط وشواطئه الغربية[6].

---

(1) -Caratini (R.), op-cit., P.936.3, A.a.

(2) -Fantar (M.H.), Carthage la prestigieuse d'Elissa, éd.Maison Tunisienne, 1970, P.16 .

(3) – فيليب حتي، المرجع السابق، ص.64.

(4) - Fantar (M.H.), op-cit., P.16.

(5) – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.157.

(6) – فيليب حتي، المرجع السابق، ص.110.

وقد نشطت التجارة البحرية الفينيقية في البحر المتوسط، كما احتكر الفينيقيون طرقها، ثم وجهوا عنايتهم لدراسة أصول الملاحة البحرية، معتمدين في ذلك على براعتهم في معرفة الطرق البحرية التي كانوا يكتمون سرها، أو يزورون حقائقها في بعض الأحيان حتى لا ينافسهم في ذلك تجار الشعوب البحرية الأخرى. ونظرا لاعتماد الصناعة الفينيقية على مواد خام، والتي لم يكن بعضها متوفرا في فينيقيا فإنهم كانوا يبحرون إلى البحر المتوسط مثل خامات الفضة والنحاس، وقد كانت مناجمها موجودة في ترشيش (Tartessus)[1] بإسبانيا، والعاج وجلود الحيوانات والعبيد وتبر الذهب بإفريقيا[2].

ومن أجل تنفيذ أغراضهم التجارية، أسس الفينيقيون عدة محطات تجارية في كل من مدينة قبرص ورودس وصقلية، ثم سردينيا وإسبانيا وبلاد المغرب[3].

وفي القرن الحادي عشر ق.م، نرى أن الفينيقيين قد أسسوا محطة ليكسوس (Lixus)[4] على الشاطئ الغربي لبلاد المغرب، وكذلك مدينة أوتيكا(Utica)[5] على خليج تونس، ثم يتبعون هذين المستوطنتين في بداية الألف الأول ق.م ببقية المستوطنات والمحطات الأخرى، التي وزعت توزيعا ماهرا على كامل شواطئ الحوض الغربي للبحر المتوسط[6].

3- العوامل الإجتماعية:

هناك من المؤرخين من يرى أن للعامل الاجتماعي دور لا يستهان به في دفع الفينيقيين إلى الهجرة، ذلك أنهم قد اتجهوا نحو الغرب للبحث عن مواطن جديدة لفائض سكان الساحل الفينيقي[7].

---

(1)- ترشيش: هي مستوطنة قادس(Gades) تقع في الطرف الجنوبي من إسبانيا، اشتهرت بوفرة المعادن كخامات النحاس والفضة والقصدير، وكانت هي أولى المستوطنات الفينيقية في غربي البحر المتوسط. لمزيد من المعلومات أنظر: ابن خلدون، المرجع السابق، ص.18.

(2)- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط...، ص.48.

(3)- Decret (F.), op-cit., P.38.

(4)-ليكسوس: أطلق عليها القدماء فيما مضى اسم مدينة تشميش(Themich) أي مدينة الشمس. لمزيد من المعلومات أنظر: Strabon, XVIII, 3.2.

(5)- أوتيكا: تشير الكتابات التاريخية بأن تأسيس أوتيكا (Utique) بمعنى العتيقة يسبق نشأة قرطاجة بحوالي 287 سنة أي حوالي عام 1101 ق.م تقريبا. لمزيد من المعلومات أنظر: Gsell (S.), H. A. A. N., T. I, PP.360-3.

(6)- Demerliac (J.G.) et Meirat (J.), Hannon et l'empire punique, éd. Les belles lettres, Paris, 1983, P.53.

(7)- جواد بولس، المرجع السابق، ص.142.

ولم يعرف الفينيقيون الوحدة السياسية في فترات كثيرة من تاريخهم، حيث كانوا يتبعون نظام المدينة الدولة الذي كان مطبقا في بلاد الإغريق حينذاك، وقد فرضته عدة عوامل طبيعية وبشرية كانت تحيط بالمنطقة التي استقروا فيها. وقد نتج عن إتباع الفينيقيين لسياسة المدينـــة الدولة أن سادت النزاعات الداخلية بين المدن الفينيقية وكثر التنافس بين الأمراء على الحكم، مما جعل الساحل الفينيقي عرضة لأطماع الشعوب المجاورة له[1].

ولقد حاولت المدن الفينيقية أن تتحد عدة مرات، لكنها فشلت في تحقيق ذلك بسبب السيطرة الأجنبية التي كانت تعانيها، كما أن الصراع الداخلي الذي كان سائدا بين الآراميين والعبرانيين في منطقة سوريا الداخلية كان له تأثيره الخاص على ارتفاع نسبة السكان في الساحل الفينيقي بنسبة تفوق إمكانيات الاستيعاب في المدن الفينيقية الساحلية، وهذا هو الأمر الذي أدى إلى تفشي الاضطرابات والنزاعات على السلطة بين الأعيان الأثرياء الذين كان لهم الحق في الحكم[2].

والحقيقة أن الظروف الاجتماعية اجتمعت وتفاعلت فيما بينها وخلقت جوا دفعت أوضاعه بالفينيقيين إلى الهجرة، بعد أن أصبحوا محاصرين من كل الجهات فصار المخرج الوحيد لهم هو الهجرة عبر المسطحات المائية[3].

وقد مرت عملية تواجد الفينيقيين بالحوض الغربي للبحر المتوسط بمرحلتين أساسيتين:

أ- مرحلة الكشف والارتياد: كانوا يحاولون خلالها معرفة طبيعة سواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط، قصد اختيار أماكن صالحة لبناء محطاتهم التجارية خاصة في منطقة المغرب القديم. كما لم يهمل الفينيقيون أهمية السواحل الأخرى المتواجدة على كامل سواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط[4].

ب- مرحلة تثبيت الاستيطان: وهي التي تبدأ بتأسيس مدينة قرطاجة وما تلاها من مستوطنات كانت تدور في فلكها[5].

---

(1)- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ...، ص.49.

(2) -Cintas (P.), Manuel d'archéologie punique…, P.301.

(3)- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.157.

(4) -Cintas (P.), Le port de Carthage, extrait du manuel d'archéologique punique éd. A. et J. Picard, Paris, p.33.

(5) -Polybe, Histoires, Livre I, établi et traduit par Paul Pédech, éd. Les belles lettres, Paris , 1969,p.21.

ثانيا- نشأة وتطورصناعة السفن وتأسيس المحطات الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

لعله من المفيد قبل التطرق لموضوع تأسيس المحطات الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، التعرف على كيفية نشأة وتطور صناعة القوارب والسفن باعتبارها الوسيلة الوحيدة للإبحار.

1- نشأة وتطور صناعة السفن:

أ- نشأة القوارب:

1- وفرة الثروة الخشبية:

تعتبر مادة الخشب أساسية في بناء القوارب و السفن، و قد لعبت دورا هاما في التجارة العالمية منذ العهود الباكرة، و تتوفر تلك المادة في مناطق عديدة من العالم القديم[1].

وتعد جبال لبنان بالساحل الفينيقي من أهم الأقاليم الغنية بغابات الأرز و الصنوبر على ما يفهم من الرسالة التي وجهها الملك العبراني سليمان الحكيم إلى ملك صيدا أحيرام ، والتي ورد فيها ما يلي: " والآن فأمر أن يقطعوا لي أرزا من لبنان و يكون عبيدي مع عبيدك... وأرسل أحيرام إلى سليمان قائلا: " قد سمعت ما أرسلت به إلي. أنا أفعل كل مسرتك في خشب الأرز وخشب السرو. عبيدي ينزلون ذلك من لبنان إلى البحر وأنا أجعله أرماثا في البحر إلى الموضع الذي تعرفني عنه وانفضه هناك وأنت تحمله وأنت تعمل مرضاتي بإعطائك طعاما لبيتي. فكان أحيرام يعطي سليمان خشب أرز وخشب سرو..."[2].

كما تتوفر مادة الخشب أيضا في إفريقيا الشمالية وبلاد المغرب القديم على وجه التحديد بفضل غاباتها الشاسعة التي تملكها من أشجار الأرز،[3] وتعددت أنواع أخشابها كأخشاب البلوط والصنوبر بأنواعه، ويستعمل هذا الأخير خاصة في صناعة صواري السفن[4].

---

(1) – لويزة آيت اعمارة، دور السفينة في التجارة والتوسع الاستيطاني في البحر المتوسط القديم، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، إشراف الأستاذ: محمد البشير شنيتي، جامعة الجزائر، جوان، 1995، ص.44.

(2) – الكتاب المقدس، سفر الملوك الأول، 1-19.

(3) - Fantar (M.H.), Carthage approche d'une civilisation, éd. Afif, T. II, Tunis, 1993, p.121.

(4) - Strabon, III, II, p.177.

إن كل ما نستخلصه مما سبق، هو أن الثروة الخشبية مادة أساسية في بناء القوارب والسفن و إصلاحها.

2- صناعة القوارب:

جاء في الكتابات التاريخية أن الوسيلة الأولى التي استخدمها الإنسان في ركوب البحر، كانت تتمثل في رمي جذع شجرة في الماء وركوبه، حينئذ العملية لم تكن تتمثل في قارب حقيقي[1]. (أنظر الشكل رقم 5 (أ) ص.34).

يرى بعض المؤرخين، أن القوارب الجلدية التي كانت تجوب الأنهار هي القوارب الأولى التي استعملت قبل أن تطرأ عليها أي تغيرات، وقد تم تعويضها بقوارب مصنوعة من جذع الأشجار محفور في الوسط أو ربط مجموعة من جذوع الأشجـــار ببعضـــها البعض أو حزم من نبات القصب أو البردي أو السيقمور[2]. (أنظر الشكل رقم: 5 (ب) ص.34).

ويشير بلينوس من جهته، إلى وجود نوع أخر من القوارب صنع من الخشب الشوكي، فيقول:"...يأخذون من الخشب الشوكي لوحات طولها اثنين كودي ويربطونها ببعضها البعض..."[3].

وعلى الرغم مما ذكر آنفا، يبقى هذا الموضوع غامضا لقلة المصادر حوله ما عدا بعض النماذج الشبيهة بالقوارب القديمة التي لا تزال تستعمل لدى الشعوب البدائية كالســـود والهنود الحمر[4]. (أنظر الشكل رقم: 6 (أ، ب) ص.35).

ولما زادت الحاجة إلى القوارب، صنعت مراكب صغيرة مزودة بمجاذيف وأشرعة كانت تستعمل في عبور الأنهار ثم سواحل البحار والمحيطات لتتطور بعد ذلك إلى مراكب خشبية[5].

ونظرا للصعوبات العديدة التي تتعرض لها القوارب في عرض البحار والمحيطات، فكر الإنسان في بناء سفن صلبة تقاوم الأمواج والرياح وتتحكم في البحر[6] وتكتسب السرعة في آن واحد، وقد تطورت إلى سفن حربية عندما اقتضى الأمر ذلك[7].

---

(1) - Hérodote, L, p.194.

(2) – السيقمور: شجرة من فصيلة التوتيات أصلها من الشرق الأوسط، ثم غرست في جميع بلدان البحر المتوسط. لمزيد من المعلومات أنظر: شارن شافية ، المرجع السابق، ص.52.

(3) -Pline l'Ancien, XIII, p. 9, XVI, p.41.

(4) -Conteneau (G.), op-cit., pp. 10-12.

(5) -Celerier (P.), Histoire de la navigation, Paris, 1961, pp.25-26.

(6) -Benson (B.) et Kahan (M.), Les bateaux, éd. Gamma, Paris, 1977, p. 3.

(7) - Rougé (J.), La marine dans l'antiquité…, Paris, 1975, p.12.

أ- صورة تمثل إنسانا بدائيا يحاول أن يجعل جذع شجرة يطفو فوق سطح الماء.

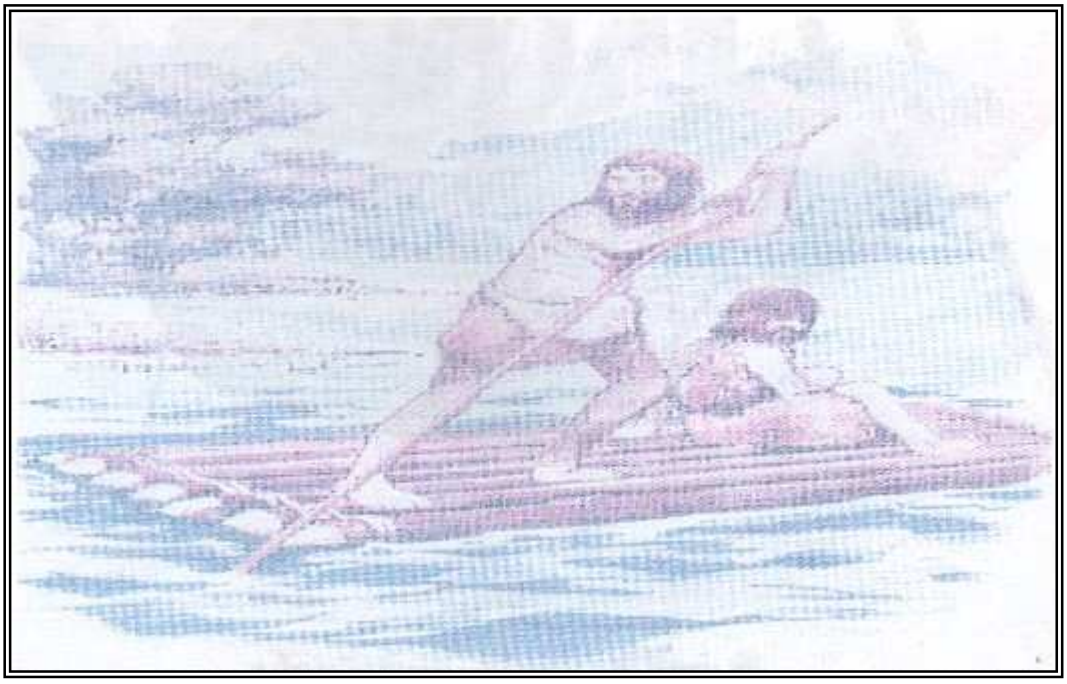

ب- صورة تمثل حزمة من جذوع الأشجار تطفو فوق سطح الماء يحاول الإنسان البدائي دفعها بعصا طويلة.

الشكل رقم:5 (أ،ب).

- اعتمادا على: Harper(M.) et Carlier(F.), op-cit., p.6.

أ- صورة تمثل قاربا بدائيا بمجذاف.

ب- صورة تمثل قاربا بدائيا بمجذاف أكثر تطورا.

الشكل رقم:6 (أ،ب).

- Harper(M.) et Carlier(F.), op.cit., pp.7-8. :اعتمادا على

ويفهم من الكتابات والنقوش التي وجدت على الفخار و التماثيل أن أقدم بحارة اهتموا بالملاحة أكثر من غيرهم هم الفينيقيون وذلك لفترة زمنية طويلة خلال التاريخ القديم[1].

ب- <u>تطور صناعة السفن:</u>

يرى المؤرخ ج.كونتنو (Conteneau.G.) أن الفينيقيين هم الملاحون القدماء الذين طوروا السفن النهرية والبحرية، حتى لقبوا بأبناء البحر[2].

وهكذا، فإن الفكرة التي يمكن استخلاصها من الرأي السابق تتمثل في اختلاف السفن النهرية عن نظيرتها البحرية، واعتبارا أن الفينيقيين كانوا من الشعوب الأولى التي ساهمت فعلا في تطوير البحرية. كما تؤكد ذلك أيضا نقوش سفينة فينيقية مرسومة على تابوت اكتشف في مدينة صيدا[3] بالساحل الشرقي للبحر المتوسط يعود تاريخه إلى فترة متقدمة[4].

لقد استطاع المؤرخون أن يميزوا بين مرحلتين أساسيتين لتطور البحرية الفينيقية، في شرقي البحر المتوسط، بحيث كانت الأولى قد بدأت منذ حوالي القرن السادس عشـــر قبل الميلاد، والتي تميزت باستعمال المجاذيف والأشرعة، بينما تميزت المرحلة الثانية باستعمال الأشرعة كوسيلة أساسية في عملية دفع السفن المياه، وبالتالي ساهمت هذه الأخيرة في التطورات التي عرفتها البحرية في ميلاد قوانين وقواعد خاصة، يفرق فيها بين القوارب والسفن التجارية وتلك الحربية، لاسيما التجارية منها التي تجاوزت نطاق البحر المتوسط إلى مسطحات مائية أخرى، مما شجع على ميلاد بحرية حربية وكانت مهمتها في بداية الأمر هي حماية السفن التجارية[5].

وحتى يغامر الفينيقيون في ركوب البحر، كانوا قد درسوا هبوب الرياح واتجاهاتها وكذا التيارات البحرية التي تصاحبها أمواج عاتية[6].

---

(1) -Casson (L.), Les marins de l'antiquité, Paris, 1961, pp.25-30.

(2) -Conteneau (G.), op-cit., p.305.

(3) صيدا: مدينة أسسها الصوريون إثر حدوث زلزال عنيف خرب مدينتهم وجعلهم يتحركون في اتجاه البحـــر ويؤســـسون مدينة جديدة هي صيدا خلال سنة 3000ق.م، وهي التسمية التي تعني السمك نسبة إلى رواج الثروة السمكية في المنطقـــة. كما تحتوي صيدا على ميناء تجاري وآخر حربي. لقد عرفت مدينة صيدا تطورا هاما خلال القرن 15ق.م وأصبح ميناؤها يستقبل كل أنواع البضائع. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقـــي البـــوني فـــي الجزائـــر...، ص.23.

(4) - Mierat (J.), Marine antiquite méditerranée, éd. Finin Didot, Paris, 1964, pp. 86- 87.

(5) - Warmington (G.), Carthage, London, 1960, p.13.

(6) -أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص.112.

ومن ذلك، لم تستطع الشعوب القديمة التغلب على الظروف الطبيعية التي كانت تحدد فترة الإبحار بالأيام والليالي، وتحديد أيضا توجيه السفينة وهذا ما جعل الإنسان يتأخر عن المغامرة في البحر لمدة زمنية طويلة[1].

إن ما تجدر الإشارة إليه، هو أن القوارب والسفن القرطاجية بعد ازدهار قرطاجة وتطورها في الحوض الغربي للبحر المتوسط لم تكن تختلف عن تلك التي وجدت في الوطن الأم فينيقيا، نظرا لما احتوته الرسومات والنماذج التي عثر عليها على واجهات النصب وهي ذات أشكال تناظرية تبعا لتطور التقنية البحرية[2] ، التي تختلف من حيث أشكال هياكلها. تتضح الأمور أكثر [3].

1- السفن التجارية:

تكاد معلوماتنا على السفن التجارية تكون شحيحة إلى حد ما، عكس السفن الحربية التي نملك عليها معلومات أكثر، نظرا لاستعمالها الدائم لخوض المعارك، ذلك لأنها ظلت لفترة زمنية طويلة تسيطر على البحر بسبب انعدام الأمن وانتشار ظاهرة القرصنة البحرية[4]، حيث أصبح البحارة يقومون برحلات بحرية على أساس رحلات حربية خوفا من المنافسة والقرصنة[5].

وما نملكه أيضا حول السفن يخص أسس التنظيم في السفن وتسليحها والغنائم المختلفة، وكذا نوع البضائع، كلها تتجلى في بعض الصور والرسومات التي وردت في كتابات المؤرخين القدماء، لكنها تبقى غير كافية لصعوبة إعادة تركيب السفن، ولسوء نوعية الخشب الذي يتآكل بسرعة[6]، إضافة إلى تدمير أرشيف الكثير من المدن البحرية التي كانت عرضة

---

(1) - Gaudio (A.), Les empires de la mer, Paris, 1962, pp.51-52.

(2) – تبدو هذه السفن مستديرة الشكل، ترتفع فيها المؤخرة بنفس علو المقدمة، أما جوانبها فهي مقببة، ولا يوجد اختلاف بين أجزائها إلا في الزخرفة. لمزيد من المعلومات أنظر: شارن شافية، المرجع السابق، ص.198.

(3) -Sempère (H.), Les ports et la vie maritime de l'Afrique du Nord antique de Carthage à Tanger (Thèse de D.E.S.), Alger, 1937, p.53.

(4) – القرصنة البحرية: هي ظاهرة برزت في العالم القديم، يمثلها قراصنة البحر، وهم جماعة من المنبوذين والمجرمين من جميع الجنسيات، وتزداد قوة القراصنة بازدياد عددهم وتعدد هجماتهم على السفن والسواحل وكانوا يطالبون بفديات كبيـــرة من الموانئ مقابل حمايتها. لمزيد من المعلومات أنظر: شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي وبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص ص.115-116.

(5) - لويزة آيت عمارة، المرجع السابق، ص.94.

(6) -Meirat (J.), op-cit., p.86 .

للغزو الأجنبي لاسيما مدينتا صور وقرطاجة[1].

من جهة أخرى يمكن أن نستشف من الدراسات التي تناولت القوارب والسفن، تلك المعلومات القليلة المتوافرة لدينا عن التطورات التي طرأت على البحرية عبر العصور، كما تعطي لنا أيضا فكرة حول الفرق بين السفن التجارية والسفن الحربية، التي كانت في البداية من أصل واحد[2].

ويميز هوميروس نوعين من السفن، يتمثل النوع الأول في السفن الطويلة الموجهة أساسا للرحلات السريعة، وتكون أطرافها مدببة وتحمل عددا كبيرا من الملاحين. أما النوع الثاني فيكمن في السفن المستديرة الموجهة للنقل، وهي المهمة التي تتطلب القوة أكثر[3].

لقد اتفقت جل المصادر تقريبا على أن معظم السفن التجارية كانت مستديرة الشكل ومقعرة، وذلك لتسهيل عملية شحنها بكميات كبيرة من البضائع، كما أنها تميزت بأطرافها المرتفعة التي تغيرت مع التطورات التي طرأت عليها، بحيث أصبحت المقدمة أقل ارتفاعا من المؤخرة، وتحمل رمزا بشكل رأس حيوان [4]، كرأس حصان أو رأس أسد أو رأس طير البجع، ومعظم تلك السفن كانت شراعية[5]. (أنظر الشكل رقم: 7 (أ،ب) ص.39).

كما يلاحظ أن المجذاف قد لا يستعمل إلا عند غياب الرياح، وذلك لتحقيق التوازن على المسطحات المائية وليس لاكتساب السرعة هذا من جهة، ومن جهة أخرى تستعمل السفن صواري عديدة وتزود بالأشرعة المربعة الشكل في كثير من الأحيان وتكون مربوطة بحبال ومزودة بسكان يوضع في مؤخرتها[6] .

لقد استعمل هذا النوع من السفن في البحر المتوسط منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد على يد الفينيقيين، قبل أن يعرفه القرطاجيون الذين استطاعوا الوصول إلى السواحل الشمالية للمحيط الأطلسي خلال القرن الخامس قبل الميلاد[7].

---

(1) - Ibid, p.44.

(2) -Gaudio (A.), op-cit., p.26.

(3) - Ibid, p.34.

(4) - يظهر خاصة هذا الشكل لدى السفن الحربية.

(5) -Casson (L.), op-cit., pp.235-253 .

(6) – السكان: استعمل هذا الجهاز في القديم، الذي كانت وظيفته تضمن توجيه السفينة، خاصة في القوارب الصغيرة فهو على شكل مقبض يوضع في مؤخرة السفينة، وقد كان استعماله ضروريا في السفن الشراعية ونجده وتزود به السفن التجارية والحربية على السواء. لمزيد من المعلومات أنظر:

(7) - Vars (J.), Art nautique dans l'antiquité, Klincksieck, Paris, 1886, pp.120-126.
- Conteneau (G.), op-cit., p.30.

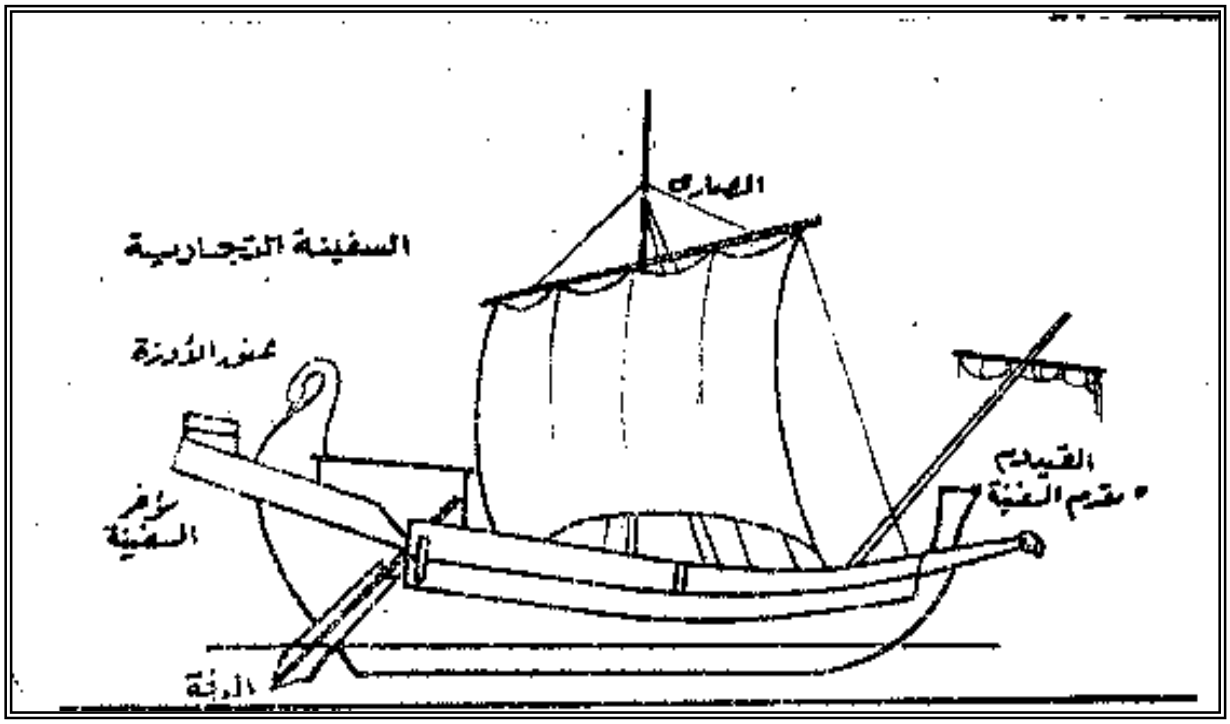

أ- نموذج لسفينة تجاريـــة فينيقيـــة.

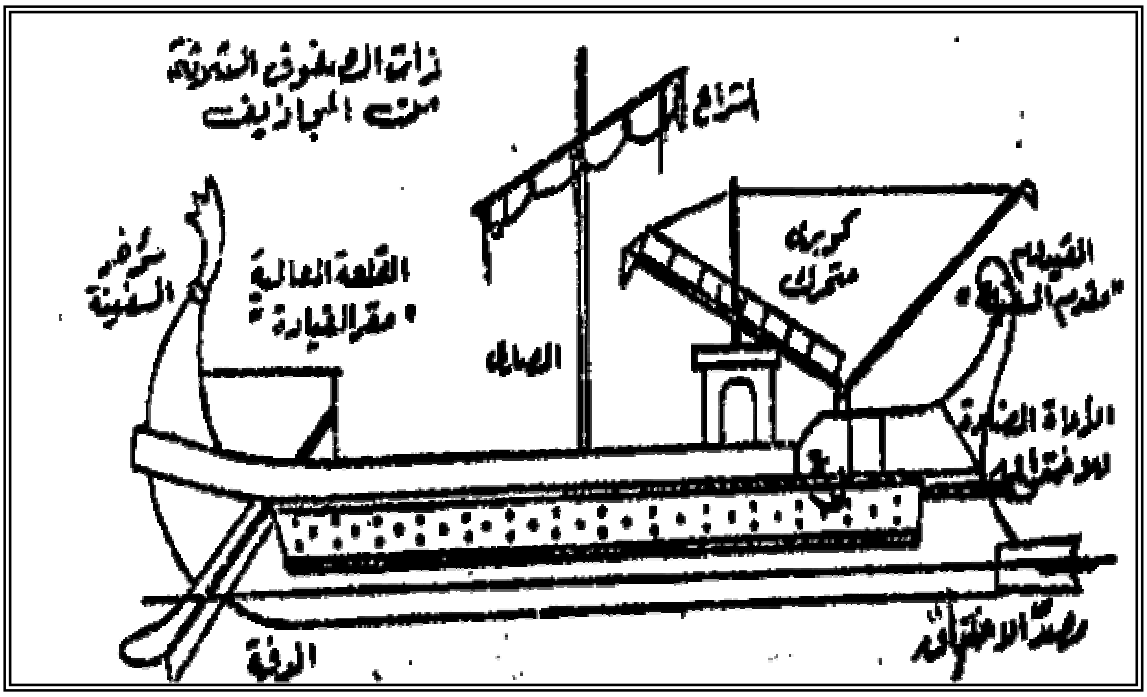

ب- نموذج لسفينة حربية فينيقية ذات الصفوف الثلاثة من المجاذيف.

الشكل رقم:7 (أ،ب).

اعتمادا على:.Casson (L.), op-cit., p.235-

نستشف من كل التقنيات التي استعرضناها فيما سبق، أن تعدد أنواع السفن التجارية من حيث أشكالها وتخصصها الذي لم يظهر في بداية النشاط البحري، بل كان نفس النوع من السفن يقوم بعدة مهام كالصيد ونقل البضائع وأعمال القرصنة. ومع ظهور التخصص، اتجهت السفن حسب مهامها[1] فتخصصت بعض السفن في نقل الخمور التي كانت تنقل عن طريق جرار تسد بالفخار وتغطى بأوراق الكروم[2].

ومع تطور النشاط البحري، أنشئت قوارب وسفن حربية كانت مهمتها هي مرافقة الأساطيل التجارية، وذلك حتى تحميها من الأخطار التي تواجهها أثناء الرحلة، وتتميز القوارب والسفن المشار إليها بالخفة والسرعة[3].

2- السفن الحربية:

احتفظت الشعوب القديمة بسر دبلوماسيتها البحرية وبتقاريرها الإدارية، هذا بالإضافة إلى تدمير أرشيفها[4]، الأمر الذي جعل معلوماتنا على السفن الحربية تكاد تكون قليلة.

غير أن الشيء المؤكد، هو أن تتبع أرشيف معلومات السفن الحربية لم يظهر منذ البداية كميدان مستقل لذلك كانت الدراسة تتعثر، وغالبا ما كان الاهتمام بالسفن القديمة التجارية تأخذ سهم الأسد بل كانت كل السفن في الأصل من نوع واحد، حيث استعملت السفن التجارية في نقل المؤونة ونقل الفرق العسكرية، ثم تطورت مع تطور الحروب بين الشعوب، وبالتالي انفصلت السفن الخاصة بالحرب عن السفن التجارية[5] (أنظر الشكل رقم: 8 (أ،ب) ص.41).

وهكذا، أدت ضرورة الحرب التي نتجت عن التنافس التجاري والتوسعي إلى ميلاد سفن طويلة منخفضة وضيقة تتحرك بواسطة المجاذيف، ولا تستعمل الشراع إلا خلال الرحلات الطويلة، كما تتميز أيضا بمؤخرة مرتفعة ومقدمة تنتهي بنتؤ يلامس سطح المياه، وهدف هذا الأخير هو تحطيم سفن الأعداء. وتتكون أيضا من صفين أو ثلاثة من المجاذيف يتم تنظيمها بشكل تسهل فيه عملية رمي الرماح[7].

---

(1) - Ibid.

(2) - Casson (L.), op-cit., p.213.

(3) - Charles-Picard (G.) et (C.), La vie quotidienne à Carthage au temps d'Annibal, III siecle av.J-C, Hachette, Paris, p.243.

(4) - عبد الله محمود حسين، دراسات التاريخ العسكري، المنارة، ط. 1، بيروت، 2000، ص.254.

(5) - Carthault (A.C.), La trière Athénienne, Paris, 1881, pp.21-24.

(7) - Rougé (J.), La marine…, p.12.

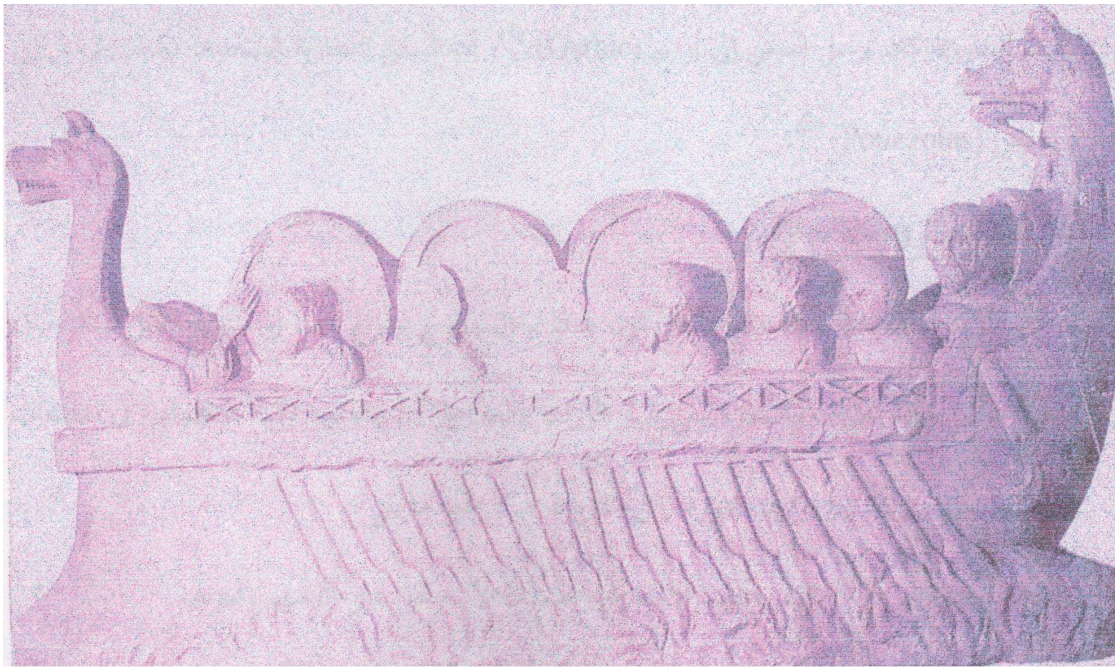

أ–صورة تمثل نقش لسفينة رومانية تجارية بمجاذيف.

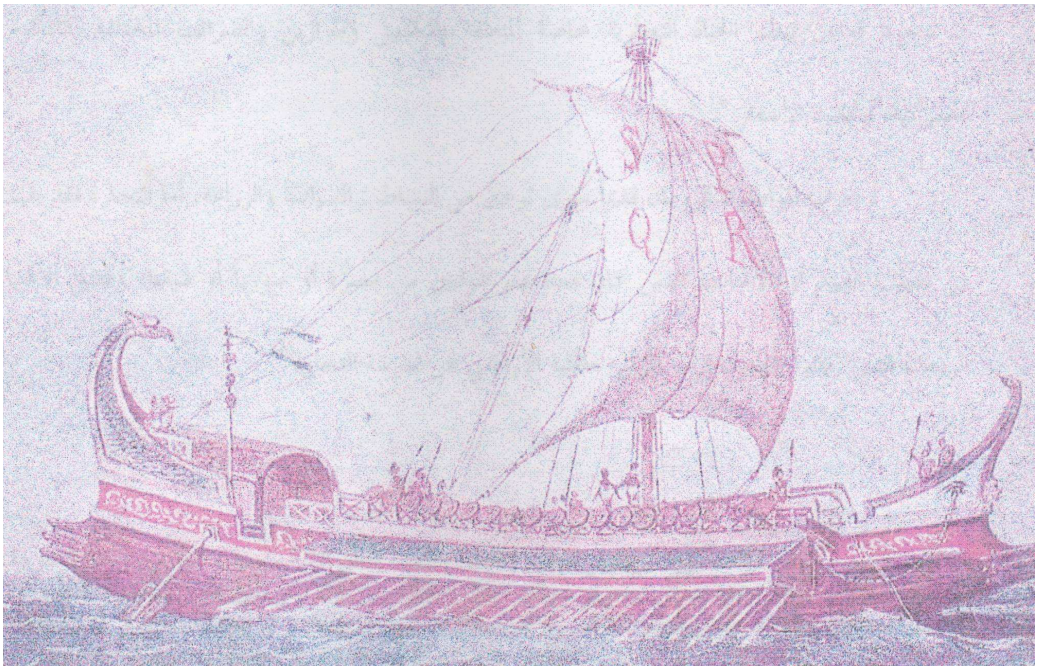

ب– صورة تمثل سفينة رومانية حربية تجمع بين الشراع و السارية و المجاذيف.

الشكل رقم:8 (أ،ب).

اعتمادا على: - Cousteau(J.Y.), La quête de la nourriture, éd. Grammont, Paris, 1975, p. 24.

إلا أن تأثير الشعوب ببعضها البعض، أدى إلى التوازن في القوى وبالخصوص في التقنية الحربية، ومن نتائج ذلك أن ظل الصراع قائما على الأخص بين الإغريق والفينيقيين ثم بين القرطاجيين والرومان خلال قرون عديدة، وهو الأمر الذي شجع على تطور الإستراتيجية العسكرية التي أصبحت أكثر تعقيدا وبالتالي تكوين أنواع عديدة من السفن[1] .

2-تأسيس المحطات التجارية:

تلتقي حضارات العالم القديم على ضفاف البحر المتوسط، مما جعل هذا الأخير يكتسي أهمية لا مثيل لها في الملاحة العالمية، وبالتالي أصبح مركزا هاما للنشاط الاقتصادي والتبادلات التجارية آنذاك، فاندفعت شعوبه إلى تطوير المنشآت البحرية لتستجيب لمثل ذلك النشاط هذا من جهة[2].

ومن جهة أخرى، نلاحظ أن النشاط البحري القديم كان قد دفع الإنسان إلى ضرورة التنقل والسفر بعيدا يقطع خلالها مسافات طويلة، يضطر على إثرها إلى إيجاد محطات (إسكالات) للاستراحة من أتعاب السفر[3]. و لقد تحولت تلك المحطات بمرور الزمن إلى مستوطنات قارة، يلتقي فيها البحارة مع السكان القريبين منها. ومن بين تلك المستوطنات نشير إلى تلك التي امتدت على طول سواحل البحر المتوسط بضفتيه الشرقية والغربية[4].

بناءاً على ما سبقت الإشارة إليه، فقد قمنا بتقسيم المحطات التجارية أو الموانئ القديمة في غربي البحر المتوسط إلى محطات طبيعية وأخرى اصطناعية:

أ- المحطات التجارية الطبيعية:

لقد اختير لتلك المحطات في بداية الأمر خلجان طبيعية محمية برؤوس أو أنشئت على جزيرات قريبة من الشواطئ الرملية القليلة الانحدار[5]، ولا أثر لوجود أرصفة حولها مما جعل عملية رسو القوارب صعب[6].

ويبدو أن السفن الكبيرة كانت ترسو بعيدا عن الموانئ، هذا إذا كانت هذه الأخيرة موجودة حينذاك؟.

بينما تسحب القوارب إلى اليابســـة أثناء الليل أو عند الإستراحة من عناء التجذيـــف

---

(1) - Casson (L.), op-cit., pp.25-30.

(2) -Polybe, op- cit., p.21.

(3) -Ibid.

(4) -Conteneau (G.), op-cit., p 307.

(5) -Rougé (J.), op- cit. p.179.

(6) -Lieussou (M.A.), op-cit,. p.307.

اليومي أو عندما يضطرب البحر[1].

وبذلك، اكتفى الملاحون الأوائل باستعمال الموانئ الطبيعية، ولم يحاولوا إجراء أي تعديلات عليها أو تحويلها إلى محطات اصطناعية قبل أن يشعروا بالحاجة إلى ذلك[2].

ب- <u>المحطات التجارية الاصطناعية</u>:

لقد تطورت الموانئ الطبيعية مع الحاجة الاقتصادية المتمثلة في إجراء عمليات المقايضة لإيجاد موانئ اصطناعية، وقد زودت هذه الأخيرة في بداية الأمر بمخابئ للقوارب والسلع وتحولت إلى موانئ شبه مغلقة وذلك عن طريق إنشاء أحواض وحواجز في عرض البحر، ولا يظهر الاختلاف كبيرا في طريقة بنائها من شعب بحري إلى آخر[3].

و هكذا، يمكن أن نشير إلى أن الباحثين الأثريين استطاعوا أن يميزوا بين نوعين من الموانئ الاصطناعية:

بحيث تتمثل الأولى في الموانئ الكبيرة، وهي ذات أهمية كبرى، أما الثانية فهي عبارة عن موانئ صغيرة لا تتعدى ملاجئ لقوارب الصيد، وقد زودت هذه المحطات بأحواض وكاسرات وأرصفة[4]، وهي التي تشكل المرافق الأولى للموانئ التي سنتناولها بشيء من التفصيل:

1-<u>الأحواض</u>:

للأحواض أهمية مزدوجة، باعتبارها موانئ تصلح وتبني فيها القوارب والسفن لفترة محددة، ويمكن أيضا أن تبقى فيها وربما أيضا تتخذ كمرافئ يتم بها تفريغ حمولة القوارب والسفن ثم شحنها، ونظرا لتلك الأهمية فقد زودت بعض الموانئ الهامة بعدة أحواض[5].

2- <u>الكاسرات</u>:

الكاسرات هي عبارة عن جهاز وقاية ضد الرياح، أو حاجزا يوضع أمام تراكم الطمي داخل الميناء، وتتكون الكاسرات من مجموعة من الدعائم أو الركائز الضخمة متماسكة ببعضها البعض بواسطة أقواس، وقد اعتمد في إنشائها على حجر البوزولان

---

(1) -Conteneau (G.), op-cit., p.308.

(2) -Vernaz, « Note sur les fouilles à Carthage », R.A., 1897, p.39.

(3) -Meirat (J.), Marine antique en méditerranée, éd. Finin Didot, Paris, 1964, p.72.

(4) -Ibid .

(5) -Rougé (J.), Recherches sur l'organisation du commerce maritime en méditerranée sous l'empire romain, Paris, 1966, p.148.

المتوافرة بكثرة في منطقة إيطاليا بالخصوص ومنها كان يصدر إلى مناطق العالم القديم[1].

3- الأرصفة:

تعتبر الأرصفة أمرا لازما وضروريا في الميناء سواء كان ذلك طبيعيا أو اصطناعيا، فمن الخطر أن ترسو السفن مباشرة على الشاطئ. وقد تقام الأرصفة على طول الساحل وتتكون عادة من جدار، وتكمن أهميتها في المحافظة علـــى عمق كافي حتى يتسنى الرســـو بالسفـــن الكبيرة التي تجر بواسطة الحبال لتثبت على الرصيف[2]. ومثال على تلك الموانئ الفينيقية التي زودت بأرصفة نذكر ميناء قرطاجة[3]، الذي سيتسنى لنا الحديث عنه وأخذه كنموذج في عملنا هذا.

4- قيادة الميناء:

إلى جانب الأحواض والكاسرات ثم الأرصفة وجد بالميناء و بالقرب من الأحواض إدارة خاصة تعرف بقيادة الميناء، وهي خاصة بالتنظيم والسهر على مراقبته.

كما زود الميناء بمكاتب ومخازن تجارية كبرى (Horri) وهي بمثابة مخابئ تخزن فيها البضائع التي تفرغ أو تنقل نحو المخازن أو إلى السفن، كما تحتوي على ورشات للبحارة وأصحاب السفن والتجار، إلى جانب عمال الموانئ أو ما يعرف بالحمالين[4].

وما تجدر الإشارة إليه، أن المنشآت الملحقة بالميناء ظهرت بصفة واضحة خلال العهد الروماني، لأن الأباطرة الرومان كانوا قد اهتموا أكثر من غيرهم بالنشاط البحري، لما تدره عليهم التجارة البحرية من ثروات وأرباح طائلة والتي غيرت مجرى تاريخهم[5].

3- نماذج لأهم المحطات الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط:

سوف لن تخرج دراستنا للمحطات الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط عن التقليد الذي سلكه غيرنا من الباحثين، والذي غالبا ما يراعى فيه الترتيب الكرونولوجي والمنطقة التي وجدت بها تلك المحطات. وبما أن دراستنا هذه تتناول الحوض الغربي للبحر المتوسط، فسوف نكون ملزمين بالإشارة إلى المحطات الباكرة في المنطقة وفقا للكرونولوجي الزمني.

---

(1) -Ibid., p.157 .

(2) -Bloch (R.) et Conssin (J.), Rome et son destin, éd. Armand Colin, Paris, 1960, p.263.

(3) -Meirat (J.), op-cit., p.86.

(4) -Rougé (j.), Recherches …, p.157.

(5) -Ibid .

أ- محطة ليكسوس:

تعد محطة ليسكوس (Lixus) من أبرز المحطات الفينيقية الباكرة التي أسست على سواحل المحيط الأطلسي بعد اجتياز الفينيقيين لأعمدة هرقل[1]، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ استرابون (Strabon) بقوله : "... إن الفينيقيين الذين اجتازوا أعمدة هرقل، كانوا قد أسسوا مستوطنات على شواطئ البحر الخارجي بعد وقت قصير من حرب طروادة"[2].

وتشير الكتابات التاريخية، إلى أن تأسيس هذه المحطة يعود إلى نهاية القرن الثاني ق.م ، و قد تم تأسيسها على يد البحارة الفينيقيين الذين قدموا من شرقي البحر المتوسط وهي بذلك معاصرة لمدينة قادس و سابقة لمدينة أوتيكا. وفي هذا الصدد، يقول المؤرخ بلينوس الكبير (Pline l' ancien) من جهته: " بأن مستوطنة ليكسوس يمكن أن تكون أقدم من قادس وأوتيكا "، و يستدل على ذلك بأن معبد الإله هرقل (ملقارت) في ليكسوس كان أقدم من مماثله في قادس[3].

و بفضل وجود قادس في الطرف الجنوبي الغربي من إسبانيا و ليكسوس في الطرف الشمالي الغربي من القارة الإفريقية، تحكم الفينيقيون و القرطاجيون من بعدهم في بوابة الدخول الغربية للبحر المتوسط [4].

وعلى هذا الأساس، لا يمكن أن نستبعد أن الغرض الذي أسست من أجله محطة ليكسوس كان استراتيجيا و تجاريا، ذلك أنها كانت تعتبر مع قادس بمثابة المفاتيح على المحيط الأطلسي، وقد استعان بها القرطاجيون خلال رحلة حنون إلى إفريقيا الاستوائية في القرن الخامس ق.م[5]، وقد أنشئت المدينة على الضفة اليمنى لنهر ليكسوس (نهر ذرعا

---

(1) – أعمدة هرقل: هي مضيق جبل طارق حاليا، سميت كذلك نسبة إلى القائد الإغريقي الأسطوري هرقل(Hercules) الذي عبر بجنوده المضيق إلى بلاد المغرب القديم من شبه جزيرة إيبيريا. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.73.

(2) – حرب طروادة: وقعت حرب طروادة في القرن الثاني عشر ق.م، أي قبل إنشاء المدن الأيونية الإثني عشر وبعد أن استعمر الآخيون غربي آسيا الصغرى استفاقت لديهم ذكرى أمجادهم الأولى في حرب طروادة (1200ق.م) ونظموا القصائد الملحمية في القرن التاسع تخليدا لتلك الذكرى. لمزيد من المعلومات انظر:

- Caratini (R.), op-cit., p.936, 3, c.

(3) -Pline L'Ancien, Histoire naturelle, Paris, 1964, V, 17.

(4) - Gsell (S.), H.A.A.N., T.I, p.360.

(5) – تمت رحلة حنون في نهاية القرن الخامس ق. م وقد حفظها لنا مخطوط يوناني في هيدالبرغ. كما يروي لنا بلينوس كيف تمت هذه الرحلة، حيث انطلق حنون في البحر المتوسط، عازما على الرجوع إلى وطنه عن طريق مصر ولكن غزو الفرس لمصر سنة 525 ق.م جعل الرجوع عبرها مستحيلا...لمزيد من المعلومات أنظر: ./.

القديم) و الذي يصب في المحيط الأطلسي، مكونا بذلك خليجا صالحا للملاحة، وتجدر الملاحظة إلى أن موقع ليكسوس الأثري حاليا يحتل مرتفعا يبعد بحوالي 4 كلم شمال مدينة العرائش، وقد عرفت ليكسوس في الماضي بمدينة تشميش (Tichemiche) أي مدينة الشمس[1].

وقد بدأت التنقيبات الأثرية في بقايا مدينة ليكسوس منذ حوالي سنة 1845م على يد البعثة الألمانية التي كان يقودها العالم الأثري بارث (Barth) الذي استطاع أن يحدد معالم المدينة القديمة[2].

وفي سنة1920م، تولت التنقيب في نفس المكان المشار إليه آنفا، بعثة إسبانية كان مركزها مدينة تيطوان، و لم تصل إلى نتيجة إلا بعد سنة 1948م عندما تولى الإشراف على التنقيب في مدينة ليكسوس العالم الأثري الإسباني ترادیل(Tradelle) الذي استعمل الطرق العلمية الحديثة في التنقيب، ثم تعمق في الحفر حتى بلغ الأرض العذراء[3].

وعلى ضوء الدراسات المقارنة، يمكن أن نقول بحق أن محطة ليكسوس كانت من بين أهم المستوطنات الفينيقية، وكانت علاقتها بمحطة قادس أحسن بكثير من علاقتها بقرطاجة في بلاد المغرب القديم، ويمكن أن يكون السبب في ذلك هو قصر المسافة التي تربط بينها وبين الأولى[4].

ب- محطة أوتيكا:

تشير المصادر الكتابية، إلى أن سليمان ملك العبرانيين، كان يزود الفينيقيين في شرق البحرالمتوسط بالمواد الغذائية، فكان على هؤلاء الأخيرين أن يبحثوا عن مراكز تمويل أخرى، فوجدوا ذلك متوافرا في سهول شمال تونس، فأسسوا بذلك مدينة أوتيكا التي تقع على الطريق إلى قادس[5].

ويذكر المؤرخ استرابون (Strabon) من جهتـــه، بأن الفينيقيين قد وضعوا يدهم على أفضـــل الأماكـــن في شبه جزيـــرة أيبيريـــا، و في ليبيـــا قبل عصـــر هوميـــروس

-Pline L'Ancien, op-cit., v,17…

(1) – أحمد المكناسي، مدينة ليكسوس الأثرية، دار كريمات، تيطوان، 1961، ص.09.

(2) – محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في الجزائر...، ص.88.

(3) – نفسه.

(4) -Decret (F.), op-cit., pp.38-41.

(5) -Ibid.

.[1] (Homére)

كما يذكر المؤرخ الإغريقي بلينوس (Pline l'ancien)، أنه وجدت أخشاب أرز في عهده بمعبد الإله أبولون (Apollon) بأوتيكا، يعود تاريخها إلى سنة 1178 قبل حلوله بها[2]، علما بأن بلينوس قد ألف كتابه " التاريخ الطبيعي" حوالي سنة 77ق.م، وبذلك يكون من المحتمل جدا بأن تأسيس مدينة أوتيكا كان قد تم حوالي سنة 1101ق.م[3].

وفي معاهدة نسبت إلى أرسطو[4] تشير إلى أن تأسيس مدينة أوتيكا ، كان قد سبــق تأسيس مدينة قرطاجة بحوالي 287 سنة، وهذا يتفق مع ما ذكره المؤرخ بلينــوس، هذا إذا كانت قرطاجة قد أسست فعلا في حوالي 814ق.م كما ورد في المصادر الكتابية القديمة[5].

ولعل نتائج الأبحاث الأثرية المتواصلة في كل من أوتيكا و قرطاجة ستغطي هذه الفترة في المستقبل.

استنادا إلى ما سبق، ندرك بأن الغرض الذي أنشئت من أجله أوتيكا قد يكون على الأرجح اقتصاديا و استراتيجيا، نظرا لموقعها على الطريق الرابطة بين صور و قادس (أي ترشيش)، ومن جهة أخرى وقوعها في سهول شمال تونس الغنية بثرواتها الطبيعية[6].

زيادة على ذلك، فقد كانت مدينة أوتيكا مركزا تجاريا التقى فيها في بداية الأمر التجار الفينيقيون بالسكان المحليين لبلاد المغرب القديم، وقد تعزز مركزها بعد تأسيس مدينة قرطاجة رغم التنافس الذي كان بينهما فيما بعد[7].

وما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن التنقيبات الأثرية قد بدأت منذ وقت مبكر، إلا أنها حتى الآن لم تعط نتائج هامة فيما عدا بعض النصب التذكارية و الفخاريات التي تعود إلى حوالي القرن الثامن قبل الميلاد[8].

---

(1) -Strabon , III, 2-14 .

(2) -Pline L'Ancien, XVI, 216 .

(3) -Gsell (S.), H.A.A.N., T.1, p.360.

(4) - أرسطو: فيلسوف يوناني عاش ما بين 384–322ق.م، كان أحد تلاميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر، كتب في مواضيع متعددة تشمل الفيزياء والشعر والمنطق وعبادة الحيوان والأحياء وأشكال الحكم. لمزيد من المعلومات أنظر:
- Aristote, Politique, II.

(5) - Gsell (S.),H.A.A.N., T.1, p.360.

(6) – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي في الجزائر...، ص.78.

(7) -Caratini (R.), op-cit., p.936.A.a.

(8) -Cintas (P.), Manuel d'archéologique punique…, pp.294-298.

ومن أهم اللقى الأثرية التي عثر عليها في موقع أوتيكا، الجعران المصري الذي يعود على الأرجح إلى فترة الهكسوس[1] بمصر، إضافة إلى بعض التمائم و اليد العاجية التي يعتقد بأن وجودها يسبق بداية الألف الأولى ق. م[2].

وعلى أية حال، فالنتيجة التي نستخلصها من دراستنا للبقايا المادية في مدينة أوتيكـــا، تشير إلى أن هناك ثغرة بين معطيات المصادر المادية، و معطيات المصادر الكتابية و تلك الثغرة لا تزال تنتظر الاستكمال بغية أن يتم الاتفاق حول تأسيس تلك المدينة.

وخلاصة القول، أن مدينة أوتيكا كانت من بين المستوطنات الباكرة التي ساعدت البحارة الفينيقيين على خوض البحر المتوسط، و سهلت لهم فيما بعد تأسيس المستوطنات اللاحقة على سواحل بلاد المغرب القديم، لاسيما مدينة قرطاجة التي كان لها السيادة في الحوض الغربي للبحر المتوسط برهة من الزمن.

ج- <u>محطة تيبازة:</u>

يعد موقع تيبازة (Tipasa) من المواقع الأثرية القديمة، التي نالت حظها من الدراسة و التنقيب[3] على يد الكثير من الباحثين الأثريين، و هو ما ترتب عنه وضوح الرؤية فيما يخص التواجد الفينيقي البوني بها، الذي أصبح مؤكدا منذ القرن السادس قبل الميلاد بناءاً على اللقى الأثرية التي أبرزتها معاول المنقبين[4].

ويلاحظ من جهة أخرى بناءًا على الدراسات التي تناولت موقع تيبازة[5]، أن اسمها لم يطرأ عليه أي تغيير، كما أنه كان سامي الأصل، وحسب ما ورد في المصادر الكتابية القديمـــة فإن البحارة الفينيقيين كانوا قد نزلوا بها لأغراض تجاريـــة، وذلك نظـــرا لسهولة شاطئها وملاءمته لبدائيتهم في التعامل مع البحر، حيث يسهل عليهم جر قواربهم البسيطة إلى

---

(1) - الهكسوس: هم قبائل آسيوية قديمة، قامت بعدة غزوات على مصر، وكان خروجهم على يد الملك تحوتمس الأول. هم أقوام من البدو، لم يكونوا من جنس واحد بل كانوا خليطا من قبائل متعددة. عرفوا في الحضارة المصرية باسم حكام البلاد الأجنبية. لمزيد من المعلومات أنظر:

- Moscati (S.), Histoire des civilisations des peuples sémitiques, éd. Payot, Paris, 1955, p. 121

(2) – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.79.

(3) -Cintas (P.), Fouilles puniques à Tipasa, extrait de la R.Af., T. III et IV, 1949, p.14.

(4) -Bouchenaki (M.), Recherche punique en Algérie, in riccerch puniche mel méditerranéo centrale, Rome, 1970, pp. 64-67.

(5) – تيبازة: أطلق المغاربة القدماء فيما بعد على تيبازة اسم تفاسيد (Tefassed) وهي كلمة محلية يتعذر علينـــا شـــرحها حاليا. لمزيد من المعلومات انظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.181.

اليابسة ليلا أو عند الاستراحة من عناء التجديف اليومي[1].

لقد كانت مدينة تيبازة تمثل خلال العهد القرطاجي محطة للتبادل التجاري بين الفينيقيين و الليبيين القدماء، كما كان ميناؤها أيضا يستعمل لصيد الأسماك [2].

وقد استنتج الباحث سينتاس (Cintas) أثناء دراسته لمحطة تيبازة البونية، بعد المسافة التي تفصلها عن بقية المستوطنات التجارية الأخرى، سواء من الجهة الشرقية أو من الجهة الغربية، و قد توصل إلى أن المسافة التي تفصل أية محطة تجارية في بلاد المغرب القديم عن التي تليها لا تتجاوز إبحار يوم كامل، وذلك ما يقدر بحوالي ثلاثين إلى خمسين كيلومترا[3] .

ومهما يكن، فإن محطة تيبازة تعد من المواقع الأثرية التي كانت رائدة في اللقاءات الباكرة بين التجار الفينيقيين و المغاربة القدماء، بدليل مخلفات القبور الموجودة بالقرب من المرتفع الذي أقيم فيه المنار في وقتنا الحالي [4]، وتوسطها بين أيكوزيوم (Icosium) (الجزائر العاصمة) و أيول (Iol)(شرشال)، التي ستصبح فيما بعد عاصمة موريطانيا القيصرية وقد عثر فيها على نقيشة مسيبسا الأثرية[5].

د- <u>محطة قورايا:</u>

يعتبر موقع قورايا (قونوقو)(gunugu)، قبة سيدي إبراهيم حاليا من بين المواقع الهامة التي لعبت دورا لا يستهان به خلال العهد البوني بصفة خاصة [6]. فعلى مسافة 33 كلم إلى الغرب من شرشال الحالية، أنشئت محطة قورايا التي يستنتج من بقاياها الفخارية بأن القرطاجيين كانوا قد امتزجوا فيها بالسكان المحليين، و أن عادة دفن جثة الميت لدى سكانها كانت تتم وفقا للطريقة الشرقية التي كان يتبعها الفينيقيون، وهذا ما يؤكد حقيقة الامتزاج الحضاري بين الشعبين الفينيقي و المغاربي[7].

---

(1) -Gsell (S.), Tipasa ville de la Mauritanie Césarienne in M.E.F.R., 1894, T.XIV, pp.293-321.

(2) -Ibid.

(3) -Bouchnaki (M.), op-cit., p.66.

(4) -Cintas (P.), Fouilles puniques à Tipasa…, pp. 9-12.

(5) – مسيبسا: نصب حاكما لنوميديا وعمل على مد جسور العلاقات الودية مع روما، غير أن ميسبسا سينفرد بالملك بعد وفاة إخوته في وقت مبكر. لمزيد من المعلومات أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973، ص.46.

(6) – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.185.

(7) – محمد الصغيرغانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط... ، ص.99.

وقد كشفت الحفريات الحديثة التي أجريت فيها على ثلاث مقابر بونية أرخ لبعضها السردابية بحوالي القرنين الثالث و الرابع قبل الميلاد[1].

ه- <u>محطة رشقون:</u>

تعد جزيرة رشقون (Rachgoun) من أقدم المحطات الأثرية البونية التي عثر عليها في السواحل الجزائرية، وذلك نظرا لفخارياتها العائدة إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد[2].

تقع محطة رشقون في عرض الخليج الذي يصب فيه وادي التافنة، ولا تبعد عن اليابسة إلا بمقدار 2 كلم ، ولا تزيد مساحتها على 15 هكتار[3].

وقد كشفت الحفريات التي قام بها فويمو (Vuillemot) عند مراكز تجمع سكاني يتوسط المرتفع الموجود في الجزيرة، ضف إلى ذلك الكشف عن مقبرة بونية ثبت بعد تقص و دراسة للفخاريات التي عثر عليها في الطبقات السفلى للجزيرة بأن هناك تقارب بينها وبين تلك التي عثر عليها في كل من صقلية و أوتيكا و قرطاجة[4].

ومهما يكن ، فإن محطة رشقون لازالت لم تنل حظها من الدراسة كغيرها من المحطات التجارية البونية في الجزائر، و هي تنتظر مجهودات مكثفة تضاف لتلك التي بذلت، بغية الكشف عن مدى امتزاج الحضارة الفينيقية البونية بالحضارة المغاربية في ذلك الزمن المتقدم .

نستخلص من كل ما سبق، أن عوامل التوسع الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط قد تمثلت في مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية، و أخرى اجتماعية، والحقيقة أن كل هذه العوامل تفاعلت فيما بينها و خلقت جوا ساعد الفينيقيين على الهجرة إلى سواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط وتأسيس محطات آلت فيما بعد إلى محطات تجارية ثابتة.

وقد اعتمد الفينيقيون في أسفارهم على القوارب وسفنـــهم المختلفة، التي كانت تشـــق

---

(1) – يعتقد من خلال دراسة فخاريات قورايا الموجودة في متحف الجزائر العاصمة وشرشال بأن النوع الإغريقي من هـــذا الفخار ربما يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقـــي البوني في الجزائر...، ص. 185.

(2) -Bouchenaki (M.), op-cit.,pp.59-73.

(3) - محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.192.

(4) -Bouchenaki (M.), op-cit., p.73.

عباب البحر المتوسط، وتنقسم إلى سفن تجارية وأخرى حربية، التي كانت في الأصـــل من نوع واحد، ثم تطورت مع تطور الحروب بين الشعوب، و بالتالي انفصلت السفن التجارية عن السفن الحربية.

ومن بين المحطات الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، نجد محطة ليكسوس على سواحل المحيط الأطلسي وأوتيكا التي تقع على الطريق المؤدي إلى قادس، إضافة إلى محطات أخرى تقع على الشريط الساحلي الجزائري، كمحطة تيبازة، ومحطة قورايا، ومحطة رشقون، وهذا ما يؤكد الامتزاج الحضاري بين الشعبين الفينيقي والمغاربي.

الفصل الثاني:

دور مستوطنة قرطاجة في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

أولا- نشأة مدينة قرطاجة.

1-محتوى أسطورة عليسا وتأسيس المدينة.

2-أوضاع المغرب القديم قبيل تشييد مدينة قرطاجة.

3-دور قرطاجة في العلاقة القرطاجية المغاربية.

ثانيا- التنظيم السياسي القرطاجي.

1-مراحل الحكم السياسي.

أ- المرحلة الأولى.

ب- المرحلة الثانية.

ج- المرحلة الثالثة.

2- وظائف المؤسسات الدستورية القرطاجية.

أ- الملك.

ب- مجلس الشيوخ.

ج- مجلس الشعب.

ثالثا- ميناء قرطاجة والنشاط الاقتصادي القرطاجي.

1- الميناء.

2- النشاط الاقتصادي القرطاجي.

أ- التجارة.

ب- الصناعة.

ج- الزراعة.

رابعا- علاقة قرطاجة بموانئ الحوض الغربي للبحر المتوسط.

1-التوسع القرطاجي.

2-الصراع القرطاجي الإغريقي.

3-الصراع القرطاجي الروماني.

أولا- نشأة مدينة قرطاجة:

ليست لدينا مصادر مباشرة خاصة بتاريخ بلاد المغرب القديم، فيما عدا ما كتبه المؤرخون الإغريق والرومان، لذلك فإن معظم معلوماتنا مستمدة من النقوش التي عثر عليها في موقع المدن الفينيقية القرطاجية في حوض البحر المتوسط. وإن كانت تلك المعلومات هي الأخرى لا تفي بالغرض المطلوب، ذلك لأن معظمها كان متعلقا بالجوانب الدينية ولا يتعدى ذكر أسماء الآلهة والأشخاص ثم الأماكن[1].

إضافة إلى ذلك، لدينا المصادر المادية التي تتمثل في المواد غير القابلة للفناء، والتي بقيت في أماكن المدن الفينيقية البونية في بلاد المغرب القديم، ويأتي على رأس تلك المواد: الفخاريات وبعض المعادن والنصب التي تعود على الأرجح إلى حوالي منتصف القرن الثامن قبل الميلاد وما يليه[2].

ومن جهة أخرى، تكاد المصادر الكتابية تتفق على اعتبار سنة 814 ق.م تاريخا رسميا لتأسيس مدينة قرطاجة (Carthage) من طرف المهاجرين الفينيقيين، كما أن تأسيسها كان قد سبق بداية الألعاب الأولمبية الأولى (776 ق.م)[3] بحوالي 38 سنة تقريبا، وتأخر عن بناء مدينة أوتيكا بما يقارب 287 سنة[4].

1- محتوى أسطورة عليسا وتأسيس المدينة:

جاء في محتوى أسطورة عليسا بأنه بعد وفاة متان (Muttan) حاكم مدينة صور بقي الحكم لابنيه عليسا (Ellissa) وبغماليون (Pygmalion) [5]، وقد كانت الأميرة عليسا تتمتع بقدر كبير من الجمال، فتزوج منها خالها عاشر باس (Acherbas) الكاهن الأكبر لمعبد الإله ملقارت[6]، وقد كان هذا الكاهن ذا جاه وثروة، حيث خشي عليها من اللصوص،

---

[1] - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.162.

[2]- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.82.

[3]- الألعاب الأولمبية: كانت الأولمبيا من أقدم المراكز الدينية في العالم اليوناني القديم، وبما أن الألعاب كانت طريقة يكرم بها الإغريقيون آلهتهم، فقد كان من المنطقي أن يقيموا الألعاب عند المعبر الرئيسي.لمزيد من المعلومات أنظر:

-Bayle (F.), Louvre guide de visite, Artlys, Paris, 2005, p.24.

[4] -Gsell (S.), H.A.A.N., T.1, pp.397-388; Decret(F.), op-cit., p.52.

[5]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص.96.

[6]- الإله ملقارت (ملقرط) : هو الإله الرئيسي في مدينة صور وقرطاجة، ويعتبر الإله الحامي للمدينة، وقد شبهه الإغريق بإلههم "هرقليس" (Herculés) وذكره الرومان تحت اسم "هرقل" (Hercule)، يتركب اسمه من كلمتين الأولى "ملك" التي تعني "الرب" والثانية "قرط" والتي تعني المدينـــة، وبذلك يكون الاسم ككل "ملك المدينة" أو ربها. وقد تكرر اسمـــه عدة ٪

فدفنها تحت جدران المعبد، وعندما بلغ نبأ الكنز المدفون أسماع بغماليون، الذي كان هو الآخر شغوفا بالثروة، اغتنم الفرصة وقتل زوج أخته بغية الحصول على ماله[1].

ولما عرفت عليسا بمكيدة أخيها بغماليون، حملت أموال زوجها وأبحرت خفية صحبة أتباعها إلى جزيرة قبرص[2]، حيث انضم إليها هناك أحد كهنة الآلهة عشتارت (Astarte)[3] بعدما ضمن لنفسه الإشراف الديني على المدينة الجديدة[4].

أبحرت عليسا بعد ذلك إلى بلاد المغرب القديم، حاملة ثمانين فتاة من فتيات المعبد ليكن أزواجا للشباب الذين كانوا معها، فنزلت بالقرب من أوتيكا[5] وقد رحب بها سكان المنطقة من المغاربة الذين ابتاعت منهم قطعة أرض بمقدار جلد ثور، وقد قطعت الجلد إلى أشرطة صغيرة أحاطت بمساحة تكفي لبناء مدينتها الجديدة "قرط حدشت" (Qart-Hadasht)[6].

إن ما يستنتج من محتوى أسطورة عليسا [7] هو وجود اضطرابات سياسية داخل

...مرات في نقوش معبد الحفرة بقسنطينة. ومن وظائف ملقارت الرئيسية أنه كان إلها للشمس والنباتات ثم الملاحة. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص.98.

(1) -Caratini (R.), op-cit., p.936.2.A.a.

(2)– جزيرة قبرص: هي جزيرة تقع في شرق حوض البحر المتوسط في جنوب شرق أوروبا وجنوب غرب آسيا، وتعتبر ملتقى الطرق لحضارات العالم منذ قرون عديدة و منها الفينيقيين و الرومان و اليونان والبيزنطيون. لمزيد من المعلومات أنظر: Decret (F.), Carthage ou l'empire de la mer, ...p.48.

(3) الإلهة عشتارت: تعتبر إلهة الجمال والحب وحارسة البحارة وهي تقابل الإلهة فنوس(Vénus) في العهد الروماني، وكان الإغريق يدعونها الإلهة أفروديت. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني...، ص.117.

(4) – Caratini (R.), op-cit., p.936.2.A.a.

(5)– رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.162.

(6)– قرط حدشت: أو كرت هدشت (Quart Hadasht)، بالإغريقية دن كارخ (Den Karche) وأطلق عليها الرومان فيما بعد اسم قرطاج (Carthage)، والتاريخ التقليدي لحادثة تأسيس المدينة يعود إلى حوالي 814ق.م. لمزيد من المعلومات أنظر: إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، ط.1، لبنان، 1996، ص.112.

(7)– عليسا: كان يطلق عليها أيضا اسم ديدون (Didon) وهو اسم غير فينيقي، وقد يعني "الهاربة" كما جاء في بعض الروايات. وينبغي على الدارس التوقف عند هذه الأسطورة بغية التعرف على كامل تفاصيلها، ذلك لأنها قد كتبت من قبل مؤرخين يونانيين يكادون يكونون معاصرين أو قريبين من الحادثة. لذلك من الضروري إعادة النظر إزاء كتاباتهم الخاصة بالفينيقيين... لمزيد من المعلومات أنظر: رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.163.

البيت المالك في مدينة صور[1]، وقد نتج عن ذلك انسحاب عليسا لبدء حياة جديدة بعيدا عن الصراعات السياسية[2].

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن قرطاجة بعد تأسيسها بقيت تابعة لصور، حيث كانت ترسل لها الإتاوات كل عام حتى القرن الخامس قبل الميلاد[3].

وخلاصة القول، أن مدينة قرطاجة امتازت بموقعها الإستراتيجي، ويعدم هذا القول ما ذكره المؤرخ أبيان (Appian) في القرن الثاني قبل الميلاد عن وصفة لها قائلا: "إنها تشبه السفينة الراسية، ذلك لأنها قد بنيت في شبه جزيرة محاطة بالبحر من ناحية وبالبحيرتين من ناحية أخرى، مما يجعل وجهتها بحرية أكثر منها برية"[4].

وتعتبر قرطاجة نموذجا للمدينة القرطاجية، التي تعبر بصدق عن التفكير القرطاجي والحياة القرطاجية والنشاط السياسي والاقتصادي في تلك العهود.

2- أوضاع المغرب القديم قبيل تشييد مدينة قرطاجة:

قبل التطرق لأوضاع المغرب القديم قبيل تشييد مدينة قرطاجة، يجدر بنا إعطاء لمحة قصيرة عن مصطلح "المغرب القديم".

أطلق مصطلح "المغرب القديم"[5] على الامتداد الجغرافي فيما بين مضيق جبل طارق ورأس بون شمالا، وبين خليج قابس والأطلسي الداخلي بالمغرب الأقصى جنوبا، كما تضاف إليه منطقة غرب ليبيا وشرق تونس، السرتين الكبير والصغير، ذلك لأنها كانت تابعة

---

[1]- صور: زارها هيرودوث في القرن الخامس ق.م، ووصف معبد ملقارت الشهير، و قد أخبره كهنتها بأن المعبد بني قبل سنة 2300ق.م وذلك عندما تأسست مدينة صور سنة 2750ق.م. فبالإضافة إلى التجارة البحرية، اشتهرت صور بالصباغة الأرجوانية واللباس الأرجواني. لمزيد من المعلوات أنظر:

-Courtois (Ch.), La politique navale de l'empire romain, Paris, 1939, p.121 .

[2]- إبراهيم رزق الله أيوب، المرجع السابق، ص.111.

[3]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص.96؛ Hours-Miedan (M.), Carthage, éd. Presses universitaires de France, Paris, 1971, pp.25-28

[4] -Appian, VIII, 88.

[5]- المغرب القديم: مصطلح أطلقه أساتذة الجامعات الجزائرية بعد الإستقلال سنة 1962م، ليحل محل مصطلح "إفريقيا الشمالية" الذي كان يستعمل من قبل كتاب و أساتذة المدرسة الكولونيالية الفرنسية، عندما يتطرقون إلى شمال إفريقيا. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغيرغانم، نظرة في العلاقات الحضارية الفينيقية الليبية القديمة من خلال المصادر المادية، مجلة سيرتا، العدد 10، قسنطينة، 1988، ص.50.

للإمبراطورية القرطاجية، وقد ظلت في أغلب مراحلها التاريخية مرتبطة بالمنطقة[1].

وقد أطلق على المغرب القديم عدة أسماء، من بينها ما ذكره المؤرخ هيرودوث (Hérodote) : " تمتد ليبيا من حدود مصر شرقا إلى رأس سولويس (Promotoire de Soloeis) على المحيط الأطلسي حيث تنتهي غربا[2] ويسكنها الليبيون..."[3].

ويفهم من هذا الوصف الذي قدمه المؤرخ هيرودوث، أن كلمة "ليبيا" كانت تعني المنطقة الممتدة من مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وكلمة "الليبيين" تطلق على سكانها وذلك ما يدل على وحدة بلاد المغرب في القديم أرضا وسكانا.

ثم أخذ مصطلح "ليبيا" يضيق من حيث المعنى حتى أصبح يعني رعايا قرطاجة المقيمين بالجهات التي استولت عليها، ثم فرضت عليهم الضرائب والخدمة العسكرية[4].

وبدوره يعني مصطلح النوميديين (Numides) جميع الليبيين المستقلين الذين لم يدخلوا تحت لواء قرطاجة، وينتشر هؤلاء من حدود قرطاجة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا وحتى الصحراء جنوبا، رغم أن هذه المنطقة تضم شعوبا وعناصر عرقية أخرى كالمور والجيتول[5].

وفيما بعد فإن كلمة نوميديا (Numidie)، أصبحت تعني فقط المنطقة الممتدة من حدود الإمبراطورية القرطاجية شرقا إلى حدود موريطانيا غربا وحدود جيتوليا جنوبا[6].

من خلال هذه المجموعات البشرية ومناطق انتشارها، يبدو دور الطبيعة جليا في تقسيم المغرب القديم إلى مناطق مختلفة، لها الأثر الكبير في اختلاف نوعية النظام الذي تسير

---

(1) – عمر بن إدريس، الصراع القرطاجي الإغريقي في غربي المتوسط ما بين القرنين السادس والرابع ق.م، جامعة الجزائر، دون تاريخ، ص. 9.

(2) -Hérodote, II, 23, R, Stadélemant, Syrich- Palastinen, Dixho gottheith in Egupten, 1967, p.82.

(3) – اللوبيون أو الليبيين حاليا: هم القبائل التي كانت تعيش أو تنتشر في المنطقة الواقعة غربي النيل الممتدة حتى المحيط الأطلسي، وقد أشير إلى تسميتهم في كتابات المؤرخين الإغريق القدامى مثل: هيرودوث، استرابون، وبوليبيوس، إضافة إلى كتابات المصريين الذين أشاروا إلى اللوبيين تحت اسم المشوس أو التحنو والمحو، وعثر على نفس التسمية في النقوش البونية، لاسيما في موقع قرطاجة والحفرة بقسنطينة... لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغيرغانم، نظرة في العلاقات الحضارية الفينيقية الليبية القديمة من خلال المصادر المادية ...، ص.49.

(4) – أحمد صفر، مدنية المغرب، دار بوسلامة للنشر، تونس، 1959، ص. 172.

(5) – نفسه، ص.173.

(6) - نفسه.

عليه وكذا نظام المعيشة، إذ أنه من المحتمل أن لكل مجموعة ملكا أو رئيسا إن لم نقل ملوكا ورؤساء يسيرون شؤونها[1].

وقد قسم هيرودوث سكان المغرب القديم إلى صنفين: بدو رحل ومزارعون مستقرون، علما أن الإخباريين اليونان لم يشيروا إلى أصناف البدو كما نعرفهم اليوم، وهم رعاة الإبل المرتبطين بالصحراء وكذلك رعاة الغنم المنتشريين بالحواف الشمالية للصحراء والسهوب[2].

وربما خلق الاستقرار لدى المزارعين نوعا من التنظيم السياسي في هذا الجزء من العالم القديم (بلاد المغرب القديم).

إن التساؤل الذي يتبادر إلى ذهن القارئ بعد الإشارة إلى التسمية الجغرافية هو: هل وجدت بالمغرب القديم أنظمة سياسية مكتملة الشروط قبل ظهور قرطاجة؟.

حول هذا الموضوع أشير إلى أن أسطورة عليسا قد أشارت إلى وجود تنظيم قبلي لا نعرف نوعيته بمنطقة شمال تونس الحالية يعود إلى أواخر القرن التاسع ق.م[3]، وذلك اعتمادا على ما ذكره الملك اللوبي ياراباس (Hiarbas) [4] الذي طلب الزواج من عليسا، وأن قرطاجة بعد الانتهاء من التأسيس، كانت قد تعهدت للمغاربة القدماء بدفع إتاوة سنوية مقابل الأرض التي تقيم فيها[5].

وما يلاحظ هنا، هو سرعة انطلاق تاريخ المغرب القديم من الإطار المحلي إلى الإطار الدولي في حوض البحر المتوسط، تلك هي ميزة بلاد المغرب القديم، ضف إلى ذلك استقرار المغاربة على السواحل، واشتراكهم في تأسيس المراكز التجارية وازدياد النشاط التجاري في الحوض الغربي للبحر المتوسط[6]، خصوصا وأن الزراعة قد انتشرت في

---

(1) – محمد البشير شنيتي، التوسع الزراعي الروماني ومظاهر البداوة بالجزائر القديمة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 2، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر 1986، ص.19.

(2) – نفسه، ص.20.

(3) – محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب(سياسة الرومنة) 146ق.م–40م، الجزائر، دون تاريخ، ص. 18.

(4) – ياراباس: هو الملك االلوبي الذي كان يفوض له القيام بالحرب وعقد السلم وتسيير شؤون القبيلة أو الإقليم، وهو القائد اللوبي الذي ضبط مع الأميرة عليسا وقومها قضية الريع الذي بقوا يدفعونه سنويا مقابل منحهم الأمان. لمزيد من المعلومات أنظر: Gsell (S.), H. A. A. N., T.I, pp.380-383

(5) - Gsell (S.), Etendue de la domination Carthaginoise en Afrique, imp. Orienta., Alger, 1905, p.347.

(6) – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.285.

المغرب القديم منذ فترة طويلة، وبالتالي ساعدتهم على الاستقرار والتخلي تدريجيا عن البداوة والترحال إلى استغلال الأرض والاستفادة منها، خاصة بعد رواج القمح المغربي، وازدهار تجارة المقايضة خاصة مع الفينيقيين عن طريق المراكز والمحطات التجارية[1].

3- دور قرطاجة في العلاقة القرطاجية المغاربية:

لقد تأهلت قرطاجة بفضل موقعها الإستراتيجي، لأن تلعب دورها في الميدانين السياسي والاقتصادي، فقد كانت خلال عدة قرون مركزا اقتصاديا وملتقى ثقافيا لسكان الحوض الغربي للبحر المتوسط بحكم نشاطها المكثف والواسع في جميع الميادين[2].

وقد تأسست قرطاجة في شمال موقع خليج تونس مشكلة شبه جزيرة محصنة من ثلاث جهات، وفي ذلك يقول المؤرخ بوليبوس (Polybius): "... توجد قرطاجة على خليج وسط شبه جزيرة، أين يحيط بها البحر من معظم الجهات من ناحية والبحيرات من ناحية أخرى كما تحدها أوتيكا وتونس..."[3].

من ذلك الموقع الإستراتيجي الهام، إضافة إلى مستوطناتها في صقلية سيطرت قرطاجة على مدخل الحوض الغربي للبحر المتوسط، واحتكرت الطريق التجاري بين شرقه وغربه، مما سهل عليها عملية الربط بين عالمين مختلفين، فصارت واسطة بين الشعوب[4] تأخذ المواد الخام من هؤلاء وتبيعها لهؤلاء ثم تعود إلى بلاد المغرب بالمواد المصنعة من جديد [5].

إلا أن قرطاجة قبل أن تصبح عاصمة للمستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، لم تكن في أول الأمر سوى إسكالا متواضعا بين سائر المراكز التجارية

---

(1) -Gsell (S.) H.A.A.N., T.I, pp.40-49.

(2) - Decret (F.) et Fantar (M.H.), L'Afrique du nord dans l'antiquité au 5ème siècle, éd. Payot, Paris,1981, p.57.

(3) -Polybe, Histoires, Livre1 , établi et traduit par Paul Pédèch, éd. Les belles lettres, Paris, 1969, pp.45-73.

(4) -Caratini (R.), op-cit., p.936.2, B,d .

(5) – المواد المصنعة: إن من بين أهم المواد المصنعة التي كان يتاجر بها الفينيقيون البرونز والعاج والعظام والزجاج، وقد تطلب تواصل تصنيع تلك المواد البحث عن الخامات الأصلية المتوفرة في البيئات الأجنبية، ضف إلى ذلك صناعة الأقمشة وبصفة خاصة المصبوغة باللون الأرجواني. وقد اعتمد القرطاجيون مثل أسلافهم الفينيقيين في ذلك على استخراج هذه الأصبغة الخاصة من بعض الأصداف البحرية التي عثروا عليها في سواحلهم... لمزيد من المعلومات أنظر: آسيا مسعودي، التبادل التجاري بين إيطاليا والمغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأول (القرن الأول- القرن الثالث)، رسالة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ القديم، تحت إشراف الأستاذ: محمد البشير الشنيتي، الجزائر، 1987-1988، ص ص.30-31.

الأخرى[1]، وقد كشفت الحفريات التي تواصلت من سنة 1944م إلى سنة 1947م بصلامبو (Salambo) في منطقة قرطاجة القديمة على معبد، يرجح أنه يعود إلى ما قبل العهد القرطاجي، وما وجد فيه من أشياء لا يترك مجالا للشك في وجود بحارة شرقيين حلوا في هذه الجهة من الساحل الإفريقي منذ أواخر الألف الثانية وأوائل الألف الأولى قبل الميلاد[2].

كما أن وضع قرطاجة الجغرافي كان يساعد على التوسع و التبادل مع العالم الشرقي أو الغربي، وكذلك كان لوضعها العسكري مزايا هامة لأنها أقيمت من قبل بقية المدن الفينيقية في رقعة من الأرض متوغلة في البحر، لا يربطها بالبلاد إلا قطعة مستطيلة تفصل بين بحيرة تونس الحالية التي كانت صالحة للملاحة وسبخة أريانة، و بذلك كانت تتحدى حصار الأعداء كمثيلتها صور(Tyr) في حوض البحر المتوسط الشرقي، وذلك باعتمادها على سور قوي يحميها من جهة اليابسة التي لا تزيد على 4 كلم[3].

إن ما يلاحظه القارئ من خلال ما ورد في الكتابات التاريخية، هو أن الكثير من المؤرخين يعتبرون تأسيس مدينة قرطاجة انفتاح على بلاد المغرب القديم والشمال الإفريقي وذلك بداية من خليج السرت إلى المحيط الأطلسي اعتمادا على ما وقع بالفعل، إذ انفتحت أبواب المغرب القديم أمام التيارات السياسية والحركات البشرية والتأثيرات الثقافية القادمة عن طريق الإغريق والرومان أو من بلاد الشرق الأدنى القديم بواسطة القرطاجيين أنفسهم، وبالتالي أصبحت قرطاجة العاصمة الجديدة محط أنظار الأعداء والأصدقاء[4].

لقد كانت قرطاجة قد إلتزمت في أول تاريخها، بدفع الخراج وتقديم الهدايا لمعبد الإله هرقليس الصوري (الإله ملقارت)[5]، مما جعل بعض المؤرخين يرون هذا العمل الذي قد لا يكون سوى مظهرا للتقوى دليل على خضوعها لمدينة صور في شرق البحر المتوسط[6].

ومن جهة أخرى، تجدر الإشارة إلى أن قرطاجة كانت قد واصلت دفع الضرائب السنوية لليبيين طيلة ثلاثة قرون ونصف من غير انقطاع يذكر، غير أنه لما تزايدت مطالب

---

(1) – مثل قادس(Gadès) وأوتيكا(Utique) في الحوض الغربي للبحر المتوسط. لمزيد من المعلومات أنظر:
- Caratini(R.), op-cit., p.936.2-B-d.

(2) – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص.86.

(3) - Decret (F.) et Fantar (M.H.), op-cit., p.53.

(4) - Nicolet (C.), Rome et la conquête du monde Méditerranéen, Presses Universitaires de France, Paris, T.2, 1978, pp. 555-556.

(5) -Hérodote, Livre, PP.76-78.

(6) - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص.87.

الدولة القرطاجية من أموال وثروات وأخشاب لصناعة السفن وتجنيدا للمرتزقة للدفاع عن كيانها، بدأت تمتنع عن دفع الإتاوة السنوية، مما جعلها عرضة لتذمر السكان المحليين[1].

كما أن ضيق المساحة التي أسست عليها مدينة قرطاجة أدى بها إلى القيام بعملية توسعية على جيرانها من المغاربة القدماء، وقد ترتب على ذلك تحديد علاقة القرطاجيين مع كامل سكان الحوض الغربي للبحر المتوسط عامة، وسكان بلاد المغرب القديم خاصة[2].

وقد كان موقع قرطاجة قد خول لها لعب دور لا يستهان به أدى إلى ازدهارها ماديا وحضاريا كما ساهم في نشر الحضارة القرطاجية، حيث أصبح سكان الحوض الغربي للبحر المتوسط ينظرون إليها خاصة بعد ازدهار قوتها وتوسع ممتلكاتها بأنها العاصمة الاقتصادية للحوض الغربي للبحر المتوسط[3].

وإذا كان ميلاد قرطاجة له علاقة بسياسة صور الاقتصادية في غرب البحر المتوسط والضرورة الحيوية التي كان الفينيقيون في أشد الحاجة إليها، مما ترتب عنها من تأسيس محطات ومراكز تجارية لحماية الطريق إلى المعادن الثمينة بترشيش، فإن مصير المدينة الجديدة الاقتصادي البحري والتاريخي هو ثروتها ومجالها الجغرافي الذي جعل منها إحدى قوى العالم القديم التي يحسب لها ألف حساب حينذاك[4].

بناء على ما سبق، يمكن القول بأن القرطاجيين كانوا بحق ورثة أسلافهم الفينيقيين في مجال الملاحة والتجارة البحرية، وذلك ما تثبته الأبحاث والدراسات الحديثة في موقع مدنهم الساحلية بوجود دلائل معينة تدل على مدى تمكن هؤلاء في ميدان التجارة العالمية في تلك العهود[5]، فاستطاعوا بفضل الموقع الذي انفردت به مدينتهم أن يظهروا مهارتهم كبحارة كبار ومفاوضين، استطاعوا بالفعل فرض أنفسهم كواسطة بين عدد كبير من سكان البحر المتوسط، وبقيت قرطاجة طيلة عدة قرون المركز السياسي[6] والاقتصادي والثقافي بالنسبة لبلاد المغرب لقديم وجزء كبير من الحوض الغربي للبحر المتوسط[7].

---

(1) -Nicolet (C.), op-cit., p.557.

(2) -Gsell (S.), H.A.A.N., T.I, pp.28-29.

(3) -جواد بولس، المرجع السابق، ص ص.128-129.

(4) -Gsell (S.), H.A.A.N., T.II, Paris, 1928, p.93.

(5) -Conteneau (G.), op-cit., pp.56-57.

(6) -Polybe, livre I, p.70.

(7) -Gsell (S.), H.A.A.N., T.II, p.93.

ثانيا- التنظيم السياسي القرطاجي:

كان النظام السياسي المتبع في بداية الأمر في مدينة قرطاجة نسخة طبق الأصل لما كان عليه في الساحل الفينيقي في شرق البحر المتوسط، وعليه فإن مستوطنة قرطاجة لم تكن في بداية أمرها إمبراطورية بأتم معنى الكلمة بل كانت عبارة عن دولة تسلك سياسة المدينة الدولة[1].

وقد نالت التنظيمات السياسية القرطاجية إعجابا كبيرا لدى المؤرخين والكتاب القدماء من إغريق والاتين حيث قال عنها أرسطو: "... يعتبر القرطاجيون ممن لهم قيادة حسنة،لأن تنظيماتهم السياسية كانت في مستوى معاصريهم من الإغريق والرومان..."[2]، كما أشار هذا الأخير بقوله: "...لقد كانت التنظيمات السياسية الرومانية و القرطاجية جد بارزة...". وهذا يدل على قوة التنظيم السياسي القرطاجي من حيث إدارة الأقاليم والمستوطنات وكذا من حيث النظام داخل المدينة (قرطاجة) في حد ذاتها[3].

1- مراحل الحكم السياسي:

لقد مر النظام السياسي القرطاجي بثلاث مراحل متداخلة نوردها فيما يلي:

أ- المرحلة الأولى:

ويطلق عليها مرحلة حكم الملك، وتعتبر هذه المرحلة في الواقع استمرارا لما كان موجودا في حكومات المدن الفينيقية في شرقي البحر المتوسط، ولكن الملكية القرطاجية كانت فريدة من نوعها فهي ليست كالملكية المصرية القديمة[4] أو الملكية السومرية[5] ذات

---

(1) - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.175.

(2) -Aristote ,op-cit., 8.2.9.

(3) -Ibid.

(4) – الملكية المصرية القديمة: (2980–2475ق.م) تطورت الحضارة المصرية وتبلورت مبادئ الحكومة المركزية، وشهد عصر هذه الدولة نهضة شاملة في شتى نواحي الحياة، حيث توصل المصريون إلى الكتابة الهيروغليفية واهتم الملوك بتأمين حدود البلاد ونشطت التجارة بين مصر والسودان. ومع تطور الزراعة والصناعة استخدم المصريون أول أسطول نهري لنقل منتجاتهم وبلغت الملاحة البحرية شأنا عظيما. لمزيد من المعلومات أنظر: موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، بيروت، 1959، ص.247.

(5) – الملكية السومرية: (2850–2400ق.م) تعتبر الحضارة السومرية في العراق القديم من الحضارات الإنسانية المبكرة، ويعد السومريون من أقدم الشعوب التي استطاعت وضع لبنات الحضارة الأولى في القسم الجنوبي منه الذي عرف ببلاد سومر، وقد نشأت على ضفاف نهري دجلة والفرات وتطورت أولى المدن والمراكز الحضارية في العالم القديم وفيها ازدهرت التجارة والصناعة... الخ. لمزيد من المعلومات أنظر: وليام لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، ج.1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959، ص.472.

طابع إلهي، بل كان الملك القرطاجي يختار من طبقة معينة في الدولة وهي الطبقة الأرستقراطية، ويلاحظ الدارس أن هذه الأخيرة قد تجسدت بصفة خاصة في عدد من الأسر التي احتكرت السلطات السياسية في الدولة[1].

بناء عليه، فقد آل الأمر في قرطاجة إلى أسرة الماغونيين التي دام حكمها قرابة ثلاثة أجيال، وفي عهد هذه الأسرة أدخل ما يعرف في قرطاجة باسم "نظام مجلس الشيوخ" إلى جانب الملك[2].

وفي حوالي منتصف القرن الخامس ق.م سقطت أسرة الماغونيين التي كانت تعتمد على الأرستقراطية البحرية واستبدل حكم الملك في قرطاجة بحكم القضاة أو ما عرف "بالشوفيط"[3].

ب- <u>المرحلة الثانية</u>:

وهي مرحلة حكم مجلس الشيوخ ومجلس المائة، وتعتبر مرحلة جديدة من مراحل الحكم السياسي في قرطاجة وهي أقرب ما تكون إلى النظام الجمهوري، رغم استمرار التعابير الملكية[4].

وقد دامت هذه المرحلة من منتصف القرن الخامس إلى بداية القرن الثالث قبل الميلاد، وكانت تشبه إلى حد كبير التنظيم السياسي في روما وبلاد اليونان، بسبب استحداث بعض الهيئات السياسية مثل مجالس الشيوخ ومجلس المائة، وكان من بين مهامها مراقبة أعمال القضاة (الشوفيط)، كما أن أرسطو (Aristo) كان قد أشار إلى الدستور القرطاجي خلال القرن الرابع ق.م بقوله: "... إنه كان في مستوى دساتير معاصريه مثل الرومان والأثينيين..." [5].

---

[1] – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.180.

[2] – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.94.

[3] – الشوفيط: هي تسمية سامية عثر عليها منقوشة في الأنصاب البونية في دوقة، وهي مأخوذة من كلمة شبط أو سبط التي تعني القاضي الحاكم في اللغات السامية، وقد كان يعين في قرطاجة كل سنة قاضيين يتوليان الحكم لمدة سنة. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي في الجزائر...، ص.94.

[4] -Aristote, op-cit., 8. 2. 9.

[5] – الأثينيين: إسم يوناني وهو أصلا اسم الإلهة(أثينا) ثم أطلق على المدينة التي أصبحت فيما بعد مركز الثقافة في العلوم و الآداب في العالم القديم، و تشير الأساطير القديمة أن الأثينيين كان يحكمهم الملك كيكرويس وهو أول ملوكها، ويعتقد أنه جاء من مصر أسسها حوالي سنة 1581ق.م، وقد استمر يحكمها إلى حوالي عام 1068ق.م حين انتقلت٪

وقد أعطيت الطبقة العامة خلال هذه المرحلة من الحكم، فرصة كبيرة في المشاركة في التنظيم السياسي القرطاجي[1].

ج- المرحلة الثالثة:

جمعت المرحلة الثالثة إلى حد ما بين المرحلتين السابقتين، وقد استمرت من القرن الثالث إلى القرن الثاني ق.م، وتركزت فيها السيادة السياسية لأسرة البرقيين، التي وسعت أملاك الدولة القرطاجية في إسبانيا وأعادت الاعتبار في الجنوب الغربي من القارة الأوروبية الحالية.[2]

وتشير الكتابات التاريخية، إلى أن الحكم في عهد أسرة البرقيين كان ذا صبغة عسكرية أكثر منه مدنية. وعلى الرغم من عدم استقرار ذلك التنظيم السياسي الذي سلكته قرطاجة إلا أن الدستور القرطاجي كان يوضع في صف الدساتير اليونانية والرومانية، فهو يعد الدستور الوحيد الذي مدحه أرسطو واعتبره من أحسن الدساتير في العالم القديم[3].

2- وظائف المؤسسات الدستورية القرطاجية:

تتمثل وظائف المؤسسات الدستورية القرطاجية فيما يلي:

أ- الملك:

كان من بين وظائف الملك القرطاجي ما يلي:

- أن يتولى الملك القرطاجي قيادة الجيوش أثناء الحروب.
- أن يستدعي الملك مجلس الشيوخ للاجتماع تحت رئاسته.
- أن يستدعي مجلس الشعب عند الضرورة.
- أن يتولى مراجعة القرارات النهائية التي يصادق عليها مجلس الشيوخ
- إضافة إلى وظائف الملك الدينية والقضائية التي لم يستطع المؤرخون تحديدها بعد[4].

... السلطة إلى أيدي أراخنة (أي رؤساء سياسيون). لمزيد من المعلومات أنظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ج.1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، المجلد الثاني، القاهرة، 1965، ص ص. 18-32.

(1) -Caratini (R.), op-cit., p.936, 2.B.d.

(2) -Sznycer (M.), Rome et la Conquête du monde Méditerranéen, T.02, Paris, 1978, p.566.

(3) -Aristote, op-cit., 8. 4.

(4) - محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص. 95.

ب- مجلس الشيوخ:

كانت من بين وظائف مجلس الشيوخ القرطاجي[1] ما يلي:

- السهر على الأمن داخل المدينة الدولة.
- سن القوانين ومتابعة تنفيذها.
- إعلان السلم والحرب[2].
- أن يتولى مجلس الشيوخ الرقابة المالية والإدارية.
- تجنيد المرتزقة والعبيد أثناء الحروب.
- محاكمة الضباط المتمردين على الحكم[3].

كما يتولى المجلس دراسة القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الموجودة داخل المدينة وخارجها[4].

ج- مجلس الشعب:

يعود تاريخ ظهور مجلس الشعب القرطاجي إلى حوالي القرن السادس قبل الميلاد، وهو يتكون من المواطنين القرطاجيين أنفسهم، ولا يخول للأجانب أو العبيد الدخول فيه ومن بين وظائف هذا المجلس الآتي:

- تعتبر وظائف هذا المجلس استشارية أكثر منها تنفيذية.
- كما يشارك في انتخاب الضباط والقادة يتولون قيادة الجيش القرطاجي أثناء الحروب[5].

وإذا حاولنا أن نعرف مدى مشاركة السكان الأصليين ونقصد بهم المغاربة القدماء في الحكم القرطاجي، فإننا نلاحظ أن تمركز السلطات كان في أيدي الموظفين القرطاجيين، إلا أن هناك عوامل تجعلنا نعتبر أن العناصر المغاربية كانت قد تداخلت إلى حد كبير مع العناصر الفينيقية الأصل، وأصبحت دعامة هامة في مقاومة الدولة القرطاجية، وذلك خلال المرحلة الأولى من العصر القرطاجي حيث ساد السلام بين الفينيقيين و اللوبيين القدماء[6]

---

(1) – مجلس الشيوخ القرطاجي: أطلقت عليه أيضا تسمية إغريقية وهي "Gerousia". لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.95.

(2) -Polybe, III, 33. 4.

(3) -Ibid., 4.

(4) -Aristote, op-cit., 8, 4.

(5) -Justin, XVIII, 7.

(6) – عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج.1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ص. 2.

وبظهور مصطلح "الليبو – فينيقي" والذي يعني المواطنين الذين يقيمون بالمدن الفينيقية التي صارت فيما بعد تحت سلطة النفوذ القرطاجي فإن سكان شمال إفريقيا عامة قد امتزجوا بالفئات القرطاجية بصفة أو بأخرى ولو بحصولهم على حق المواطنة فقط[1].

واستكمالا لتنظيماتها السياسية، عملت قرطاجة على تقوية كيانها العسكري، وذلك بإنشاء أسطول حربي اعتمادا على ما لدى القرطاجيين من خبرة في الملاحة فأصبح لها أسطولان تجاريان يجوبان البحار من أجل الثروة والدفاع عن الكيان، لحماية مواطن الثروة والطرق المؤدية إليها، وقد خصصت الدولة القرطاجية لكل أسطول ميناءه الخاص به[2].

كما عملت قرطاجة أيضا، على تكوين جيش بري اعتمدت فيه خاصة على الجنود المرتزقة، الشيء الذي جعل المؤرخين ينظرون إليه على أنه نقطة ضعف الجيش القرطاجي بسبب عدم انسجام وإخلاص عناصره وتفانيهم في الدفاع عن الوطن الذي تنتمي إليه بصفة مؤقتة، فالذي كان يهمهم هو المقابل المادي[3].

وخلاصة القول، أن مستوطنة قرطاجة استطاعت فعلا أن تضع الأسس القوية لدولة فتية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، طبق فيها بكل تحفظ نظام الاستقلال المحلّي لكل مستوطنة على حدى ومع ذلك، فإن قرطاجة كانت تحافظ وتدافع على المستوطنات الأخرى التابعة لها دون التدخل في شؤونها الداخلية، وربما تكون هذه نقطة ضعف أخرى في السياسة القرطاجية التي جعلت وحدة القرطاجيين مفككة، مما سهل على أعدائهم بعد ذلك الحصول على تأييد بعض المستوطنات مثل أوتيكا وحدرومات (Hadrumète) أثناء الحروب التي خاضتها ضد الرومان، وبالتالي القضاء عليها[4].

ثالثا– ميناء قرطاجة والنشاط الاقتصادي القرطاجي:

1 – الميناء:

تعتبر قرطاجة نموذجا للمدينة القرطاجية التي تعبر عن التفكير القرطاجي والحياة القرطاجية وكذا النشاط السياسي والاقتصادي في تلك الفترة، حيث تضمنت آثار هذه المدينة كافة جوانب النشاط الحضاري مثل الجوانب التجارية والحربية كآثار الميناء والأسوار

---

(1) – محفوظ قداش، المرجع السابق، ص.27.

(2) – إبراهيم رزق الله أيوب، المرجع السابق، ص ص.115–116.

(3) – عبد الله محمود حسين، المرجع السابق، ص.254.

(4) -Charles-Picard (G.) et (C.), op-cit., p.183.

والمباني الرسمية والمعابد. ويمكن اعتبار نظام الموانئ بمثابة أهم المناطق في المدن القرطاجية لاتصالها اتصالا وثيقا بالهدف الاقتصادي البحري الذي اتجه القرطاجيون إلى تحقيقه[1].

بناءا" على ما سبق ، يمكن القول أن ميناء قرطاجة هو مـــن أهم المنشآت القرطاجية، كما لا تختلف طريقة بنائه عن موانئ مدينة صور قي شرقي البحر المتوسط[2].

"وقد استفاد الفينيقيون في بداية الأمر من معطيات الطبيعة، فاستغلوا وجود الجزر الصخرية القريبة من الشاطئ، وكذلك البحيرات الشاطئية، ثم زودوها بالأرصفة فأصبحت تمثل الميناء الطبيعي البسيط والمزدوج" [3].

ويعد الميناء المزدوج بقسميه التجاري والحربي من الأجزاء الهامة في مدينة قرطاجة، وتشير الكتابات التاريخية –حسب الأستاذ غانم– إلى أن عرض مدخل ميناء قرطاجية كان يقدر بحوالي 23 مترا، يغلق بواسطة سلاسل حديدية[4].

وكان ميناء قرطاجة مقسما من الداخل إلى قسمين، تربط بينهما قناة يبلغ عرضها حوالي 23 مترا، تنتقل فيها السفن من أحد الأجزاء إلى الثاني، وقد عرف الميناء الخارجي المستطيل الشكل بالميناء التجاري[5].

أما الميناء الداخلي أو الحربي فسمي بالقاطون (Caton)[6]، وهو مستدير الشكل، يحيط به رصيف يبلغ طول محيطه 1021 مترا وعرضه 9.35 مترا[7].

وعلى الرغم من الدراسات العديدة التي تمت حول ميناء قرطاجة، إلا أنه لا يزال هناك بعض الغموض الذي يكتنفه، مما أدي إلى أحد الموانئ دون عبور الآخر، أي من الميناء التجاري إلى الميناء الحربي[8].(أنظر الشكل رقم: 9 ص.68).

---

(1) – محمد الطاهر العدواني، المرجع السابق، ص.20.

(2) -Cintas (P.), Le port de Carthage…, p.9.

(3) – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.87.

(4) – محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط...، ص.104.

(5) – يبلغ طوله حوالي 456 مترا وعرضه 325مترا، وريفه حوالي 4.53 مترا. لمزيد من المعلومات أنظر:
-Carton (L.), Le port marchand de Carthage, R.A.(Renet et S.Renach), T.XVIII, Paris, 1911.

(6) – القاطون: هي كلمة سامية تعني " قط "، أي نحت داخل الصخر. لمزيد من المعلومات أنظر:
-Decret (F.), op-cit., P.64.

(7) – محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط...، ص.106.

(8) -Carton (L.), Document des ports de l’enceinte de Carthage punique, éd. Ernest Leroux, Paris, 1913, pp.5-6.

2- النشاط الاقتصادي القرطاجي:

لقد لعب ميناء قرطاجة دورا هاما في الحياة الاقتصادية القرطاجية، نتيجة موقعه الممتاز في الطرف الشمالـــي الشرقي من ساحل بلاد المغـــرب القديم، وهذا ما سهـــل على القرطاجيين التحكم في الحوضين الغربي والشرقي من البحر المتوسط[1].

انتهزت قرطاجة فرصة انحطاط الوطن الأم فينيقيا في شرقي البحر المتوسط خلال القرن السابع ق.م، عندما توالت على هذه الأخيرة (فينيقيا) هجمات الآشوريين[2] من الداخل وحصار التجار الإغريق الذين استعادوا مكانتهم البحرية منذ حوالي منتصف القرن الثامن ق.م في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وتزعمت بذلك قرطاجة السيادة البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط وانسلخت عن الوطن الأم فينيقيا[3].

وبذلك، أصبحت إمبراطوريتها تمتد من خليج السرت في ليبيا الحالية شرقا وتتجاوز أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق الحالي)، كما ضمت إليها سواحل كل من إسبانيا والباليار وسردينيا، إضافة إلى جنوب غربي جزيرة صقلية[4].

ولم يكن القرطاجيون يهتمون في أول الأمر بالصناعة والزراعة بقدر ما كانوا يهتمون بالتجارة التي كانت تدر عليهم أرباحا طائلة[5].

أ- التجارة:

لقد اتبع القرطاجيون طريقة أسلافهم الفينيقيين في علاقاتهم التجارية مع شعوب غربي البحر المتوسط، وهي طريقة المقايضة، وبقوا على ذلك حتى القرن الخامس قبل الميلاد، حيث أخذوا عن الإغريق سك العملة حسب العيار الأثيني.أما مدينة قرطاجة فلم تضرب عملتها إلا في بداية القرن الرابع ق.م ، أين أقيم معمل لسك العملة على هضبة بيرصة[6].

---

(1) – أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، طبعة 1965، ص.44.

(2) – الآشوريين: هم أقوام سامية، استوطنوا القسم الشمالي من العراق منذ الألف الثالث ق.م. برزوا كقـــوة منافـــسة فـــي الشرق القديم في بدايات الألـــف الأولـــى ق.م، مـــن أشـــهر ملـــوكهم آشـــور ناصـــر بـــال الثـــاني (884-858ق.م) وسنحاريب(705-681ق.م) ...الخ. وقد غدت دولة الآشوريين القوة الأولى في الشرق القديم خلال القرنين الثامن والسابع ق.م. لمزيد من المعلومات أنظر: -Caratini (R.), op-cit., p.936-2A.a.

(3) – جواد بولس، المرجع السابق، ص ص.127-128.

(4) – إبراهيم رزق الله أيوب، المرجع السابق، ص ص.112-113.

(5) -Conteneau (G.), op-cit., p.291.

(6) - Gsell (S.) , H.A.A.N., T.4, p.130.

صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل موقع قرطاجة والميناء المزدوج.

الشكل رقم: 9.

اعتمادا على: موقع على الأنترنيت، Google Earth.Com

استخرجت بتاريخ:2008/01/03.

ويتمثل دور القرطاجيين التجاري في إيصال خامات معادن الفضة والقصدير والرصاص إلى الدول المصنعة في شرقي البحر المتوسط، ثم نقلها بعد عملية التصنيع وتوزيعها عن طريق المقايضة لمحتاجيها من الشعوب المتأخرة صناعيا [1].

وما تؤكده لنا الكتابات التاريخية القديمة، أن التجارة كانت قد لعبت دورا أساسيا في الحياة الاقتصادية لقرطاجة. وعلى هذا الأساس، عملت دائما على احتكار الأسواق وإبعاد المنافسين عن طريقها، سواء بالقوة أو بتنظيم المعاملات بواسطة معاهدات تشترط فيها بعض المزايا[2].

وفي هذا الصدد، نشير إلى المعاهدتين اللتين أبرمتهما قرطاجة مع روما، حيث كانت أولهما سنة 509 ق.م والثانية سنة 348 ق.م، وقد جاء في هاتين المعاهدتين حق قرطاجة في احتكار تجارة الحوض الغربي للبحر المتوسط، وألزمت تلك المعاهدة الرومان وحلفاءهم بعدم تعاطي التجارة على شواطئ المجال القرطاجي قبل أخذ إذن من قرطاجة[3].

كانت تلك السياسة التي اتبعها القرطاجيون في كل مراحل تاريخهم منذ البداية، حيث كان هدفهم هو ضمان احتكار التجارة في البحر المتوسط، وهو ما توصلوا إليه تقريبا في القرن الرابع قبل الميلاد[4].

لقد أكد المؤرخ بوليبيوس في كتاباته، أن القرطاجيين كانوا قد قاموا بمنع الرومان من التعامل مع سواحل البحر المتوسط الواقعة إلى الغرب من خليج قرطاجة منذ المعاهدة الأولى التي عقدوها معهم في أواخر القرن السادس قبل الميلاد أي حوالي 509 ق.م[5].

أما عن صادرات وواردات التجار القرطاجيين، فمن الصعب علينا معرفتها أمام انعدام النصوص الأدبية حول هذه المسألة، والآثار المادية المتوفرة لا تعطينا أكثر من الأثاث الجنائزي. وعلى الرغم من ذلك، يمكننا أن نفترض اشتمال الواردات القرطاجية على المواد الأوليـــة من إسبانيا مثل الحلفاء (Sparte) الضرورية لصناعة الحبال، إضـــافة إلى المعادن مثل: الذهب والفضة والقصدير، ومن إفريقيا العاج والأخشاب الضرورية لصناعة السفـــن،

---

(1) – محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤســسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992،ص ص.86-87.

(2) -Gsell (S.) , H.A.A.N., T.4, pp.115-122.

(3) -Charles Picard (G.) et (C.), op- cit., p.180.

(4) – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص.86.

(5) -Polybe, livre I,82.

ومن سردينيا ونوميديا مختلف الحبوب...الخ[1].

أما عن الصادرات القرطاجية فيمكننا أن نصفها بالجودة والإتقان، ونذكر على سبيل المثال: الصناعة الحديدية والنحاسية والبرونزية والمعادن الثمينة والأسلحة، وأدوات التجميل العاجية والآنية الخزفية[2] الصالحـــة للاستعمال واشتهروا بمنتجاتهم الممتازة والأنيقة[3].

ب- <u>الصناعة</u>:

لقد اشتغل الفينيقيون بالصناعة منذ تأسيسهم لمدينة قرطاجة، غير أنها كانت في أول الأمر بسيطة بحيث لا تتجاوز صناعة السفن وإصلاحها، ثم استخراج صباغة الأرجوان من محار الميوريكس الذين كانوا يصطادونه من شواطئ بلاد المغرب القديم، لاسيما جزيرة القل الحالية بالجزائر[4].

ولم تزدهر الصناعة القرطاجية إلا اعتبارا من القرن الخامس قبل الميلاد عندما اصطدمت قرطاجة بإتحاد المدن الإغريقية في معركة هيمرا (Himère) سنة 480 ق.م، حيث اتضحت لقرطاجة خلالها أنها لا تستطيع أن تصمد في أي صراع مماثل ما لم تكن لها صناعة قوية[5].

وفقا لذلك، برع القرطاجيون في صناعة المعادن والثياب الأرجوانية وصناعة الأخشاب وتخصصوا بحكم الضرورة في صنع السفن وآلات الموانئ التي ربما كانت من اختصاصات الدولة ونجحوا أيضا في الدباغة والحياكة والصباغة، وصناعة الفخار المزخرفة أو البسيطـــة لاستعمالاتـــهم اليومية، وكذلك صناعة الجرار(Urnes) و كانت هذه الأخيـــرة تستعمل لحفظ عظام الموتى الذين كانوا يقدمون قربانا للإلهة تانيت (Tanit) [6] في صلامبو

---

[1] – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص.111.

[2] -Caratini (R.), op-cit., p.936.2-B.d.

[3] – إضافة إلى الأقمشة والزرابي، وكذا العسل والتين والرومان، والمرمر والحيوانات المفترسة، والخمر والزيت والملح. لمزيد من المعلومات حول الموضوع انظر:آسيا مسعودي، التبادل التجاري بين إيطاليا والمغرب القـــديم...، ص ص.21-23.

[4] – محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط...، ص.109.

[5] -Charles Picard (G.) et (C.), op-cit., p.176.

[6] – الإلهة تانيت: لقد أضيف إلى الآلهة الفينيقية القديمة التي ورثتها قرطاج عنصر جديد من البيئـــة المحليـــة للمغـــرب القديم، أشهرها الإلهة تانيت وقد اختلف المؤرخون في أصل هذه الآلهة، كما أن عبادة البربر لها يزيد من الاعتقاد في كونها بربرية الأصل. وهي آلهة الإنتاج والخصوبة عند القرطاجيين، و يرمز إليها بسيدة ترضع طفلها، ويرى مؤرخون آخرون أنها قرطاجية فينيقية. لمزيد من المعلومات أنظر: -Warmington (B.H.), op-cit., p.12.

(Salambo) والتي يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثامن ق.م[1].

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن النشاط الصناعي في قرطاجة كان كبيرا، ويبدو ذلك جليا من خلال النقوش التي تذكر الكثير من الحرفيين، كما أن الصناعات لم تكن في أيدي الأرستقراطية القرطاجية، وإنما كانت في أيدي المواطنين الذين كان أغلبهم –حسب ستيفان قزال– تابعين للنبلاء والأوليجارشيين حيث كانت بين أيديهم التجارة البحرية الكبرى[2].

ومن الطبيعي أيضا، أن تحتل الصناعة البحرية المكانة الأولى، إذ كان على قرطاجة أن تملك عددا كبيرا من السفن لتسهيل حركتها التجارية، ولم يبدع القرطاجيون في صناعة السفن فحسب، بل يشهد كذلك ببراعتهم في أعمال التجارة بصفة عامة كصناعة النوافذ والكراسي والخزائن الخشبية...الخ[3].

ج– <u>الزراعة</u>:

لقد كانت للزراعة أيضا مكانتها في النشاط الاقتصادي القرطاجي، بحيث كانت في أول الأمر تنحصر في منطقة شبه جزيرة رأس بونة، ثم تطورت فيما بعد لتشمل منطقة شمال تونس، وتشير الكتابات التاريخية من جهتها أن القرطاجيين قد برعوا في ميدان الزراعة، فظهر من بينهم العلماء المختصون الذين أغنوا مكتبات العالم القديم، ومن بين هؤلاء نجد العالم ماغون (Magon) [4] الذي قدم نصائح قيمة لمن يشتغل بالزراعة خاصة فيما يتعلق بغرس الأشجار وكذا نظام سقيها، إضافة إلى الأماكن الصالحة للزراعة[5].

ولم يكتف العالم ماغون بتقديم النصائح العلمية في ميدان الزراعة بل ذهب إلى أكثر من ذلك فعارض بشدة امتلاك المواطنين للأراضي الزراعية وإهمالهم لها.

ومن أهم المزروعات الشائعة في عهد القرطاجيين، نجد على سبيل المثال أشجار الزيتون والكروم والتين والرمان، إلى جانب أنواع أخرى من الخضروات والفواكه، إضافة إلى الحبوب[6].

---

(1) – محمد الصغير غانم، التوسع الفنيقي في غربي البحر المتوسط...، ص.110.

(2) -Gsell (S.), H.A.A.N., T.4, pp.135-137.

(3) – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص.89.

(4) – ماغون: عاش حوالي القرن الثالث ق.م، و ألف دائرة معارف تتكون من 28 كتابا علميا خاصا بخبرته في مجال الزراعة. لمزيد من المعلومات أنظر: -Fantar (M.), op-cit., p.139.

(5) -Ibid., pp.140-141.

(6) – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.111.

من خلال ما سبق، يتضح للقارئ بأن اقتصاد بلاد المغرب القديم في الفترة القرطاجية، كان اقتصادا زراعيا بالدرجة الأولى، أما الصناعة فلم تلعب إلا دورا ثانويا بالمقارنة مع الزراعة وكذا التجارة التي اعتمدت أساسا على تصدير المنتوجات الزراعية، وبالتالي يمكننا القول، بأن النشاط الزراعي كان وراء الرخاء الاقتصادي الذي عرفته قرطاجة خاصة بلاد المغرب عامة عبر تاريخها القديم.

وهذا القول ليس معناه تجاهل باقي الأنشطة التي ساهمت بدون شك في هذا الرخاء الاقتصادي مثل النشاط الإستخراجي سواء من المناجم أو من المحاجر التي لعبت دورا معتبرا ومثال ذلك "الرخام" وكذلك الأخشاب كلها ورغم أهميتها فإنها كانت مكملة للنشاط الزراعي ولم تتجاوزه في يوم من الأيام[1].

رابعا- علاقة قرطاجة بموانئ الحوض الغربي للبحر المتوسط:

لعله من المفيد قبل التعرض لموضوع علاقة قرطاجة بموانئ الحوض الغربي للبحر المتوسط بصفة عامة وموانئ الشرق الجزائري بصفة خاصة، التعرف على التوسع القرطاجي بالمنطقة والصراع الإغريقي ثم الروماني فيها، وذلك حتى يتسنى لنا فهم طبيعة العلاقة التي جمعت بين قرطاجة وموانئ الحوض الغربي للبحر المتوسط.

1- التوسع القرطاجي:

من المعروف على القرطاجيين أنهم شعب تجاري، نظرا للدور الكبير الذي لعبته التجارة في حياتهم[2]، وكانت للحكومة القرطاجية سياسة تجارية تختلف باختلاف الظروف. فكانت تقوم إما عن طريق العلاقات السلمية والمنافسة التجارية أو عن طريق عقد الاتفاقيات والمعاهدات مع الدول التي ترى فيها خطرا عليها، وإما بتأسيس مستوطنات تجارية تكون بمثابة أسواق للتجارة والعمل على احتكار تلك الأسواق[3].

لقد بدأ التوسع القرطاجي في الحوض الغربي للبحر المتوسط منذ القرن السادس قبل الميلاد، فاستقر القرطاجيون في كل من سردينيا وصقلية والشواطئ الإسبانية فضلا عن السواحل الإفريقية، وبعض الجزر مثل مالطا (Mélite) وجزر الباليار[4]، وبالتالي أسســت

---

(1) – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص.210-211.

(2) -Gsell (S.), H.A.A.N., T.IV, éd.Osnbrück, 1972, P.113.

(3) -Lapeyre (G.) et Pellegrin (A.), Carthage punique 814-146 av. J-C, Paris, 1942, p.117.

(4) -Gsell (S.), H.A.A.N., T.I, p.423.

قرطاجة مجموعة من المحطات التجارية الجديدة إلى جانب المدن القديمة ومن أهمها مدينة لبدة الكبرى (Leptis) [1] ، التي أسسها الفينيقيون في شمال إفريقيا، إلى جانب مستوطنة إقليم أمبوريا (Emporia) وامتدت إلى ما وراء أعمـــدة هرقل عن طريق رحلة حنون (Hannon) سنة 500 ق.م[2]، فأسست عدة مستوطنات ليبو–فينيقية (Lybo-phénicienne)، وكان هدفها استغلال الساحل الغربي الإفريقي والوصول إلى بلاد الذهب، ولهذا الغرض نظم حنون حملة واسعة ذات هدفين:الأول تأسيس مستوطنات والثاني تعزيز سوق الذهب[3].

واستمر القرطاجيون في توسعاتهم فوصلوا إلى جدار كاري (Mur Caries) وأسسوا بالمنطقة مستوطنة جيتي (Gytté) وأكرا (Acra) وميليتا (Militta)، إلى أن وصلوا إلى النهر الكبير "ليكسوس" (Lixus)[4].

كما أعد حنون رحلة بحرية أخرى نحو الجنوب إلى جزيرة قرنة (Cerni)[5] في خليج وادي الذهب (الصحراء الغربية حاليا) ومنها أنحدر مصب نهر السنغال، وهذا ما جعله يقترب من مناجم الذهب حتى وصل إلى خليج غينيا.

وأســس حنــون أيضــا رأس كانتــن (Cap Contin) على الســاحل الغربي لإفريقيــا، وتمتاز هذه الأخيرة بموقعها الجغرافي الممتاز، ثم وصل القرطاجيون إلى الرأس الأخضر (Cap Vert) والتي تبدو أقصى نقطة حلوا بها في وسط غرب القارة الإفريقية[6].

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن نشاط قرطاجة وتوسعاتها البحرية كانت قد امتد حتى جنوب غرب أوروبا، فأسست مستوطنة قرطاجنــة (Carthagène) بإسبانيــا، ومجموعــة مــن المحطات بسردينيــا أهمــها نورا (Nora) [7] وتاروس (Tharos) وأسست بصقليــة

---

[1] – تعد مدينة لبدة الكبرى (Leptis) من أهم المستوطنات القرطاجية وأكثرها نشاطا، بحيث كانت تمثل ملتقــى للتجــارة الصحراوية خاصة بعد ما زودت بميناء هام يستطيع أن يستقبل حوالي ستين (60) سفينة في فترة زمنية واحدة، كما زودت بإشارات توجه الملاحين. ولأسباب أمنية كان الميناء يغلق بسلاسل حديدية ثقيلة، وبفضله أصبحت لبدة مدينة كبيرة تــربط بين البحر المتوسط وإفريقيا وأصبحت تمثل أيضا العاصمة الإدارية والاقتصادية. لمزيد من المعلومات أنظر: لويزة آيــت اعمارة، المرجع السابق، ص.151.

[2] -Moscati (S.), op-cit., p.19.

[3] -Gsell (S.), H.A.A.N., T.VI, p.486.

[4] -Gaudio (A.), op-cit., p.225.

[5] -Ibid., p.242.

[6] -Ibid.

[7] نورا: تعد أقدم مدينة بحرية في حوض البحــر المتوسط، يعود تأسيســها إلى حوالي نهاية الألف الثانية ق.م، ٪

صولونت (Solonte) ومستوطنة بانورموس(Ponormos) و ساراقوسة(Syracuse)[1].

وقد تركز نفوذ قرطاجة خاصة غرب جزيرة صقلية بعد ما قضت على منافسيها من الإغريق والرومان، وسعت دائما إلى احتكار التجارة في الحوض الغربي للبحر المتوسط سواء أكان ذلك عن طريق الحروب أو عقد المعاهدات مثلما فعلت في المعاهدة التي عقدتها مع روما سنة 348 ق.م، وهذا حتى لا يسمح لروما بالتعرف على مناطق استغلال الثروات الطبيعية[2].

نستنتج من كل ما سبق، أن هدف قرطاجة من وراء توسعها في حوض البحر المتوسط الغربي، هو البحث عن أسواق لتجارتها والرفع من مستوى معيشة رعاياها الذين لم تتعامل معهم كعبيد، بل تعاملت معهم كزبائن لها، لذلك فالعلاقة التي كانت تربطها بمستوطناتها كانت سليمة مقتصرة على التعامل التجاري دون التدخل السياسي.

لكن تراجعها خلال انهزامها في الحفاظ على مستوطناتها في معركة هيمرا (Himére) [3] بصقلية سنة 480 ق.م أمام الإغريق جعلها تفقد معظم مراكزها التجارية، وبالتالي فسحت المجال أكثر للتوسع الإغريقي في منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط ككل والامتداد العسكري الروماني الذي ابتلع المنطقة فيما بعد.

2- الصراع القرطاجي الإغريقي:

تمثل مرحلة الصراع القرطاجي الإغريقي قمة التنافس الاقتصادي والسياسي في حوض البحر المتوسط الغربي، وقد تضمن ذلك الصراع عدة ظواهر، فبالإضافة إلى كونه يمثل مرحلة شاقة في طريق الوصول إلى السيادة السياسية في وسط وغربي حوض البحر

...وهي من تأسيس الإيجيين الذي أسسوا أيضا تارشيش، فاتصل الفينيقيون بالمنطقة خلال بداية الألف الأولى ق.م، واعتبروها في البداية مصدرا لاستغلال المعادن قبل أن تكون مستوطنة،ويدلنا على ذلك النماذج البرونزية للسفن التي عثر عليها في سيردينيا، ومع تطور بحريتها أصبحت سفنها تنافس سفن تارشيش وسفن صور، وقد عرفت رواجا كبيرا في صيد الأسماك واستخراج الأملاح. لمزيد من المعلومات أنظر: لويزة آيت اعمارة، المرجع السابق، ص.151؛
Cavaignac (E.), Le monde meditérranée jusqu'aux IV Siècle av J.C.,éd. Boccard, Paris, pp.220.

(1) -Ibid., p.221.

(2) - Polybe, Histoire III , note I.

(3)- هيمرا: مدينة بجزيرة صقلية، تقع بالقرب من مصب نهر هيمرة، أنشأها الإغريق سنة 648 ق.م لمزيد من المعلومات أنظر: -Caratini (R.), op-cit., p.936.a.A.2.

المتوسط في ذلك الوقت، فهو أيضا يبرهن على مظاهر النزاع بين حكومات المدن في جزيرة صقلية والمنافسة الشديدة بين الحكام للاستحواذ على الزعامة السياسية[1].

وبدخول القرطاجيين في صراع مع الإغريق في كل من صقلية وسردينيا، وذلك من أجل السلطة والنفوذ، وكذا تأسيس الإغريق لمستعمرة ليليبيوم (Lilybée) أصبح ذلك الفعل يشكل تهديدا للقرطاجيين خاصة بعد طرد الإغريق للفينيقيين المتواجدين بموتيا (Motyé) التي تعتبر أقرب نقطة بصقلية إلى إفريقيا[2].

وقد أدى الصراع بين المدن الصقلية فيما بينها إلى طلب النجدة من الإغريق تارة ومن القرطاجيين تارة أخرى، مثلما طلبت مدينة هيمرا النجدة من القرطاجيين وتواصلت الاصطدامات بعد ذلك بين الأطراف المتنازعة أشهرها معركة هيمرا سنة 480 ق.م، التي يذكر هيرودوت أنها دامت يوما كاملا وانتهت بهزيمة قرطاجة[3].

ولم تقتصر آثار تلك الهزيمة على الخسائر الحربية والاقتصادية والنفسية، بل أدت إلى تعديل مؤقت في السياسة القرطاجية الخارجية، حيث اضطرت هذه الأخيرة إلى تركيز نشاطها في الإطار المغاربي، فدعمت علاقاتها مع اللوبيين القدامى يظهر ذلك جليا في الناحية الفكرية فازدياد إيمان القرطاجيين بالإلهة اللوبية تانيت(Tanit) إلهة الخصوبة والإنتاج[4].

وقد قام القرطاجيون في هذه المرحلة من تاريخهم برحلات استكشافية تجارية بحرية وبرية توسيعا لصلاتهم الإفريقية برا وبحرا[5].

3-<u>الصراع القرطاجي الروماني:</u>

يعد الصراع بين روما وقرطاجة بمثابة صور جديدة للكفاح القديم بين فارس واليونان، حيث كان الصراع قائما بين مجتمعين عظيمين: أحدهما في قرطاجة يقوم على المال والتجارة والبحر، والآخر في روما يقوم على الزراعة والأرض، وموضوع النزاع ذلك بينهما كان يدور حول التسلط على جزيرة صقلية ومضيق مسينا[6]، والقوة التي تتحكم

---

(1) – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.187.

(2) -Gsell (S.), H.A.A.N., T.I, pp.423-424.

(3) -Lapeyre (G.) et Pellegrin (A.), op-cit., p.117 ; Hérodote, II, 2.

(4) – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.191.

(5) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص.127.

(6) – مسينا: ميناء يقع على البحر المتوسط، وأحد المراكز التجارية الهامة بالجزيرة شمال غربي صقلية يفصلها عن إيطاليا. كانت مسينا مدينة غنية في عهد الإمبراطورية الرومانية. لمزيد من المعلومات انظر: حسن جلال العروسي، ٪

في المضيق، لأن قرطاجة إذا تحكمت فيه، تعذر على روما أن تتصل بساحل إيطاليا من جهة الشرق، وإذا تحكمت فيه روما لم تأمن قرطاجة على سواحلها وتجارتها في الحوض الغربي للبحر المتوسط. (أنظر الشكل رقم: 10 ص.77).

لقد كان القرطاجيون كالفرس يعتمدون في جيوشهم على الجنود المرتزقة، الذين يجندونهم في مختلف البلدان ، في حين كان الرومان يعتمدون في حروبهم على رجالهم ومواطنيهم[1]، ولقد تنبه الرومان إلى قوة القرطاجيين البحرية، فبنوا لأنفسهم أسطولا حربيا لمواجهة الأسطول القرطاجي، لكن القرطاجيين فضلا عن قوتهم وموانئهم البحرية، فقد واتتهم الظروف بظهور قائد حربي عبقري من مواطنيهم، وهو القائد حنبعل (Hannibal)، الذي يعد من أمهر القادة الحربيين الذين ظهروا في التاريخ القديم. ولقد كانت الحروب سجالا بين القرطاجيين والرومان على الساحل الغربي للبحر المتوسط، ودون الإطالة انتصر الرومان أخيرا واستولوا على صقلية في الحرب البونية الأولى (264-241 ق.م)، بعد أن أزاحوا الإغريق من صقلية، وفرضوا غرامة مالية على قرطاجة[2].

جولتان كانت نهايتهما سقوط قرطاجة عام 146 ق.م، وهو مانتج عنه استسلام المنطقة بما في ذلك نوميديا الحليفة لروما، و موريطانيا المملكة الضاربة في جهات الغرب بعيدا عن منطقة الأحداث، ذلك أن تدمير قرطاجة لم يكن مجرد عملية عسكرية تأديبية بمصطلح عصرنا، ولكنها كانت عملا عسكريا هادفا، قصد من ورائه مجلس الشيوخ الروماني وضع يده على أملاك دولة معادية كقرطاجة، بعد إنهاء وجودها بالقوة وهو ما يدعى بالاحتلال "بلغة عصرنا" [3].

نستنتج من خلال ما سبق، أن مستوطنة قرطاجة كانت فاتحة عهد جديد في تاريخ حوض البحر المتوسط، حيث تأهلت بفضل استراتيجية موقعها.

يظهر لنا من خلال ما سبق، أن مستوطنة قرطاجة كانت فاتحة عهد جديد في تاريخ حوض البحر المتوسط، حيث تأهلت بفضل موقعها الإستراتيجي لأن تلعب دورا هام

...الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة،1965، ص. 1704.

[1] – محمد رفعت، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، مكتبة العلوم السياسية، دار المعارف، مصر، 1959، ص.30.

[2] – نفسه، ص.31.

[3] – محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الإحتلال الروماني (بحث في منظومة التحكم العسكري الليمس الموريتاني ومقاومة المور)، ديوان المطبوعات الجامعية،ج.1، الجزائر، 1999، ص.45.

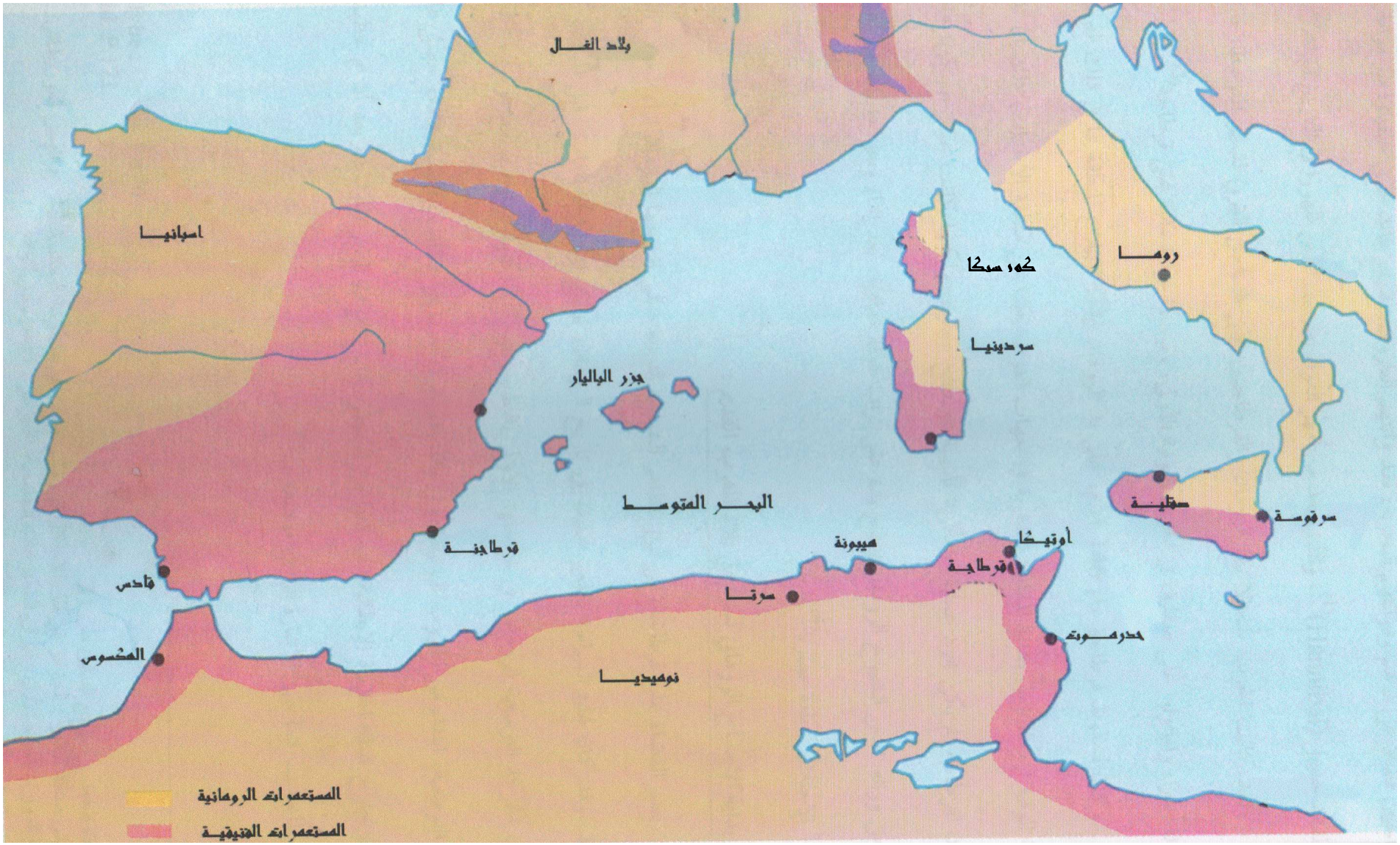

خريطة تمثل المستعمرات الفينيقية والرومانية في الحوض الغربي للبحر المتوسط .

الشكل رقم:10.

اعتمادا على: -Caratini(R.), op- cit., p.933.2, B.a.

في الميدانين السياسي والاقتصادي.

وبفضل ذلك الموقع الاستراتيجي الهام، سيطرت قرطاجة على مدخل الحوض الغربي للبحر المتوسط واحتكرت الطريق التجاري بين شرقه وغربه، فصارت واسطة بين الشعوب وبقيت عدة قرون المركز السياسي والاقتصادي ثم الثقافي بالنسبة لبلاد المغرب القديم وجزء كبير من الحوض الغربي للبحر المتوسط.

ومهما يكن من أمر، فإن ميناء قرطاجة قد لعب دورا هاما في الحياة الاقتصادية القرطاجية، نتيجة موقعه الممتاز في الطرف الشمالي الشرقي من ساحل بلاد المغرب القديم، وهذا ما سهل على القرطاجيين التحكم في جميع المحطات التجارية الواقعة على ساحل الحوض الغربي للبحر المتوسط.

لقد أبقت مستوطنة قرطاجة على علاقتها بموانئها التجارية الجديدة، إلى جانب المدن القديمة التي أسسها الفينيقيون على سواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط والدخول في صراع مع الإغريق في كل من صقلية وسردينيا، وذلك دائما من أجل السلطة والنفوذ ثم تعاملت مع الرومان في البداية تعامل الند للند، مما أدى بالقرطاجيين إلى دعم علاقتهم مع السكان المحليين لبلاد المغرب القديم، ولو كان ذلك لفترة زمنية مؤقتة، إذ أن صراعها مع الرومان قلب موازين القوى لصالح هؤلاء الأخيرين، الذين تمكنوا من القضاء على قرطاجة وأنهوا وجودها بالقوة سنة 146 ق.م، وبالتالي السيطرة الكلية على الحوض الغربي للبحر المتوســـط.

الفصل الثالث:

الموانئ التجارية القديمة الواقعة على ساحل الشرق الجزائري.

أولا- الموانئ المغاربية القديمة.

1-الموانئ الرئيسية.

2-الموانئ الثانوية.

ثانيا- أهم الموانئ التجارية القديمة الواقعة على ساحل الشرق الجزائري.

1-مراكز غربي روسيكادا.

أ- محطة روسيكادا- اسطورا.

1- أصل التسمية.

2- موقع المدينة والميناء.

3- النشاط التجاري القديم لميناء روسيكادا- اسطورا.

ب- محطة شولو.

1- أصل التسمية.

2- موقع المدينة والميناء.

3- النشاط التجاري القديم لمحطة شولو.

ج-محطة إيجلجيلي.

1- أصل التسمية.

2- موقع المدينة والميناء.

3- النشاط التجاري بمحطة إيجلجيلي القديمة.

د- محطة صالداي.

1- أصل التسمية.

2- موقع المدينة والميناء.

3- النشاط التجاري القديم لمحطة صالداي.

2- مراكز شرقي روسيكادا.

أ- محطة هيبوريجيوس.

1- أصل التسمية.

2- موقع المدينة والميناء.

3- النشاط التجاري القديم بمحطة هيبوريجيوس.

ثالثا- السكان المحليون الأوائل لسواحل الشرق الجزائري.

1-رأي سالوست عن أصل المغاربة القدماء.

2-علاقة القرطاجيين الأوائل بالمغاربة القدماء.

أولا- الموانئ المغاربية القديمة:

ترتبط الموانئ المغاربية القديمة أساسا بالتجارة، وذلك منذ العهود الباكرة. ولمعرفة الطرق البحرية التي يتم عبرها تعامل المدن الساحلية فيما بينها، وقد تبين لنا أن المعطيات الأدبية والمادية المتوفرة لدينا لا تسمح بالتفريق بين الطرق التي تربط بين المدن النوميدية فيما بينهما من جهة وبين تلك التي تربطنا بالعالم الخارجي من جهة أخرى.

وما تجدر الإشارة إليه، أن السواحل المغاربية كانت تحتوى على موانئ قديمة تعود إلى عهد الممالك النوميدية وقد استمر نشاطها حتى الفترات اللاحقة[1]. كما اهتم الأباطرة الرومان فيما بعد بإنشاء وترميم الموانئ في المغرب القديم وزودوها بكل المرافق الضرورية لحماية السفن عند الإرساء أو نقل وتفريغ البضائع كالأحواض والكاسرات والأرصفة. كما ألحقت بالموانئ مكاتب للتجار ومختلف النقابات والتجمعات المهنية لتسهيل عملية المبادلات[2].

يمكن تقسيم الموانئ المغاربية بنوعيها القديم والحديث إلى نوعين:

1- الموانئ الرئيسية:

وهي تلك الموانئ التي تتميز بنشاطها الخارجي الذي يقوم على تصدير واستيراد مختلف المنتوجات، ومن أهم هذه الموانئ نذكر: ميناء بجاية الذي يليه كامل موانئ الشرق الجزائري[3].

ولقد لعب كل من ميناء بجاية وسكيكدة دورا لا يستهان به في تنشيط التجارة المتوسطية[4]. إضافة إلى هذين الميناءين هناك ميناء عنابة الذي لا يقل حيوية عن الموانئ السابقة، وكذا ميناء القل الذي اشتهر منذ القدم باستخراج الصباغة الأرجوانية[5].

---

(1)- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ص.54-62.

(2)- آسيا مسعودي بوعجيمي، إنشاء وتطور المرافق الأساسية للتجارة الرومانية في المغرب خلال العهد الإمبراطوري الأول، حوليات جامعة الجزائر، العدد 08، أفريل 1994، الجزائر، ص.163.

(3) -Salama (P.), Les voies Romaines de l'Afrique du nord, préface de Louis Leschi, S.A.M.A. Alger, 1951, pp.43-48.

(4) -Lieussou (M.A.), op-cit., p.78.

(5)- الصباغة الأرجونية: لقد اكتشف الفينيقيون هذه المادة التي كانوا يستخرجونها من الأصداف، و لما كان الصدف الواحد لا يعطي إلا قطرات قليلة من هذا السائل، قام هؤلاء القوم بالبحث على هذه الأصداف في البحر المتوسط فنجدهم قد وصلوا من أجلها إلى جزيرتي جربة والبالير. كما اهتم الملوك المغاربة بالأرجوان، إذ أنشأ الملك يوبا مصانع للأرجوان في جزر أطلق عليها اسم الجزر المرجانية (Iles purpuraires) تقع بمواجهة مدينة موقادور (Mogador) بالمحيط الأطلسي../.

وحتى تكون دراستنا منهجية، فإننا سندرس كل ميناء من الموانئ السابقة الذكر على حدى.

2- الموانئ الثانوية:

تتلخص نشاطات الموانئ الثانوية في الصيد البحري أو الملاحة مع الموانئ القريبة من المناطق الساحلية المجاورة، وكثيرا ما يكون وجودها يمثل دعما للموانئ الرئيسية، وذلك بإيصال صادراتها إليها أو توزيع وارداتها بالأراضي الداخلية، أو كلاهما معا[1]. ونعدّ ضمن هذه الموانئ كل من ميناء دلس وتنس والمرسى الكبير بوهران وغيرها.

كما نشير إلى أنه جانب الموانئ البحرية، وجدت موانئ نهرية مثل ميناء تكمبريت (Siga) الذي كان الرومان ينتقلون عن طريق خلجانه الصغيرة بين تنس وشرشال[2].

ثانيا- أهم الموانئ التجارية القديمة الواقعة على ساحل الشرق الجزائري:

يتضح لنا من خلال دراسة المصادر الكتابية والمادية التي تحصلنا عليها، بأن التواجد الفينيقي في منطقة شمال إفريقيا بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة مؤكد، وأنه سبق الاجتياح الروماني للمنطقة، بالإضافة إلى أنه كان الخط الفاصل بين فترتين متباينتين وهما: فترة ما قبل التاريخ والفترة التاريخية.

إن ما يتبادر لذهن القارئ من خلال ما سبق هو: متى بدأ بالتحديد الاستيطان الفينيقي للمنطقة؟ وما مدى علاقة المراكز التجارية الفينيقية في الجزائر بتلك المستوطنات السابقة لها في كل من قرطاجة وأوتيكا وقادس وليكسوس وغيرها؟.

كل هذه الأسئلة المشار إليها آنفا وغيرها سنحاول الإجابة عن البعض منها خلال تتبعنا لدراسة مواقع المراكز التجارية القديمة في الجزائر، لاسيما المراكز التجارية الموزعة بإحكام في سواحل الشرق الجزائري. (أنظر الشكل رقم: 11 ص.83).

وما تجدر الإشارة إليه، وجود دراسات وأبحاث جديدة برزت في ميدان الدراسات البونية، أضافت إلى التاريخ القديم أشياء جديدة لاسيما في ميدان علم الآثار و التنقيبات الأثرية، إضافة إلى كتابات المؤرخ ستيفان قزال التي لا تزال إلى يومنا هذا من بين

...وقد وجدت مراكز أخرى على ساحل المغرب القديم لصناعة أو إنتاج الأرجوان مثل ميناء شولو (القل) وإيجلجيلي (جيجل). لمزيد من المعلومات أنظر: آسيا مسعودي، التبادل التجاري بين إيطاليا والمغرب القديم...، ص ص.30-31

(1) -Salama (P.), op-cit., p.43

(2) -Julien (Ch.A.), Histoire de l'Afrique du nord, des origines à la conquête arabe, T.I, S.N.E.D 1978, P.80.

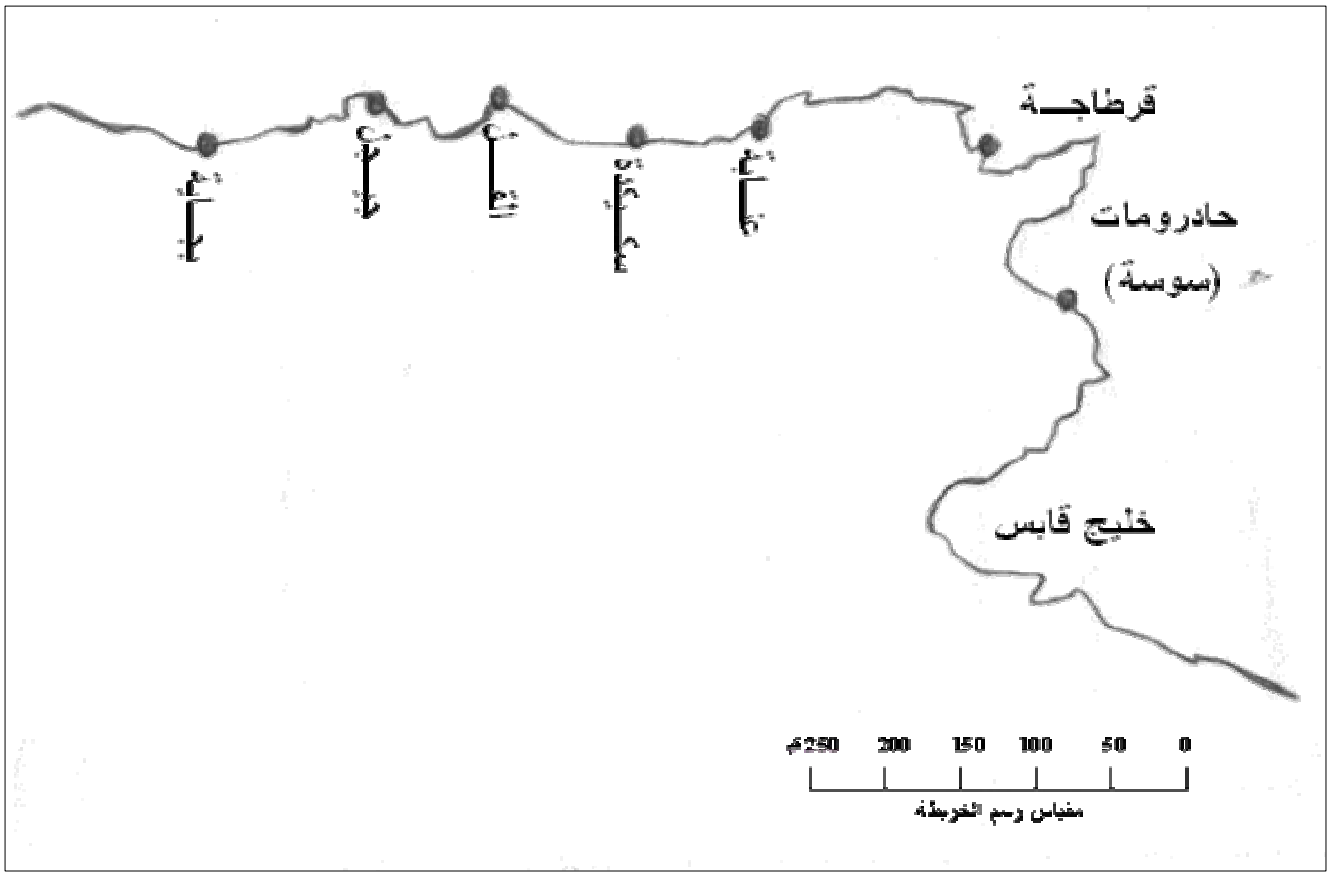

خريطة توضيحية تمثل المستوطنات الفينيقية البونية في ساحل الشرق الجزائري.

الشكل رقم:11.

اعتمادا على: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...،ص.195.

المصادر الأساسية في البحث، لا سيما تلك المتعلقة خاصة بتاريخ الجزائر القديم.

من هذا المنطلق وتسهيلا للدراسة والبحث، يمكننا أن نقسم المراكز التجارية الفينيقية البونية في سواحل الشرق الجزائري إلى قسمين هما:

-مراكز غربي روسيكادا.

-مراكز شرقي روسيكادا.

باعتبار أن منطقة روسيكادا القديمة كانت ولا تزال تمثل مراكز هاما في سواحل الشرق الجزائري، وهناك أسباب تاريخية تجعلنا نعتمد على هذا التقسيم، ذلك أن محطة روسيكاد تعد من بين أهم المواقع الأثرية القديمة، حيث أنها كانت نقطة التقاء بين الداخل وسواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط المواجهة لها، لذلك فقد أصبحت مميزة عن غيرها.إضافة إلى ذلك، فقد عثر في هذه المنطقة على عدد كبير من المخازن خصصت لجمع القمح قبل تصديره إلى الموانئ الخارجية.

وهكذا، فقد عثر علماء الآثار على مجموعة كبيرة من النقوش اللاتينية تؤكد وجود علاقة تجارية بين ميناء سكيكدة وموانئ إيطاليا خلال الفترة الرومانية بصفة خاصة.

1- مراكز غربي روسيكادا:

أ- محطة روسكادا- اسطورا:

1- أصل التسمية:

لعله من الشائع والمنطقي في كثير من الأحيان، أن تأخذ أسماء الأعلام تسمياتها من المحيط الثقافي والاجتماعي الذي تدور في فلكه، آخذة بعين الاعتبار مراحل الترتيب التاريخي الذي ظهرت فيه.

وهكذا، نرى أن أسماء الموانئ المغاربية ككل والمدن الساحلية الجزائرية القديمة، كانت قد استنبطها من الأحداث الفكرية والتاريخية، التي توالت على المنطقة المغاربية منذ أقدم العصور.

وفي هذا السياق، يمكننا أن نصف ميناء اسطورا بأنه ذلك الحوض الذي يمتد على بعد 4 كلم غرب مدينة روسيكادا[1]، ويعتبر هذا الميناء من أهم الموانئ الجزائرية التي عرفت إقبال عدة وافدين في تاريخ شمال إفريقيا خلال أقدم العصور[2].

(1) -Vars (Ch.), op-cit., p.6.

(2) -Gsell (S.), Atlas archéologique..., F.9, note 12.

استنادا إلى ما سبق، يتوجب علينا أن نشير إلى أصل تسمية كل من مدينة روسيكادا وميناء اسطورا، وحتى نتجنب الالتباس نورد فيما يلي أصل تسمية كل منهما من خلال ما أشارت إليه الكتابات التاريخية والبقايا الأثرية التي اكتشف بعين المكان.

تشير الكتابات التاريخية، إلى أن أول من لجأ إلى خليج اسطورا الهادئ، هم الفينيقيون وأطلقوا عليه اسم اسطورت (Astorat) أو اسطورا (Astora)، ويعتقد بأنه اسم سامي الأصل، كما أنه مأخوذ من اسم الآلهة عشتاروت (Astrat) السامية، آلهة الحب والجمال وحارسة البحارة عند الفينيقيين[1].

وبذلك، أصبح ميناء اسطورا بوابة المدينة الجديدة روسيكادا (Rusicade) التي ذكرها المؤرخون كثيرا[2]، وقد أشير إليها في رحلة سيلاكس (Sylax) تحت اسم طبسوس (Thapsus)، ويعتقد أن أصل الكلمة مستمد من اللغة الفينيقية، والتي تعني مدينة مجاورة لنهر طبسوس الذي هو نهر الصفصاف (Saf saf)[3].

ويمكن أن يكون اسم طبسوس يمثل مرحلة من مراحل المدينة التي عرفت فيما بعد باسم روسيكادا، وهذا الأخير لا يستبعد أن يكون هو الآخر من أصل سامي، لأنه يشتمل في جزئه الأول على اسم "روس"(Rus) والذي يعني "رأس" بالفينيقية، وإذا بحثنا في أصل الكلمة لوجدناها على النحو التالي: رأس النار، أو رأس المنارة، وكذا رأس وقادة[4].

كما لا يستبعد أن الاسم الذي قد أعطى للمدينة، هو نسبة إلى النار التي كانت توقد كل ليلة فوق هذا الرأس لترشد السفن إلى ميناء اسطورا[5].

إضافة إلى ما سبق، فإن اسطورا كانت تضمن خدمات مع العالم الخارجي، وهذا ما جعل الرومان فيما بعد يسخرون روسيكادا للآلهة فينوس(Venus) [6] ، التي تعتبر حامية للعائلة المالكة.

---

(1) -Ibid., F. 8, note 19.

(2) -Bertrand (L.), Carthage du musée archéologique de Philippeville, Philippeville, 1914, p. 7.

(3)– الصفصاف: يعتقد أن كلمة الصفصاف هي كلمة سامية من أصل فينيقي، تبناها الليبيون القدماء فيما بعد، وأصل الكلمة "تصف تصف" والتي تعني شجرة تنمو قرب المياه، وتتكون الكلمة من تكرار الجذر"تصف" الذي يعني السيلان بغزارة. ومن هذه اشتقت الكلمة البربرية "أسيف"(Asif) أي خشب النهر. لمزيد من المعلومات أنظر:. Vars (Ch.), op-cit., p 7

(4) - Ibid., pp. 7-8.

(5) -Mercier (E.), Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de département de Constantine, V. 9, Adolphe Braham, Constantine, 1997, p.318.

(6)– الإلهة فينوس: تقابل الإلهة "عشتاروت" عند الفينيقيين، يدعونها الإغريق باسم الإلهة "أفروديت"، تمثل الإلهة فينوس آلهة الحب والجمال والحرب وكوكب الزهرة والزواج والإخصاب عند الرومان. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص.117.

ومن جهة أخرى، نجد أن كل من مدينة روسيكادا أو ميناء اسطورا، قد ورد تكرار اسمهما في كثير من كتابات المؤرخين، وخاصة الرحالة منهم، ونورد على سبيل المثال الجغرافي الإدريسي (El-Edrissi) الذي ذكر اسطور كميناء نوميدي، بالإضافة إلى الرحالة الإسباني مرمول (Marmol) الذي ذكر: "روسيكادا مدينة قديمة توجد على بعد 14 ميل من شولو، وتمتد المدينة إلى غاية الجهة العليا من خليج اسطورا ونوميديا" مضيفا في فقرة أخرى أن بطليموس (Ptolémée) هو من أعطى لهذا الميناء اسم روسيكادا"[1].

أما المؤرخون العرب، فقد وردت في كتاباتهم عن المدينة، اختلافات نوردها كما يلي: إسيكدا (Issikda) وتسيقدا (Tacigda) وأصبح يطلق عليها سكيكدة (Skikda) إلى يومنا هذا[2].

من خلال ما سبق، يتبين لنا أن اسطورا وروسيكادا، اسمان أحدهما للميناء والآخر للمدينة، ونستطيع القول أنهما يأتيان متتابعان، ومن المحتمل أنهما قد وجدا في وقت واحد[3].

2- موقع المدينة والميناء:

ترتب عن الموقع الإستراتيجي الذي احتلته المدن الساحلية الجزائرية القديمة كمنفذ طبيعي يربط بين المسارح التي قامت عليها الحضارات القديمة، بالإضافة إلى غنى المنطقة بثروات طبيعة كالغابات مثلا، ومن أجل ذلك استوطنتها شعوب بحرية كانت تعيش في حالة مد وجزر، وصراع دائم للفوز بهذه المنطقة، وهذا ما أثر على شعوب ومدن الساحل الجزائري على وجه التحديد.

ومن خلال ما سبق، يمكننا أن نصف مدينة روسيكادا على أنها مدينة قديمة تقع قرب خليج اسطورا الهادئ غرب وادي الصفصاف (Saf-Saf)[4].(أنظر الشكل رقم: 12 ص.87). وإذا كانت الكثير من الكتابات التاريخية تشير إلى أن هذه المحطة التجارية، تقع في المنطقة الليبو- فينيقية والتي تمتد من موقع قرطاجة حتى رأس بوقرعون، فإنه بعد هذا الموقع تبدأ منطقة المدن الميتاغونيتية (Métagonites) والتي تمتد على طول الساحل الجزائري، حتى رأس سبارتل (Spartel) على المحيط الأطلسي للمغرب الأقصى[5].

---

(1) -Ledermann (E.), op-cit., p.93.

(2) -Gsell (S.), Atlas archéologique…, F.8 ,note 196.

(3) -Marcillet (J.), Philippeville, libyca, T.VIII, 1960, p.97.

(4) -Vars (Ch.), op-cit., p.7.

(5)- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.213.

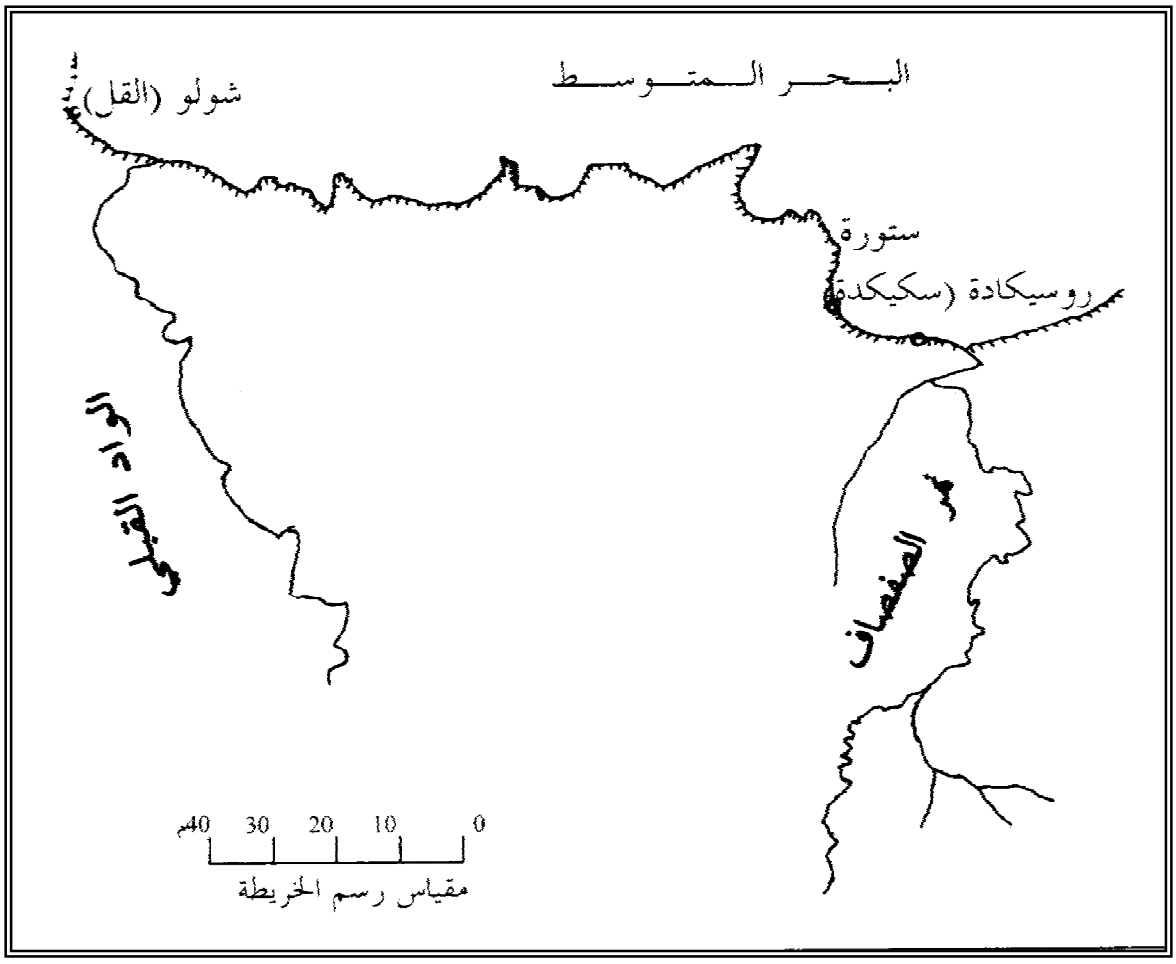

خريطة توضيحية، تمثل مرافئ كل من روسيكادا، أسطورا و القل.

الشكل رقم:12

اعتمادا على: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.209.

وعليه، فإن روسيكادا تقع شمال شرقي الساحل الجزائري، حيث تطل على البحر المتوسط عبر مينائها الرئيسي اسطورا، وتظهر بصفة واضحة في الفترة الرومانية كما تشير إليه الكتابات التاريخية، حيث ورد في كتابات المؤرخ بطليموس تحديدا لموقع المدينة على أنها تقع في عمق الخليج النوميدي الروماني المعروف باسم سينوس أو كاشيتس (Sinus Okachites) [1] ، أين كانت تمثل مستودعا تجاريا لمقاطعة سيرتا [2] (Cirta) ، وقد كان الممر الرئيسي للعبور هو ميناء اسطورا. هذان المركزان المرتبطان ببعضهما، يكمل الواحد منهما الآخر و يشكلان معا وحدة مشتركة.

3- النشاط التجاري القديم لميناء روسيكادا- اسطورا:

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن شمال إفريقيا بصفة لم تكن وحدة إدارية خلال الفترة البونية، فرغم كون قرطاجة أكبر المدن من حيث الكثافة السكانية والنشاط التجاري، إلا أنه لم تكن لها السلطة المطلقة على بقية موانئها[3].

أما خلال الفترة الرومانية، فقد امتد نفوذ الرومان في كامل شمال إفريقيا انطلاقا من السواحل حتى المرتفعات والجبال وتوغلوا حتى مشارف الصحراء[4].

ولكننا لا ننفي أن الحضارة القرطاجية قد قامت بجهد كبير في المنطقة التي توافرت بها مرافئها، وذلك من أجل التبادل التجاري الذي كان مبنيا على أسس سليمة، لذلك يبدو أن الرومان لما وصلوا إلى سواحل شمال أفريقيا، ركزوا عملهم على توسع سيطرتهم العسكرية والسياسية وعملوا على استغلال الأرض والتجارة[5]، حيث أسست المقاطعات الرومانية في كامل بلاد المغرب القديم تحت اسم أفريقيا رومانيا (Africa- Romana) وبروقنصلية إفريقيا الجديدة (Africa-nova)، وكانت تلك الخطوة فاتحة عهد الاحتلال الروماني للمنطقة، وتوالت بعد ذلك عملية تأسيس الإتحاد الكونفدرالي السرتي، تبعته بعد ذلك عملية التمسيح لابتلاع كافة الساحل الإفريقي[6].

---

[1]- نفسه.

[2]- سيرتا: يعتقد بأن اسم سيرتا (قسنطينة حاليا) فينيقي، وأنه تحريف للاسم الحقيقي الذي هو "كرتن" (K.R.T.N) ومعناه المدينة. وقد أشير إلى سيرتا في أحداث نهاية القرن الثالث ق.م التي جرت بين سيفاقص من جهة وغايا وابنه ماسينسا من جهة أخرى. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.213.

[3]- Bouchenaki (M.), op-cit., p.44.

[4]- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر... ص.214.

[5]- Salama (P.), op-cit., p.41.

[6]- محمد الصغير غانم، نظرة في العلاقات الحضارية الفينيقية الليبية... ، ص.65.

ويلاحظ من خلال الكتابات التاريخية والبقايا الأثرية، أن روسيكادا كانت من بين أشهر موانئ شمال إفريقيا حيث كان ميناؤها (اسطورا) من أهم موانئ نوميديا الشرقية الذي يعنى بالتصدير و الإستيراد و مجموعة الاتصالات بين مينائي إيطاليا الرئيسيين:أوستي [1] (Osite) وبوزوليس (pozzolis) [2]، اللذين كانا يوزعان بدورهما السلع على موانئ الإيطالية الأخرى[3]. (أنظر الشكل رقم :13 ص.90).

وما ينبغي الإشارة إليه، هو أن ميناء روسيكادا- اسطورا كان من بين أهم الأسواق ومراكز التموين القرطاجية، لاسيما بعد أن استرجع ماسينيسا[4] معظم المدن الساحلية التي أصبحت عبارة عن بوابات له على عالم البحر المتوسط، وكسر بذلك الاحتكار الذي فرضته قرطاجة على بلاد المغرب القديم، وهو ما ساهم في إنعاش الحركة التجارية بالمنطقة[5].

وإذا نظرنا إلى ما كان يقدمه ميناء اسطورا خلال الفترة الرومانية على وجه التحديد، لوجدنا أن التجارة كانت نشطة أكثر من ذي قبل، ذلك أن مدينة روسيكادا كانت تمثل مستودعا تجاريا لمستعمرة سيرتا والمدن الواقعية في الداخل، وقد أصبح بذلك ميناء روسيكادا منفذا طبيعيا لمنتوجات تيمقاد (Thamgadi) لمباز (Lambaesis) (تازولت حاليا)، ومصدرا من الدرجة الأولى لزيوت بوزوليس، إذ وجد علماء الآثار مجموعة من النقوش والمكاييل تؤكد للباحث وجود علاقة تجارية بين هذين الميناءين[6] ، إضافة إلى تجارة الرخام التي عرفت نشاطا كبيرا بميناء روسيكادا أثناء الفترة الرومانية، حيث كان يستخرج من جبل فلفلة الحالية (Félféla) رخاما من اللون الأبيض ثم يسوق نحو

---

[1]- أوستي: قام الحكام الرومان بعدة محاولات لإنشاء ميناء في منطقة أوستيا باءت كلها بالفشل، و لم يتحقق هذا المشروع إلا في عهد الإمبراطور كلوديوس، وقد تم إنجازه في ظرف سنتين، كان مخزنا للسلع الغذائية كالحبوب إلى جانب الأخشاب والرخام. لمزيد من المعلومات أنظر: Bertrandy (L.), op-cit., p.7. -

[2]- بوزوليس: يقع ميناء بوزوليس على ساحل كامبانيا في الطرف الشمالي من شرق نابولي، في وسط خليج محمي جيدا ومفتوح من الجنوب. لعب ميناء بوزوليس دورا كبيرا في تموين جماهير إيطاليا، وقد أكدت هذه الفكرة نقوش عثر عليها في مناطق متعددة من المغرب القديم، من أهمها النقش الذي وجد بمدينة سكيكدة. لمزيد من المعلومات أنظر:آسيا مسعودي، إنشاء وتطور المرافق الأساسية للتجارة الرومانية في المغرب...، ص ص.117-118.

[3] -Ledermann (E.), op-cit., p.4.

[4]- ماسينيسا:(202-148ق.م) هو أحد ملوك نوميديا، عمل على توحيد القبائل النوميدية كما يخبرنا المؤرخ تيتوس ليفيوس(Tite-live) وقد عقد عدة صفقات تجارية مع روما موزعة ما بين سنتي 200-170ق.م. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص.131.

[5] -Gsell (S.), H.A.A.N., T.4, p.115.

[6] -Salama (P.), op-cit., p.44.

صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل مرفأ اسطورا.

الشكل رقم:13.

اعتمادا على: موقع على الأنترنيت، Google Earth.com

استخرجت بتاريخ:2008/01/03.

المـــوانئ الإيطالية [1].

يستنتج مما سبق، أن إنشاء المخازن بالقرب من المناطق الخصبة، يوضح جليا سياسة روما المتمثلة في تصريف خيرات بلاد المغرب القديم إلى الأسواق الرومانية والإيطالية بصفة عامة، هذه الخيرات التي لم تتوفر في مناطق أخرى من العالم القديم والتي تتمثل في القمح والشعير والثمار المختلفة والخشب والزيوت، إضافة إلى المرمر والملح وجلود الحيوانات وغير ذلك من الثروات الطبيعية والحيوانية[2].

والواقع أن ميناء روسيكادا- اسطورا كان ولا يزال من أهم الموانئ التجارية التي لعبت دورا لا يستهان به في اقتصاد المغرب القديم على مر العصور، لاسيما في منطقة الشرق الجزائري. (أنظر الشكل رقم: 14 (أ،ب) ص.92).

ب- <u>محطة شولو</u>:

لعبت محطة شولو دورا لا يستهان به في اقتصاد بلاد المغرب القديم على مر العصور، لاسيما في منطقة الشرق الجزائري.

1- <u>أصل التسمية</u>:

هي كولوبس (Collops) أو شولو (Chullu) القديمة، القل حاليا ويسميها بطليموس كولوبس ميغاس (Collops megas). ويعتقد بعض الدارسين أن اسم القل (Collo) مستمد من الكلمة الفينيقية كولاه (Akulah) التي تعني "أعوج" أو "منحن"، ومن المرجح إذن أنها تعني "المنطقة الواقعية في خليج منحن"[3].

وقد وردت الإشارة في لوحة بوتنغر(Table de Peutenger) إلى كولوبس ماغنوس (Collops Magnus) باسم "خولك"، وتسميها خريطة طرق الأنطونيين باسم مدينة خولي أو شولى(Chuli minici pium) [4].

ومهما يكن، فإن مدينة القل القديمة هي واحدة من المدن الليبية الفينيقية التي كانت تدور في فلـــك قرطاجة، و قد كانت من المـــدن التابـــعة للإتحاد الكونفدرالـــــي السيرتـــي

---

[1]-آسيا مسعودي، التبادل التجاري بين إيطاليا والمغرب القديم...، ص ص. 34-35.

[2] -حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد فتحي ومحمد الأخضر، دار الغـــرب الاســـلامي ج.2، ط.2، بيروت، 1983، ص.55.

[3]- هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة: أبو العيـــد دودو، الـــشركة الوطنيـــة للنـــشر والتوزيع، ج.2، الجزائر، 1979، ص.217.

[4] - نفسه، ص. 218.

أ- صورة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل كل من ميناء سكيكدة القديم والميناء الحديث، مرفأ اسطورا، ووادي الصفصاف.

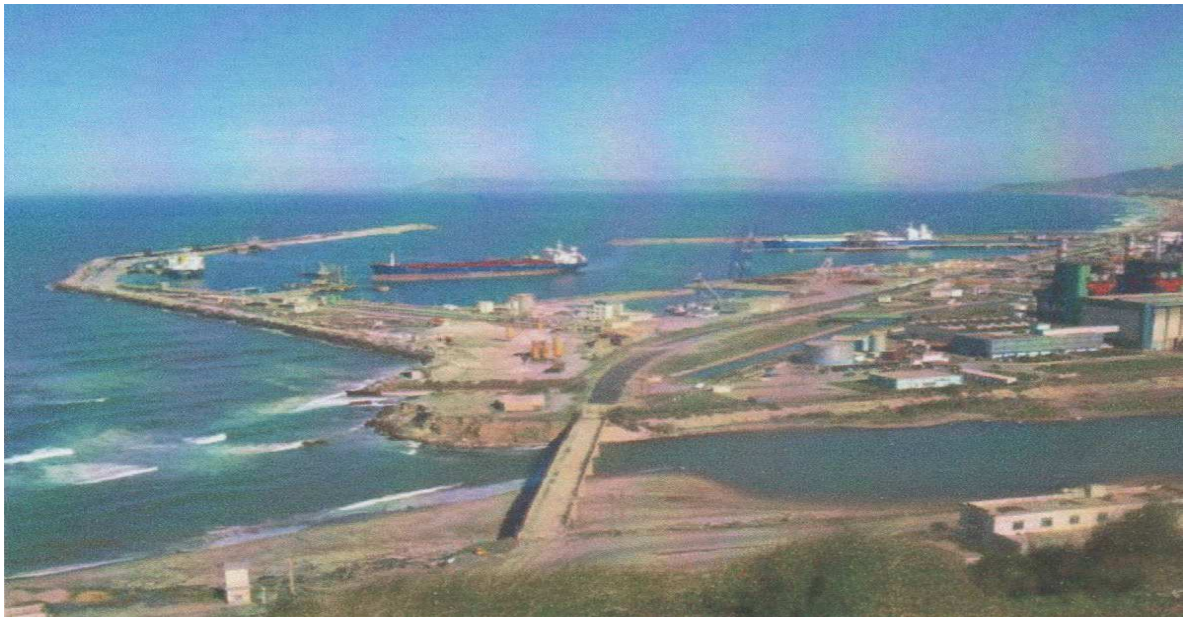

ب- صورة فوتوغرافية لميناء سكيكدة في شكله الحالي.

الشكل رقم: 14 (أ، ب).

اعتمادا على: موقع الأنترنيت، Google Earth. Com.

استخرجت بتاريخ:2008/01/03.

خلال الفترة الرومانية[1].

2- موقع المدينة والميناء:

تحتل شولو (القل حاليا) الجانب الشرقي من رأس بوقرعون[2] الذي يحميها من الرياح الشمالية الغربية، وتقع في زاوية خليج صغير بسفح جبل الكدية الشبيهة بالهرم حسب الكتابات التاريخية[3].

ومن جهة أخرى، يعتقد الدارسون بأن مرفأ القل القديم يحتل نفس المكان الذي يوجد به الميناء الحالي[4].(أنظر الشكل رقم: 15 ص.94).

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن المسافة بين القل وروسيكادا قدرت في كل من خريطة الطرق واللوحة البوتنغرية بخمسين معلما وهذا كثير جدا، فالمسافة في الحقيقة لا تزيد عن ثلاثين كيلومترا. أما بطليموس فيقدرها بعشر درجات من خط الطول، وهذا أقرب إلى الصواب[5].

3- النشاط التجاري القديم لمحطة شولو:

تذكر الكتابات التاريخية، أن سكان محطة شولو الأصليين قد اشتهروا منذ القديم باستخراج الصباغة الأرجوانية[6]، ولعل الفينيقيين هم الذين أدخلوا هذه الصناعة التي بقيت حتى الفترة الرومانية[7].

و ما ينبغي الإشارة إليه، هو أن ميناء شولو يعد من أهم الموانئ المغاربية القديمة، فقد ورد في الكتابات التاريخية أن العديد من المعاملات الرابحة في شمال إفريقيا كانت تتم

---

(1) -Gsell (S.), Atlas archéologique…, F.8, note 29.

(2)- رأس بو قرعون: أو جبل بوقرون، بمعنى الجبل ذو القرنين، ورد في كتابات استرابون أنه من رأس بوقرعون تأتي تسمية بروموثوريوم ميثاغونيوم(Promuntorium Metagonum) هذه الأخيرة التي وردت في كتابات بومبيوس ميلا، كما عرف أيضا برأس تريتون القديم، وهوموجود بشبه جزيرة القل الحالية، التي عرفت عند المؤرخين القدماء تحت إسم الميتاغونيتس (Métagonitis térra)، وهي تلك المنطقة التي جند منها القائد حنبعل فيما بين سنتي (218-219 ق.م) أربعة آلاف فارس لحماية قرطاجة. لمزيد من المعلومات أنظر: Gsell (S.), Atlas Archéologique..., F.1 ; - Polybe, Histoire, III, 33, 12.

(3) -Braham (D.), Les mines antiques de la région de Collo, Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, 5ème= volume de la 5ème= série, Librairie editeur, Alger, 1915, p.42.

(4) -Lieussou (M.A.), op-cit., p.76.

(5)- هاينريش فون مالتسان، المرجع السابق، ص.218.

(6) -Lecoq (A.), Le commerce de l'Afrique Romaine, société de Géographie et d'Archéologie de la province - d'Oran, T. XXXII, 1912, p.485.

(7)- آسيا مسعودي، التبادل التجاري في ايطاليا و المغرب القديم...، ص.30.

صورة فوتوغرافية لميناء القل في شكله الحالي.

الشكل رقم:15.

بميناء شولو[1].

تجدر الإشارة هنا، أنه من بين الحفريات الأثرية التي زادتنا تأكيدا على وجود نوع من النشاط التجاري القديم بمحطة شولو، ما قام به الجنرال هيلو (Hélo) سنة 1895م من حفريات على قبور جنوب المدينة، والتي أثبتت نتائجها على وجود الفخار البوني العائد إلى نهاية القرن الثالث ق.م[2].

وإلى جانب الفخار، عثر على عدة قطع نقدية قرطاجية ونوميدية والتي لا يتجاوز تاريخها القرن الثالث ق.م[3].

ج- محطة إيجلجيلي:

1- أصل التسمية:

لقد وردت محطة إيجلجيلي في كتابات المؤرخين القدماء، ويبدو أن اسمها فينيقي الأصل مثل أسماء المدن القديمة التي تبدأ بالياء، فحرف "الياء" يعني "الشاطئ" ويترجم كلمة إي-جلجيلي بعبارة "شاطئ الدوامة"، ولا ريب أن معناها "المرفأ الرديء"، فقد ورد أن ميناء إيجلجيلي ليست له حماية كافية، حيث كانت هناك صخور كثيرة بعضها يبلغ علوا كبيرا تحمي الميناء من الرياح الشمالية، غير أن تلك الصخور لم تكن متواصلة، فقد كانت بها فجوة عرضها 300 قدم مما يسمح للأمواج البحرية بالعبور، فتهدد الميناء خاصة عند اشتداد العواصف[4].

ومن جهة أخرى، يرى الأستاذ غانم بأن تسمية إيجلجيلي تعني "جزيرة الخزف"، وفي رأيه فإن "أي" شبيهة بتسمية "أي كوسيم" التي هي التسمية القديمة للجزائر العاصمة قبل دخول الاستعمار الروماني إليها والتي تحولت بحكم اللغة اللاتينية إلى "أي كوزيوم" (ICOSIUM) [5].

كما تجدر الإشارة، إلى أن محطة إيجلجيلي قد ورد اسمها في خريطة الطرق ولوحة بوتنغر ويدرجها بطليموس ضمن المستوطنات الرومانية، كما يفيدنا بلينوس بمعلومات مفادها

---

(1)- حسن بن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، ص54.

(2)- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.211.

(3)-Hélo (C.), Notice sur la nécropole libyco- phénicienne de Collo, B.A.C., 1895, pp.345-346.

(4)- هاينريش فون مالتسان، المرجع السابق، ص.212.

(5)- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص ص.200-204.

أن الإمبراطور أوكتافيوس أوغسطس[1]، أسس فيها مستوطنة لتوطين الجنود المسرحين من الخدمة العسكرية، وكان ذلك بين سنتي 30 ق.م و 25 ق.م[2].

2 – موقع المدينة والميناء:

لا ريب أن يكون الفينيقيون قد انتبهوا منذ وقت مبكر لإستراتيجية موقع محطة إيجلجيلي، وللإمكانية التي يوفرها لإقامة مرفأ ترسو به السفن، المحمي من الرياح الشمالية والغربية. وإذا كانت هذه العناصر السباقة إلى تأسيس محطة تجارية بهذا الموقع، فإن هذه المحطة أسست وسط تجمعات بشرية قديمة تواجدت بالمنطقة منذ العصور الحجرية، مثلما يتجلى ذلك من بقايا الصناعات الحجرية التي كشفت عنها الحفائر التي أجريت بالمنطقة لاسيما تلك التي تمت سنتي 1954 و 1964م[3].

وقد شمل الإطار الجغرافي للمحطة التجارية إيجلجيلي شبه الجزيرة الصخرية التي تحد الجهة الشمالية الغربية للميناء، وجزء من السهل الضيق الممتد خلفها والمطوق بالتلال[4]. (أنظر الشكل رقم: 16 ص.97).

ومن جهة أخرى، أشار البكري إلى بقايا مدينة إيجلجيلي القديمة في القرن الحادي عشر ميلادي[5]. وقد ذكرها حسن الوزان، بأنها تقع في شبه جزيرة منخفضة منبسطة بعيدة عن بجاية بنحو 96 كلم.[6]

كما أن المدينة قد نالت حظها من الدراسة على يد الأثريين الفرنسيين منذ نهاية القرن التاسع عشر، حيث نقب أحد الضباط الفرنسيين وذلك في موقع منحنى الرأس الأسود

---

[1]– أوكتافيوس أوغسطس:هو جايوس يوليوس قيصر أو أوكتافينوس أو أوكتافيان (63ق.م–14م). وقد أطلق عليه اسم أوغسطس عندما أصبح أول إمبراطور روماني عام 27ق.م. حافظ أوغسطس على حكومة نزيهة ونظام نقدي مستقر، وعلى تجارة حرة بين الولايات الرومانية، وحسن المرافئ والطرق. وعموما فقد حققت روما مجدا عظيما أثناء حكم أوغسطس وأصبحت تلك الفترة تعرف باسم العهد الأوغسطي. لمزيد من المعلومات أنظر: حسن النجفي، معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم، دار واسط، ط.1، بغداد، 1982، ص.102.؛ عبد الرحمن ابن خلدون، المرجع السابق، ص.469.

[2] -Pline l'Ancien, Histoire naturelle, livre V, les belles-lettres, Paris, 1980, p.160.

[3] -Ramendo (L.), Les industries préhistoriques Djijelli - Site - Ouest, libyca anthropologie préhistoire-Ethnographie 13, 1965, pp.29-58.

[4] -Féraud (Ch.), Histoire des villes de la province de Constantine, R.S.A.C., 14, 1870, p.1.

[5]– محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر... ، ص.209.

[6]– حسن بن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، ص.51.

صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل ميناء جيجل الحالية.

الشكل رقم:16.

اعتمادا على: موقع على الأنترنيت، Google Earth.Com

استخرجت بتاريخ: 2008/01/03.

(La pointe noire) الرأس الأســود الذي اكتشفت فيه أول قبور سردابية [1] بونية محفورة في التل الرملي[2]، بالإضافة إلى قبور أخرى كانت منحوتة في الصخر.

وفي سنة 1928م أعاد تنقيب ودراسة هذا الموقع الأثري الباحث ألكي(J. Alquier)، وقد أسفرت حفرياته على نتائج مهمة لاسيما في ميدان الفخار، الذي استطاع بواسطته أن يؤرخ لقبور منحنى الرأس الأسود بحوالي القرن الثالث والثاني ق.م[3]. (أنظر الشكل رقم: 17 ص.99).

3- النشاط التجاري بمحطة إيجلجيلي القديمة:

لقد ساهم النشاط التجاري والصناعي القديم في تنشيط التجارة وتوجيهها في اتجاهين بمحطة إيجلجيلي: أحدهما محلي مرتبط بتموين المدينة بالمنتجات الزراعية التي ينتجها الريف الجيجلي، وتموين هذا الأخير بالبضائع التي تصنع بورشات المدينة، والثاني خارجي يهدف إلى تصريف إنتاج المدينة إلى الخارج. ومن بين ما صدرته هذه الأخيرة التين والخشب والأرجوان الذي كان يستخرج من الأصداف البحرية [4].

إضافة إلى ما سبق، فإن محطة إيجلجيلي كانت تعد من أهم المستوطنات الرومانية التي مونت مدينة روما بالحيوانات المفترسة كالأسود والنمور التي استغلت لتسلية الجماهير، من خلال عروض المصارعة التي تقام بين الحيوانات داخل المدرجات وبالمقابل استوردت الخزف من إيطاليا وغاليا [5].

إن ما تجدر الإشارة إليه، هو ميناء إيجلجيلي القديم قد نشط نشاطا كبيرا، وذلك خلال الفترة الرومانية على وجه التحديد، لكن الميناء لم يخلف من البقايا المادية ما يوحي بمخططه العام باستثناء بقايا رصيف قديم بالجهة الشرقية للمرسى الحديث [6].

---

[1] – القبور السردابية:غالبا ما يكون هذا النوع من القبور كبير العمق، يوصل إليه عن طريق آبار زودت بأدراج حفــرت على جوانبها. تحتوي على غرف جنائزية واحدة أو عدة غرف، قد تعود فترة استعمال هذا النوع من القبور إلــى القــرنين السابع والسادس ق.م. لمزيد من المعلومات أنظر:

-Gauckler (P.), Nécropole punique de Carthage, T. I, II, Paris, 1915, p.503 .

[2] – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر... ، ص.209.

[3]– نفسه.

[4]– خديجة منصوري، جيجل (Igilgili) في الفترة الرومانية، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 12، مطبعة سومر، الجزائر، 2002، ص.112.

[5] -Hinglais (V.), Catalogue du musée archéologique de Constantine, R.S.A.C., 1904, p.291.

[6] -Berbrugger (A.), Igilgili, Choba et Muslubio, la revue Africaine, XI, 1867, p.312.

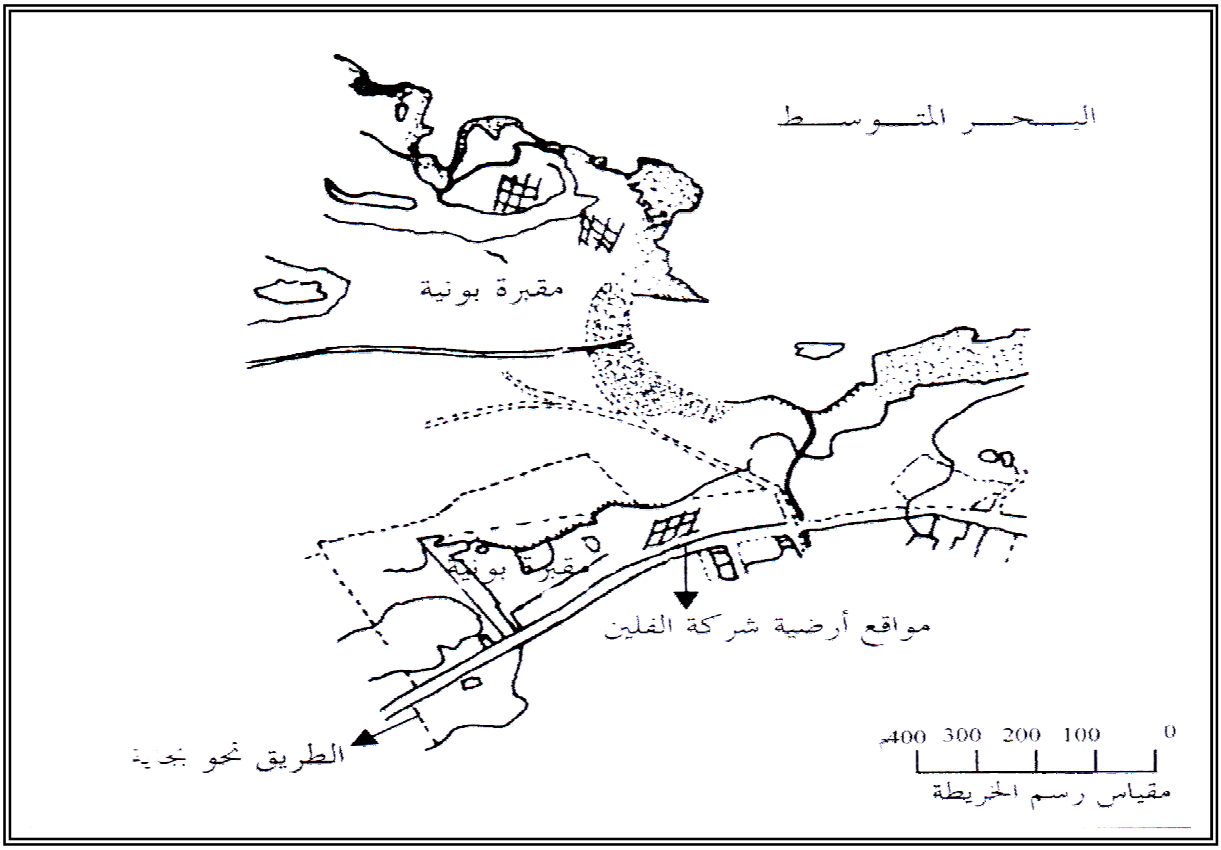

مخطط يمثل موقع القبور البونية التي عثر عليها في جيجل.

الشكل رقم:17.

اعتمادا على: محمد صغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني...، ص.210.

العام باستثناء بقايا رصيف قديم بالجهة الشرقية للمرسى الحديث[1].

كان هذا الانتعاش الاقتصادي وراء الرخاء الذي عرفته محطة إيجليجلي خاصة خلال الفترة الرومانية، هذا الرخاء الذي يتجلى من خلال حركة عمرانية واسعة بني خلالها سور المدينة، الذي لم يبق منه سوى أساسه الذي شوهد ستة 1839م، لكن حتى هذا الأخير لم يلبث أن ابتلعه البحر ومحي أثره تماما[2]. (أنظر الشكل رقم: 18 ص.101).

د- محطة صالداي:

1- أصل التسمية:

لقد كانت صالداي (بجاية حاليا) قبل الاجتياح الروماني لشمال إفريقيا محطة فينيقية[3]، ويعتقد بعض المؤرخين أن اسمها مشتق من كلمة "سيرد" التي تعني الحجر الصلب. ويعد هذا الاشتقاق مطابقا للإسم الفينيقي القديم "ساردي"، وقد وردت أيضا تحت اسم "تساردي" في كتابات المؤرخ الإغريقي استرابون[4].

بناءا على ما سبق، فإن محطة صالداي الفينيقية، قد عرفت باسم صاردي، وهو اسم مشتق من نفس الإسم الذي اشتق منه اسم جزيرة سردينيا التي أسماها الفينيقيون أيضا ولا تزال كلمة "صلد" إلى يومنا هذا تعني في اللغة العربية: "الحجر الصلب"[5].

ويطلق المؤرخ بلينوس على مدينة صالداي إسم مستعمرة "بوليا أوغسطا الصالدية" وقد رفعها في اعتقاده القيصر أوغسطوس إلى مقام مستعمرة[6].

2- موقع المدينة و الميناء:

تقع بقايا صالداي القديمة على شاطئ خليج مصب نهر الصومام، الذي يصب في البحر المتوسط. هذا ما جعل ميناءها يكون محميا طبيعيا من الرياح الشمالية الغربية، وبذلك فهو يقدم أحسن ملجأ للقوارب والسفن القديمة التي كانت تلجأ إلى هذا الجزء من الساحل الجزائري[7].

ويمكن أنت تكون هذه المحطة التجاريـــة قد استعملت منذ حوالـــي القرن الرابع ق.م

---

(1) -Berbrugger (A.), Igilgili, Choba et Muslubio, la revue Africaine, XI, 1867, p.312.

(2) -Gsell (S.), Atlas archéologique…, F. 7, note 77.

(3) -Salama (P.), op-cit., pp.43-44.

(4) – هاينريش فون مالتسان، المرجع السابق، ص.110.

(5) – نفسه، ص.111.

(6) -Gsell (S.), Atlas archéologique… F. 7, note 1.

(7) – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني ...، ص. 208.

صورة فوتوغرافية تمثل ميناء جيجل في شكله الحالي.

الشكل رقم:18.

اعتمادا على: موقع على الأنترنيت ، Google Earth.Com

استخرجت بتاريخ: 2008/01/03.

حيث أشير إليها في رحلة سيلاكس على أنها تعد من بين المدن الساحلية التي كانت تدور في فلك قرطاجة[1].

وما تجدر الإشارة إليه، أنه قد وجد بموقع المدينة القديمة العديد من النقود القرطاجية والنوميدية، إضافة إلى العديد من النصب ذات الطابع البوني[2].

ومن جهة أخرى، أشاد استربون بأهمية ميناء بجاية القديم[3]، كما عثر على عدة قبور محفورة في الصخر الهش، تمتد فيما بين برج عبد القادر وخليج سيدي يحي[4]. (أنظر الشكل رقم:19(أ) ص.103).

3- النشاط التجاري القديم لمحطة صالدي:

تجمع الدراسات التاريخية التي تناولت دراسة محطة صالداي، بأن المنطقة عرفت نشاطا تجارية مهما منذ القدم[5]. ومن جهة أخرى فإن المخلفات الأثرية التي التقطت المنطقة تؤكد لنا الدور الفعال الذي كان يلعبه ميناء صالداي[6].(أنظر الشكل رقم:19(ب) ص.103).

وفي هذا الإطار، تكشف لنا النقوش العلاقات الإقليمية القائمة بين صالداي وأيول "IOL" (شرشال حاليا) وقونوقو (قوراية) وبين أيول وطنجة وربما طنجة مع الصالداي إذ تم العثور في وليلي (Volubilis) على جرار زيت تكون قد نقلت من صالداي إلى طنجة، ويفهم من بعض المصادر أن الاتصال بين طنجة وصالداي ظل قائما عن طريق البحر حتى وقت متأخر[7].

وعليه، فإن محطة صالداي كانت واحدة من أهم مراكز التموين الإفريقية التي ساهمت في إنعاش الحركة التجارية خاصة خلال العهد الروماني ولا شك أن الرومان قد عملوا على ربط مناطق الإنتاج بالموانئ التي رمموها ووسعوها وأنشئوا بها المستودعات تسهيلا لعمليات التصدير[8]. (أنظر الشكل رقم: 20 (أ،ب) ص. 104).

---

(1) -Gsell (S.), Atlas archéologique…, F. 9, not 12.

(2) -Soulié (M.), Bougie, libyca, T.VII, 1959, p.275.

(3) -Strabon, XVII, 3.12.

(4)– محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.208.

(5)– حسن بن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، ص.50.

(6) -Soulié(M.), op-cit., p.275.

(7)– محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص.129.

(8) -Salama (P.), op-cit., pp.35-50

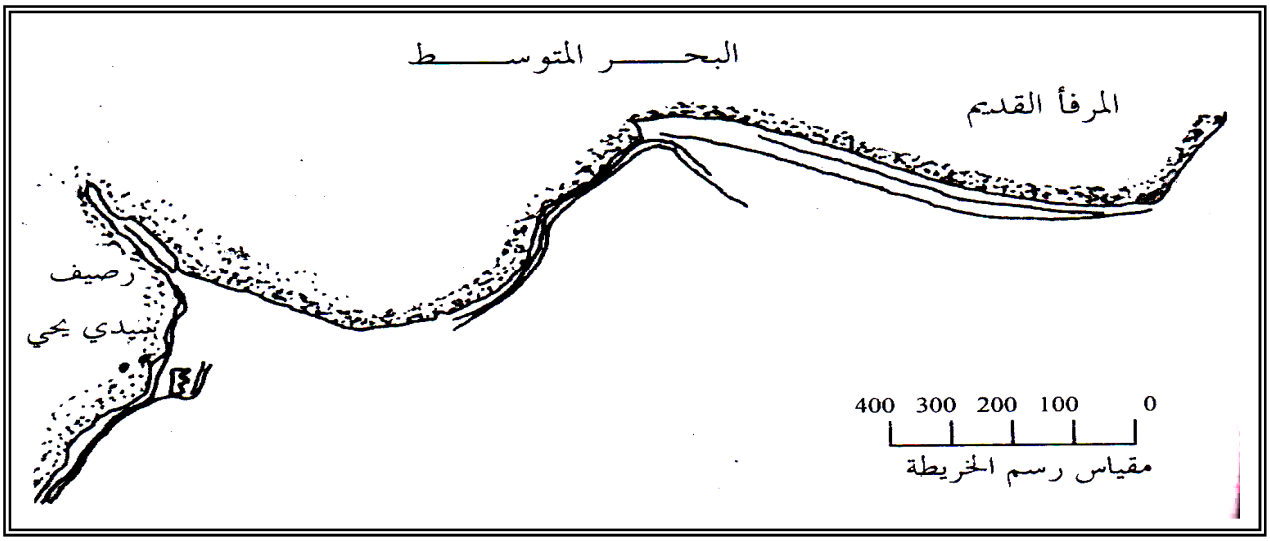

أ- خريطة توضيحية، تمثل مرفأ بجاية في العهود القديمة.

ب- صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل كل من ميناء بجاية، موقع رأس الحديد، جبل قورايا، ووادي الصومام.

الشكل رقم: 19 (أ،ب).

اعتمادا على: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني...، ص.209؛ موقع على الأنترنيت، Google Earth.Com

استخرجت بتاريخ:2008/01/03.

أ- صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل ميناء بجاية في شكله الحالي.

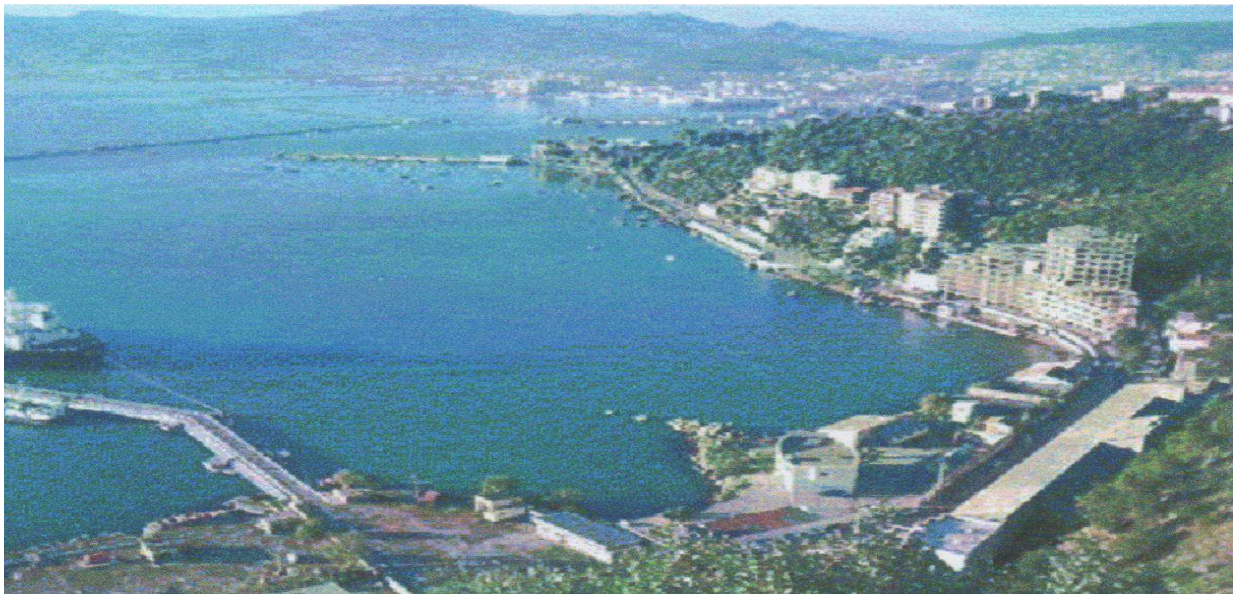

ب- صورة فوتوغرافية تمثل ميناء بجاية في شكله الحالي.

الشكل رقم:20.

اعتمادا على: موقع على الأنترنيت، Google Earth.Com

استخرجت بتاريخ:2008/01/03/.

2- مراكز شرقي روسيكادا:

أ- محطة هيبوريجيوس:

1 - أصل التسمية:

هي هيبوريجيوس القديمة أو هيبونة (Hippone) ثم بونة التي هي تحريف للفظة هيبونة التي وردت في الكتابات التاريخية، ويعتقد أن الفينيقيين هم أول من أطلق عليها اسم أوبو (Ubo) التي تعني الجمال أو الفخامة ومنه يستنتج أن اسم هيبو هو المدينة الفاخرة[1].

وقد أوردها سالوستيوس (Salluste) ضمن أسماء المدن الفينيقية في النص التالي: "كان بعض الفينيقيين قد هاجروا إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط بدافع تقليل الضغط السكاني في منطقة الساحل الفينيقي والبعض الآخر كانت له رغبة في السيطرة والتوسع، أما الفئة الثالثة فكان همها الوحيد هو الربح التجاري والحصول على المواد الخام، ومن أجل ذلك كله أسسوا على شواطئ البحر كلا من هيبونة وحدرومات (Hadrumet) سوسة حاليا، ومدنا أخرى..."[2].

غير أن هذا النص، يسوده كثير من الغموض وذلك لوجود مدينتين تحملان نفس التسمية وهما: هيبوأكرا (Hippo-Acra) بنزرت، وهيبوريجيوس عنابة حاليا[3].

2- موقع المدينة والميناء:

تقع بقايا آثار هيبوريجيوس على بعد 2 كلم جنوب غربي مدينة عنابة الحالية على ضفتي نهر سيبوس (Seybous)[4]. (أنظر الشكل رقم: 21 ص. 106).

ويلاحظ أن مدينة هيبونة شيدت على أرضية سهل تتوسط رابيتان أشهرهما مرتفع القديس أوغسطين (Saint Augustin)[5]، الذي يصل ارتفاعه إلى 55 مترا. ويعتقد بأن شاطئ البحر كان يمتد قديما حتى المدينة القديمة حيث كان يصب نهر سيبوس، وعلى خليج

---

(1)- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص.185.

(2) -Salluste, Jughurtha, XIX ,1.

(3) -Gsell (S.), Histoire ancienne de l'Afrique du nord, T.3, éd. Hachette, Paris, 1928, p.207.

(4) -Gsell (S.), Atlas archéologique…, F. 9, note 5.

(5) - القديس أوغسطين: ولد في تاغست (سوق أهراس حاليا) عام 354 م، تلقى تعليمه في روما وتعمد في ميلانو، تأثر بالرواقية الأفلاطونية. توفي القديس أوغسطين بهيبونة (عنابة حاليا) سنة 430 م، حيث كان أسقفا لها منذ عام 396 م. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.59.

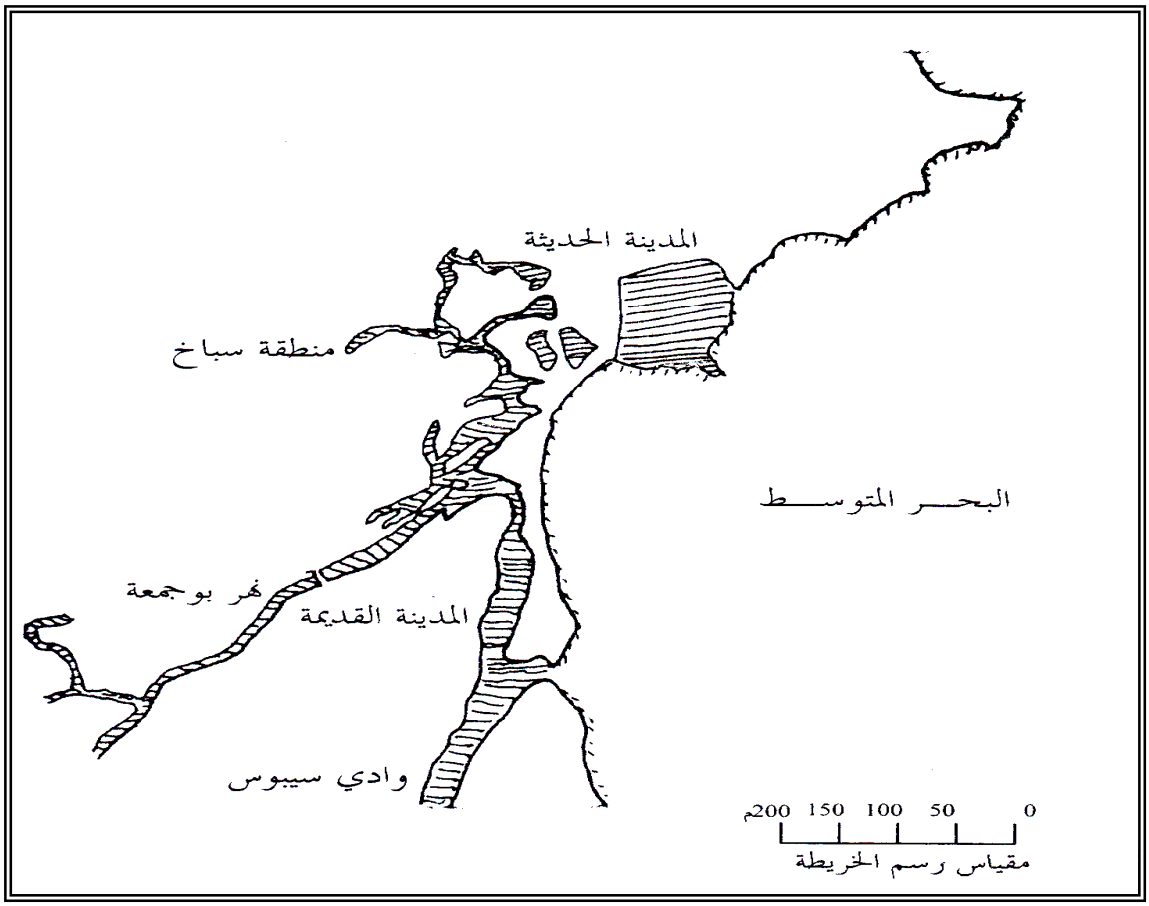

خريطة توضيحية تمثل موقع هيبونة القديمة والحديثة ووادي سيبوس.

الشكل رقم: 21 .

اعتمادا على: معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.216.

هذا النهر كان يوجد الميناء القديم المحمي من الرياح الشمالية والشمالية الغربية[1]. (أنظر الشكل رقم:22(أ،ب) ص.108).

3- النشاط التجاري القديم بمحطة هيبوريجيوس:

لقد بقيت هيبونة عاصمة من العواصم النوميدية إلى أن آلت إلى الإمبراطورية الرومانية كما آل إليها شمال إفريقيا كله[2].

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن محطة هيبونة قد عرفت نشاطا تجاريا مزدهرا خاصة خلال الفترة الرومانية، حيث كانت المدينة تزود روما بالكثير من وسائل الراحة والترفيه، ومن بين المواد التجارية التي كان الإقبال عليها شديدا نجد: العاج والفلين النوميدي والرمان والتوابل...الخ[3].

وقد اشتهرت مدينة هيبوريجيوس بصناعة الموائد من خشب الحمضيات، وقد وردنا أن شيشرون (Cicero)[4] قد اشترى مائدة بمائة ألف قطعة ذهبية[5].

من خلال ما سبق ذكره، نستنتج أن محطة هيبوريجيوس هي واحدة من المحطات التجارية القديمة التي دفعت باقتصاد بلاد المغرب القديم إلى ما وراء البحر المتوسط على مر العصور، خاصة وأنها كانت مركزا إداريا للجهات القريبة منها، وازدادت أهميتها في الفترة الرومانية حيث كانت تمثل الحدود الفاصلة بين مقاطعتي إفريقيا ونوميديا[6].

ثالثا- السكان المحليون الأوائل لسواحل الشرق الجزائري:

"غالبا ما كانت الجماعات الإنسانية...تنطلق في الأرض مدفوعة بالرغبة في وجود أفضل. فمنها من تقيم في مناطق صالحة، فتهيئها، ومنها من تكون أقل حظا أو أقل فطنة فتستمر في حياة البداوة...لكن هناك طمعا وجشعا وشهوة معقدة تجعل القبائل الرحل يثورون على المستقرين، وتدفعهم للتعارك فيما بينهم فتطرد جماعة منهم الأخرى أو تخضعـــها

---

(1) -Gsell (S.), Atlas archéologique…, F. 9, note 59.

(2) -Salama (P.), op-cit., p. 43.

(3) -Marec (E.), Hippone, libyca, T.VIII, 1960, p.98 ; Marec(E.), Le Forum d'Hippone, libyca , T.II, 1954, pp.363-413.

(4)– شيشرون: هو ماركوس توليوس شيشرون (Marcus Tullius Cicero) الكاتب الروماني وخطيب روما المميز، ولد سنة 106 ق م، ينتمي إلى طبقة الفرسان، تأثر بآراء أفلطون وأرسطو، حيث نادى بالدستور المختلط الذي يدمج محاسن الدساتير الثلاثة، وهو في الواقع الدستور الروماني.لمزيد من المعلومات أنظر -Plutarch, Cicéro.2.2.

(5)– محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص.88–89.

(6) – حسن بن محمد الوزان، المرجع السابق، ص.61.

أ–صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل كل من ميناء عنابة ووادي سيبوس.

ب–صورة فوتوغرافية لميناء عنابة فى شكله الحالى.

الشكل رقم:22(أ،ب).

اعتمادا على: موقع على الأنترنيت، Google earth.Com

استخرجت بتاريخ:2008/01/03.

وتستغلها أو تحتويها..."[1].

من هذا المنطلق، نستنتج أن الساحل الإفريقي قد أسهم بتكوينه ومناخه وموقعه الجغرافي- وذلك منذ أقدم العصور- في تشكيل واستمرار شخصية سكانه الجماعية وطبائعهم المميزة، وهي بوجه عام شبيهة بغيرها في العالم كله في ذلك الزمن[2].

وإذا كانت المواقع الأثرية المتمثلة في مدن ساحل الشرق الجزائري على وجه الخصوص، تؤكد أنها كانت مكانا مأهولا منذ العصور الغابرة، وذلك من خلال ما عثر عليه من لقى أثرية ترجع على الأرجح إلى فترة التواجد الفينيقي على الساحل الغربي لحوض البحر المتوسط، إلا أنها لا تقدم لنا معلومات واضحة عن الشعوب التي كانت تسكنها قبل تلك الفترة، فيما عدا بعض الإشارات في كتابات المؤرخين القدماء، تشير في مجملها إلى أن الساحل الإفريقي عامة كان مأهولا بالسكان منذ عصور ما قبل التاريخ من الجنس الأبيض[3].

ومن جهة أخرى، يرى بعض المؤرخون أن بلاد الليبو- نوميد استوطنها شعب من جنس أبيض وفيما بعد سموا بالبربر، وهو اسم مشتق حسبما يقول البعض من الفعل الرباعي في اللغة العربية "بربر" ومعناه "تمتم" أي تكلم كلاما غير مفهوم، ذلك أن اللسان الإفريقي يظهر في مسامع العرب كأصوات مبهمة شبيهة بالصراخ المجرد من المقاطع[4].

1- رأي سالوست عن أصل المغاربة القدماء:

وقد ورد في كتابات سالوستيوس (Salluste) عن أصل الأفارقة الذين يرجعهم إلى الفرس (Perse) أو الميديين (Mèdes)، حيث اختلط هؤلاء الفرس بالسكان المحليين، وأخذوا يتنقلون من جهة لأخرى، وذلك دائما للبحث عن أراضي جديدة، وأطلقوا على أنفسهم اسم النوميديين (Numides)، أما الميديين فقد التحقوا بالليبيين الذين كانوا أقرب إلى البحر الإفريقي، فأخذوا يشيدون المدن فيما بعد ولم يفصلهم عن إسبانيا سوى مضيق أعمدة هرقل[5]

و مهما يكن من أمر، فإن منطقة الساحل الإفريقي عامـــة، قد عرفت عناصر عرقيـــة

---

(1)- جواد بولس، المرجع السابق، ص.51.

(2) - عبد الرحمن بن خلدون، المرجع السابق، ص.18.

(3) - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص ص.54-55.

(4) -Hérodote, Histoire, Trad. I., P.H.L.l'archer, Paris, 1980. p.1.

(5) -Salluste, op-cit., XIX.1 .

مختلفة تغلغلت و اندمجت في البيئة المحلية و ذابت مع الزمن[1].

وعندما أسس الفينيقيون قرطاجة، استخدموها كمركز تجاري لهم، وقد وصلوا –كما رأينا– إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط نحو سنة 1000 ق.م، ولكن الفينيقيون لم يكونوا أول من سكن في محاداة هذه المنطقة الساحلية[2].

فقد وصف المؤرخون القدماء اللوبيون بأنهم سكان بلاد المغرب الأصليين، وقد قابلهم الفينيقيون عندما اندفعوا بمراكبهم إلى سواحل بلاد المغرب القديم، وهم أقوام من البدو يعيشون على ما تجود به التجارة البحرية، وكان غذاؤهم يقتصر على الكائنات البحرية وبعض الثمار. وقد كانوا يقومون ببعض الأعمال كصناعة بعض الأدوات من الحجارة والأخشاب والعظام، التي قد يحتاجون إليها في حياتهم اليومية، وقد عثر على نماذج منها في موقع تمالوس قرب سكيكدة الحالية، وهي عبارة عن مجسمات حجرية ورسوم صخرية تعود على الأرجح إلى فترة ما قبل التواجد الفينيقي بالمنطقة[3].

2- <u>علاقة القرطاجيين الأوائل بالمغربة القدماء</u>:

والحقيقة أن القرطاجيين لم يحاولوا مهاجمة سكان منطقة الساحل المغاربي أو حكمها بالقوة، فقد نظروا إلى المنطقة برمتها على أنها مصدر من مصادر المواد الخام، وقد أنشئوا مراكز لهم لم تكن أكثر من أسواق تجارية محاطة بضياع واسعة لإنتاج زيت الزيتون والحنطة والأشجار المثمرة، ولكن هذا الاستيطان الذي أسسه القرطاجيون لم يكن كافيا لحمايتهم من أي هجوم عسكري حقيقي قد يتعرضون له، لذلك اعتمدوا على بناء علاقات أخوية وثيقة بالسكان المحليين، وقد كانت تلك العلاقات لمصلحة كلا الطرفين على حد السواء[4].

إضافة إلى ما سبق ذكره، فقد قام القرطاجيون بتعليم البربر لغتهم البونية وجلبوا لهم الثياب الملونة الأرجوانية، كما جلبوا لهم الأشجار المثمرة التي لم يكن البربر يعرفونها كالتين والكروم والرمان وعلموهم كيفية غرسها[5].

---

(1) -Gsell (S.), H.A.A.N., T. I, p. 31.

(2) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص.114-145.

(3) – نفسه، ص. 145.

(4) - Gsell (S.), H.A.A.N., T.I, p. 32.

(5) -Bousquet (G.H.), Les Berbères, Paris, 1957, p.10.

و لكن الوفاق الذي كان عليه القرطاجيون و البربر لم يدم طويلا، فقد كان لقرطاجـــة أعداء أشداء، ومنهم الرومان الذين صعقوا بالنجاحات السريعة التي حققها القائد القرطاجي حنبعل (Hannibal)[1]، لذلك ففي القرن الثاني قبل الميلاد زحفت روما على أملاك الدولة القرطاجية بحيث وصلت أبواب قرطاجة، وفي خضم تلك الصراعات التي واجهتها قرطاجة، وبعد حروب دامية عرفت بالحروب البونية[2]، استسلمت مدينة قرطاجة لمهاجميها في عام 146 ق.م، وقد مثل ذلك فترة انحطاط واضمحلال الإمبراطورية القرطاجية التي ذاع صيتها لسنين طويلة وحققت بصمات واضحة في تاريخ بلاد المغرب القديم[3].

نستنتج من خلال ما سبق، أن السواحل المغاربية كانت تحتوي على موانئ قديمة تعود إلى عهد الممالك النوميدية، ازداد نشاطها خلال الفترة القرطاجية وبعدها الفترة الرومانية، أين اهتم الأباطرة الرومان بترميمها وتزويدها بكل المرافق الضرورية. وتنقسم الموانئ حسب نشاطها إلى موانئ رئيسية وأخرى ثانوية، ساهمت جميعها في دفع عجلة الاقتصاد المغاربي لفترة زمنية طويلة.

ومن أهم الموانئ التجارية القديمة الواقعة على ساحل الشرق الجزائري، نجد محطة روسيكادا التي كانت ولا تزال تمثل مراكز هاما في سواحل الشرق الجزائري، حيث أنها كانت تمثل نقطة التقاء بين الداخل وسواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط المواجهة لها.

إضافة إلى ما سبق، نجد محطات تجارية أخرى هي على التوالي: شولو، إيجلجيلي، صالداي، هيبوريجيوس، حيث امتازت كل محطة بمميزات خاصة، بحكم موقعها ودورها في النشاط التجاري المغاربي، وقد دفعت كل هذه المحطات بالاقتصاد المغاربي إلى ما وراء البحر المتوسط على مر العصور.

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن السكان المحليون لسواحل الشرق الجزائري الذين هم مزيج من عناصر عرقية مختلفة قد كونوا إلى جانب العنصر القرطاجي الجديد علاقة أخوية

---

[1]– حنبعل: والشهير بهانيبال برقة، ويعد من أهم القادة العسكريين القرطاجيين، ولد بقرطاج سنة247ق.م. رافق وهو في التاسعة من عمره والده هملكار برقة إلى أسبانيا، وفي سنة221ق.م اختاره الجنود قائدا بعد اغتيال صدر بعل زوج أخته في صلامبو، فتمكن حنبعل من بسط نفوذ قرطاج على كامل شبه الجزيرة الإيبيرية بما في ذلك إحدى المحميات الرومانيـــة... لمزيد من المعلومـــات أنظـــر: Kaddache (M.), L'Algérie des Algériens de la préhistoire à1954, 2003, Paris, p.34.

[2] -Farnoux (B.C.), Les guerres puniques, Presses universitaires de France, Paris, 1960, p.101.

[3] -Ibid.

وثيقة لمصلحة الطرفين على حد سواء، لكن هذا الوفاق لم يدم طويلا، خصوصا بعدما دخلت قرطاجة في صراع مع الرومان، استسلمت بعدها قرطاجة في عام146 قبل الميلاد، بعدما حققت بصمات راسخة في تاريخ بلاد المغرب القديم لعدة قرون.

الفصل الرابع:

نماذج لأهم المصادر المادية المحلية المتواجدة بسلسلة موانئ الشرق الجزائري.

- لمحة تاريخية عن المصادر المادية المتعلقة بتاريخ الجزائر القديم.

1- نماذج من هيبونة.

أ- الطواحن.

ب- العملة.

ج- نصب القبور النوميدية.

د- نصب القبور الرومانية.

هـ- تابوت البستاني.

و- الحمامات الخاصة.

ز- النافورات.

ح- سوق العبيد.

ط- بقايا أثرية أخرى.

2- نماذج من روسيكادا – اسطورا.

أ- الجرار الفخارية.

ب- العملة.

ج- النصب النذرية.

د- صهاريج المياه.

هـ- المسرح الروماني.

و- بقايا أثرية أخرى.

3- نماذج من شولو.

أ- الجرار الفخارية.

ب- الأقداح.

ج- المزهريات الفخارية.

د- المدمعيات.

هـ- المصابيح.

4- نماذج من إيجلجيلي.

أ- المزهريات الفخارية.

ب- المصابيح.

ج- أدوات فخارية مختلفة.

5- نماذج من صالداي.

أ- العملة.

ب- قنينة العطر.

ج- المزهريات الفخارية.

د- الجرار الفخارية.

هـ- الأقنعة.

و- رؤوس التماثيل.

ن- الحلي.

– لمحة تاريخية عن المصادر المادية المتعلقة بتاريخ الجزائر القديم:

تتمثل المصادر المادية المتعلقة بتاريخ الجزائر القديم، في تلك البقايا الأثرية التي خلفها أصحاب البلد والأجانب الذين حلوا بها منذ أقدم العصور. وقد ترجم الكثير من تلك المصادر المادية التي عثر عليها المنقبون الأثريون في المقابر والمعابد وملحقات المنازل، إلى تقارير علمية مرفقة بصور وخرائط وجداول تقويمية لكل الأشياء التي عثروا عليها. وقد لوحظ أن الفخار يشكل جزءا كبيرا من تلك البقايا الأثرية، لاسيما الفينيقية البونية منها والرومانية[1].

وفي هذا الصدد، نشير إلى أن الباحث غانم، يذكر أن معظم المواقع الأثرية البونية وغير البونية في الجزائر بصفة خاصة، وبلاد المغرب القديم عامة، كانت قد تعرضت للتنقيب على يد جماعات عرفت "بالباحثين عن الكنوز" أو "المغاربة" القادمين من المغرب الأقصى، وقد اعتبرت تلك الجماعة أول من باشر التنقيب غير المنظم[2].

أما التنقيب المنظم في الجزائر، فلم يبدأ إلا بعد احتلال مدينة قسنطينة سنة 1837م، وقد تم ذلك على يد علماء مختصين، إلى جانب الضباط الفرنسيين، والذين كان من بينهم ديرو دولامال (Dureau) ، وبربريجي (Berbrugger)، ودولامار(Delamar) ، ويعد هذا الأخير أول من قام بدراسة علمية استعمل فيها تقنيات التنقيب الحديثة[3].

وما يمكن قوله، هو أن التنقيب الأثري في الجزائر لم يصل بعد إلى مستوى التنقيب الأثري العالمي، ولذلك لا نستطيع أن نحكم على ما ورد في التقارير العلمية أو نعتبرها حقيقة مسلما بها لمجرد الحصول على نتائج قد يأتي ما يفندها مستقبلا.

إن ما سأقدمه في فصلي هذا، هو عبارة عن أخذ نماذج لأهم البقايا الأثرية المتواجدة بسلسة موانئ الشرق الجزائري، والتي غالبا ما تركتها التجمعات البدائية والقبلية وحتى المتحضرة، وهي شاهدة على نشاط هؤلاء الأقوام في المنطقة.

وقد كان الإنسان البدائي في تلك العهود غالبا ما يحتفظ بأدواته المختلفة، التي يستعملها في حياته اليومية، سواء ما كان منها ممثلا في اللباس الذي كان يرتديه أو الحلي التي كان

---

[1]– رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.55.

[2]– محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.138.

[3]– لقد امتدت فترة التنقيب غير المنظم –حسب الأستاذ غانم– منذ العصور الوسطى تقريبا حتى وقت متأخر من القرن التاسع عشر. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني...، ص.138.

يتزين بها أو المأوى الذي يأوي إليه، وكل تلك المخلفات تسمى بالمصادر المادية أو البقايا الأثرية.

وفقا لما أشرنا إليه، فإن المتجول في منطقة سواحل الشرق الجزائري، سيجد ما يرشده لمعرفة تاريخها القديم، وذلك من خلال البقايا الأثرية التي خلفتها الحضارات القديمة، التي تعاقبت عليها، ومن تلك الآثار ما لا يزال شاهدا على البصمات التي خلفتها تلك الحضارات، ومنها ما اندثر مع توالي الأزمنة.

بناءًا عليه، فإننا سنورد نماذج لأهم اللقى الأثرية، التي عثر عليها في مرافئ سواحل الشرق الجزائري مستهلين ذلك من الشرق نحو الغرب على الشكل الأتي:

1- نماذج من هيبونة:

تعتبر مدينة هيبونة الأثرية (عنابة حاليا) من أهم مرافئ الشرق الجزائري قديما، وهي تحتل مكانا استراتيجيا هاما أهلها لكي تكون محط أنظار الوافدين الأجانب على مر العصور، وهي في ذلك شبيهة بغيرها من موانئ السواحل الجزائرية الأخرى، التي تعاقبت عليها حضارات مختلفة، تركت بصماتها واضحة لا تزال شاهدة للعيان[1]، وتتمثل أهم بقاياها الأثرية في الأشياء التالية:

أ- الطواحن:

لقد استعمل الإنسان المغاربي القديم الطواحن الحجرية، في حياته اليومية لطحن الحبوب البرية، وذلك منذ عصور متوغلة في القدم، قد تمتد إلى أزمنة ما قبل التاريخ، وقد كانت بأحجام مختلفة[2]. حيث يضم متحف عنابة عدة بقايا الطواحن ومعاصر الزيت، تعود إلى الفترة الرومانية، حيث كانت تستعمل لطحن الحبوب وزيت الزيتون. (أنظر الشكل رقم:23(أ،ب)، ص.116).

ب- العملة:

لقد كان التبادل التجاري في المجتمعات البدائية، يتم عن طريق المقايضة، أي مبادلة سلعة بسلعة، غير أنه مع اتساع نطاق المبادلات التجارية بين الشعوب، لم تعد المقايضة تفي بحاجات المجتمع الذي تجاوز مرحلة البداوة، ومن هنا ظهرت النقود المعدنية تدريجيا مـــن

---

[1]- جولة ميدانية لمتحف عنابة، قامت بها معدة هذه المذكرة في فصل الشتاء من سنة 2008 م.

[2] -Gober (E.G.), Les escargotières, le mot et la chose, R.Af., T.LXXXI, 1937, pp.639-645.

أ- طاحونة كبيرة تعود إلى الفترة الرومانية، كانت تستعمل لطحن الحبوب.

ب- طاحونتين صغيرتي الحجم، استعملتا لطحن الحبوب خلال الفترة الرومانية.

الشكل رقم:23 (أ،ب)

متحف عنابة.

النحاس والرصاص والذهب و الفضة[1].

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن العملة في شمال إفريقيا لم تظهر إلا في نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع قبل الميلاد، حيث سكت العملة الأولى من البرونز في صقلية وسردينيا، كما سكت الفضة في شبه جزيرة إيبيريا، وفي القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، سكت كل من قرطاجة ونوميديا عملتهما المحلية[2].

والواقع أن نوميديا الكبرى قبل الاحتلال الروماني، كانت لها عملتها الخاصة التي ضربت في فترة حكم ملوكها بدءا من غايا[3] إلى يوبا الأول[4]. كما كان لبعض مدنها عملة خاصة استعملتها في تجارتها الداخلية والخارجية، مثل هيبونة وروسيكادا...الخ[5].

يحتوي متحف مدينة عنابة على مجموعة من القطع النقدية تعود إلى فترات زمنية مختلفة، ومن تلك القطع لدينا قطعة نقدية مصنوعة من البرونز، حيث نجد على الواجهة صورة تمثل رأس تيشي (Tychi) متوجه نحو اليسار، ويلوح في ظهرها صورة لحصان في حالة جري بطيء متوجه نحو اليسار. وقد بلغ وزن القطعة 11.40غ وقطرها 27 مم، كما لا يستبعد أن يعود تاريخ تداولها إلى سنة 150 ق.م.(أنظر الشكل رقم:24 (أ)، ص.118).

ج- <u>نصب القبور النوميدية</u>:

لقد عمل القدماء في عهودهم الباكرة على إقامة شواهد تذكارية تخلد ذكرى موتاهم، ويرى الأستاذ غانم أن النصب كانت في بداية الأمر توضع فوق القبور، دون أن يدخل عليها نحت أو زخرفة، غير أنه بتطور فن العمارة، أصبحت الشواهد التذكارية والجنائزية تنحت وتهذب، كما تصحبها كتابة زخرفية تشير إلى مناقب الميت، أو تحمل رسوم الآلهة[6].

وفي هذا السياق، نشير أن عنابة تحتوي حتى الآن على قبور نوميدية كتب عليها بحروف بونية، و زخارف تمثل صورا لأشخاص بملامح غير واضحة.(أنظر الشكل رقم: 24 (ب،ج،د)، ص.119).

---

(1)- حسن جلال العروسي، الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة،1965، ص.1845.

(2) -Mazard (J.), Carpus numérum numide mauritanique, Arts et métiers graphiques, p.15

(3) غايا: ملك نوميدي حكم سنة 208 ق.م. لمزيد من المعلومات أنظر: - Ibid., p.28.

(4) – يوبا الأول: ملك نوميدي حكم سنة 60 ق.م، حكم بعده يوبا الثاني سنة 50 ق.م.لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، ط.1، دار الأمة، 1998م، ص.74.

(5) – محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص.58.

(6) – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.167.

أ- عملة مصنوعة من البرونز في حالة حفظ سيئة، خاصة بمدينة هيبونة، يلوح في أسفل العملة كتابة ذات حروف بونية، تعود إلى سنة 150 ق.م.

ب- نصب نوميدي هرمي الواجهة، يحمل كتابة بونية غير واضحة المعالم.

ج- نصب نوميدي، هرمي الواجهة يحمل زخرفة تمثل شخصين في حالة وقوف، وهو خالي من الكتابة.

د- نصب نوميدي، هرمي الواجهة، يحمل زخرفة تمثل شخصا في حالة وقوف، وملامح الوجه غير واضحة.

الشكل رقم: 24(أ،ب،ج،د).

اعتمادا على: متحف عنابة؛ Bertrandy (F.), op-cit., p.136

د- نصب القبور الرومانية:

إضافة إلى نصب القبور النوميدية، يحتفظ متحف عنابة بنصب القبور الرومانية، التي يظهر عليها مشخصات ذات طابع روماني تظهر في شكل معبودات رومانية[1]. (أنظر الشكل رقم: 25 (أ، ب، ج)، ص.121).

هـ- تابوت البستاني:

يحتفظ متحف عنابة بتابوت روماني الزخرفة، دفن فيه رجل بستاني، كان يهتم برعاية نباتات وأشجار المنطقة المجاورة لميناء عنابة. (أنظر الشكل رقم:25(د)، ص.121).

و- الحمامات الخاصة:

نالت الحمامات أهمية كبرى في حياة السكان الاجتماعية في العهد الروماني، فكان السكان يتوافدون إليها، فيقومون أولا بالتمارين الرياضية، ويسترخون بعدها تاركين لعمال مهرة خاصين وظيفة تدليك أعضاء أجسامهم[2].

ومع أن الحمامات الخاصة كانت منتشرة لدى المترفين الرومان من أبناء المدينة، إلا أن ذلك لا يمنع دخول فئة منهم إلى الحمامات العامة بغية التحدث مع الأصدقاء، وعقد الصفقات التجارية وتبادل المعلومات. وكانت الحمامات مزودة بجميع الوسائل التي تؤمن للمستحم الرياضة والنظافة والماء الغزير والحرارة الدائمة[3].

ومن جهة أخرى كانت الحمامات تحتل مركزا خاصا في الهندسة المعمارية الرومانية، والتي يستخدم فيها تقنية السقوف المعقودة ومخازن المياه وتقنيات التسخين[4].

ويحتفظ متحف عنابة ببقايا آثار حمامات خاصة، بقيت معالمها واضحة للعيان، بالقرب من الواجهة البحرية القديمة، ومن تلك الحمامـــات يحتفظ المتحف بتشخيص حمـــام خاص رسم على واجهته بالفسيفساء، تظهر ملامح أدراج للنزول إليه[5]. (أنظر الشكل رقم:25(هـ)، ص.121).

---

(1)- جولة ميدانية لمتحف عنابة، قامت بها معدة هذه المذكرة في فصل الشتاء من سنة 2008 م.

(2)- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.335.

(3)- نفسه.

(4) - نفسه.

(5) -Marec (E.), Trois mosaïques d'Hippone à sujets marins, services des antiquités archéologiqu--es épigraphie, Libyca, T.V, 1958, p.99.

أ- صورة أمامية لنصب روماني هرمي الواجهة، مزودة بناتئين في طرفيها، يحمل على واجهته صورة مشخصات رومانية، يرتكز هذا النصب على قاعدة.

ب- صورة جانبية لنصب روماني، مستطيل الشكل، يحمل على الواجهة صور أشخاص يرتدون لباسا رومانيا، وفي أسفل النصب نلاحظ نحت لشخص، لكن ملامح الوجه غير واضحة المعالم، يمكن أن تكون صورة لعمود يحمل تاجا.

ج- صورة أمامية لنصب روماني، خالي من القاعدة ، توجد في أعلاه صورة شخص واقف يمسك في يده اليمنى تاجا على شكل حرف ألفا(δ) الإغريقية أو علامة النصر، ويشبه قطعة خبز، ويحمل بيده اليسرى عنقود عنب وبجانبه سنبلة قمح.

د- صورة تابوت روماني دفن فيه رجل بستاني، كان يهتم برعاية نباتات وأشجار المنطقة، يوجد هذا التابوت في حديقة متحف عنابة.

هـ- بقايا حمام روماني خاص، بني بحجارة مقلمة، مزود بأدراج للنزول إليه، لا تزال واضحة المعالم، وهو موجود بالقرب من البنايات الرومانية المحاذية للواجهة البحرية القديمة.

الشكل رقم:25(أ،ب،ج،د،هـ).

متحف عنابة.

ز- النافورات:

تعد قنوات المياه أحسن شاهد لما قام به الرومان من إنجازات في مجال توزيع المياه، حيث لعبت دورا لا يستهان به في الحياة اليومية لسكان بلاد المغرب القديم بصفة عامة، وسكان سواحل الشرق الجزائري بصفة خاصة، وذلك بتلبية حاجيات السكان اليومية من المياه الصالحة للشرب والري[1].

إن ما تجدر الإشارة إليه، هو أن قنوات المياه غالبا ما ترتبط مع حوض تتم فيه عملية تسريب الشوائب العالقة بالماء، ثم ليصب بعد ذلك في نافورة تدعى" العين التذكارية" (Fontaine monumentaire) وغالبا ما تكون قنوات المياه مصنوعة من الحجر والخزف والفخار[2].

وهكذا، فإن متحف عنابة لا يزال يحتفظ بنافورة رومانية، يخرج منها الماء ليصب في حوض صغير[3]. (أنظر الشكل رقم:26(أ)، ص.123).

ح- سوق العبيد:

لقد كانت ظاهرة العبيد سائدة في المجتمع الروماني، وفي مناطق أخرى من العالم القديم، مثل الإغريق ومصر وبلاد الرافدين...الخ، بحيث يؤسر العبيد من خلال الإغارات على بلادهم، أو يتنازل عليهم لتسديد الديون، وكانوا يباعون في سوق النخاسة بعد سبيهـــم، أو يقدمهم مالكوهم كهدية[4].

كما كانت ظاهرة العبيد متفشية في الحضارات القديمة لأغراض اقتصادية واجتماعية، وأخرى عسكرية، فقد ساهم العبيد في خدمة الأرض والعمل في المنازل والبنايات الشاقة، وفي تشييد القصور الملكية والصروح الكبرى[5].

ويلاحظ الزائر لمتحف عنابة منظر ساحة سوق العبيد، وهو المكان الذي كان يباع ويشترى فيه العبيد خلال الفترة الرومانية. (أنظر الشكل رقم: 26(ب،ج)، ص.123).

ط- بقايا أثرية أخرى:

- الجدار الفينيقي: وقد كان في القديم عبارة عن مرفأ صغير للقوارب الصغيرة.(أنظر

---

(1) - Vars (Ch.), op-cit., p.10.

(2) -جولة ميدانية قامت بها معدة هذه المذكرة في فصل الشتاء من سنة 2008 م.

(3) -Vars (Ch.).,op-cit., p.11.

(4) -Caratini (R.), op-cit., p.936.2.B.d.

(5) -Ibid.

أ- نافورة رومانية في شكل وجه إنسان، يخرج من فمه الماء ليصب في حوض صغير، كما هو موضح على الصورة.

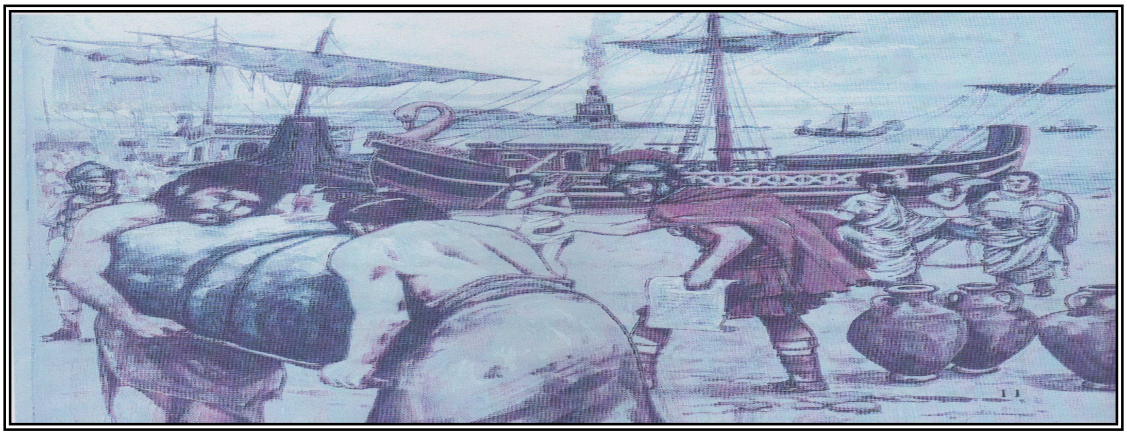

ب- صورة تمثل منظر للعبيد وهم ينقلون المواد المصدرة في إحدى الموانئ التابعة لروما، ويظهر على الصورة كيف كان الجنود الرومان يستغلون العبيد ويسيئون معاملتهم.

ج- صورة تمثل منظر لساحة سوق العبيد، أين يظهر على الصورة بقايا أربع أعمدة رومانية، لاتزال واضحة المعالم.

الشكل رقم: 26 (أ،ب،ج).

اعتمادا على: بقايا متحف عنابة؛ Harper (M.) et Carlier (F.), op-cit., p.10

الشكل رقم:27 (أ) ص.125).

– مظهر لمرفأ روماني كانت ترسو به قوارب صغيرة، وهو موجود بالجدار الفينيقي. (أنظر الشكل رقم:27 (ب)، ص.125).

– بقايا بنايات رومانية: نلاحظ بأن متحف عنابة كان يحتفظ ببقايا أعمدة لبنيات رومانية، خاصة بأشخاص كانوا يقومون بخدمة الميناء، والمبادلات التجارية التي تعنى بالتصدير والاستيراد. (أنظر الشكل رقم:27 (ج)، ص.125).

إضافة إلى ما سبق، يحتفظ متحف عنابة أيضا ببقايا أثرية عديدة، منها ما يزال موجودا بالمتحف، ومنها ما اندثر مع مرور الزمن، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مدينة عنابة الساحلية، كانت تعد من أهم المحطات التجارية، التي لعبت دورا كبيرا في الاقتصاد المغاربي القديم في الفترتين الفينيقية –البونية والنوميدية– الرومانية، وحتى الفترات اللاحقة فيما بعد، ولمكانتها الهامة سميت ببونة الملكية في الفترة النوميدية[1].

2– نماذج من روسيكادا– اسطورا:

أ– الجرار الفخارية:

لقد صنعت الجرار من مواد كثيرة كالحجارة والمرمر، والمعادن كالبرونز والذهب والفضة، ولكن الأكثر انتشار كانت تلك التي صنعت من الفخار، وهي التي اعتمد عليها المغاربة القدماء في حفظ مواد كثيرة صلبة، كالنقود والتين، و السوائل كالعسل ومرق الحوت والخل والزيوت والخمور[2].

ويحتفظ متحف مدينة روسيكادا بنوع من الجرار المحلية، اعتمد عليها النوميديون في تجارتهم، بحيث خصصت لحفظ مختلف المواد الغذائية، كالحبوب وبعض الفواكه الجافة، وقد كانت سعة الجرة الواحدة تصل إلى خمسة عشرة لترا، وتضاعفت في القرن الثالث ميـــلادي لتصل إلى خمسة وأربعين لترا، ومن هذه الجرار ما وجدت قرب الموانئ، ومنها من استخرجت من البحر[3].

إضافة إلى ما سبق، يحتفظ المتحف بنوع من الجرار التي تعود إلى الفترة الرومانية، كانت تستعمل لحفظ مواد كثيرة كالتين والعســـل و مرق الحوت والخل والزيوت والخمـــور

---

(1) - Gsell (S.), Atlas archéologique…F.9, note 59.

(2)– شارن شافية، المرجع السابق، ص.321.

(3) - Lassus (J.), Philippeville Rusicada, R.Libyca T.IV, année 1956, pp. 180 -181.

أ- صورة تمثل بقايا جدار فينيقي، لا يستبعد أن يكون يمثل جزءا من بناء لرصيف ميناء مادام لاصقا بالبحر. كان في القديم عبارة عن ميناء صغير.

ب- صورة تمثل جدران مرفأ روماني خصص للقوارب الصغيرة، بني على أنقاض الجدار الفينيقي.

ج- منظر عام للواجهة البحرية، حيث يظهر على الصورة بقايا أعمدة لبنايات رومانية، بلطت أرضيتها بالفسيفساء.

الشكل رقم:27 (أ،ب،ج).

متحف عنابة.

و كانت تتسع لحوالي 26،60 لترا.

وقد وجدت بعض تلك الجرار بمتحف المدينة المشار إليها آنفا، ممثلة في جرة كبيرة لوضع الحبوب، وهي مصنوعة من الطين المشوي ذات لون آجوري، صنعت بطريقة في غاية من الدقة، إذ أنها ضيقة من الأسفل لتتسع نحو الأعلى تدريجيا، حتى تظهر في شكل أسطواني. وفي الأخير، نجد العنق الذي يكون قطره ضيق نوعا ما، وهذا ما جعلنا نعتقد أن هذه الجرة كانت معدة لتخزين الحبوب وليس للسوائل، وذلك لصعوبة إدخال الأواني بها للأخذ منها.(أنظر الشكل رقم: 28 (أ)، ص.127).

وهناك جرة أخرى كانت تستعمل للتخزين، وقد كانت هي الأخرى ذات حجم كبير، ذات شكل أسطواني متطاول محدبة من الأسفل، أما شكل عنقها فهو ضيق وجد به مقبضين، وقد تعرضت هذه الجرة المشار إليها آنفا للكسرعلى مستوى المقبضين[1]. (أنظر الشكل رقم: 28 (ب)، ص.127).

ب- <u>العملة</u>:

يحتوي متحف روسيكادا على حوالي 269 قطعة نقدية برونزية، من بينها ست قطع تعود إلى الفترة الرومانية وقطعة يرجع عهدها إلى الملك النوميدي ماسينيسا، أي إلى حوالي القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. (أنظر الشكل رقم: 28(ج)، ص.127).

ج- <u>النصب النذرية</u>:

يحتوي متحف روسيكادا كذلك على عدة نصب من بينها، نصب بوني صغير صنع من الحجر الأبيض، به كتابة نذرية مهداة للآلهة تانيت[2]، وقد جيء به على ما يبدو مما ورد في كتابته من قرطاج وهو الآن محفوظ بمتحف روسيكادا [3].(أنظر الشكل رقم: 29 (أ،ب)، ص.128).

د- <u>صهاريج المياه</u>:

تعتبر صهاريج روسيكادا من أهم المنشآت الرومانية، باعتبارها كانت تمول المدينة بالماء بعد تخزينه، وقد قسمت تلك الصهاريج إلى سبعة أحواض مختلفة الأبعاد والأشكال، نقدمها حسب موقعها على الشكل الآتي:

---

[1] -جولة ميدانية لمتحف سكيكدة، قامت به معدة هذه المذكرة في فصل الخريف من سنة 2007 م.

[2] – أنظر ص.71 من هذا البحث حول الآلهة تانيت.

[3] – محي الدين شبلي، دليل متحف روسيكادا، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر،2006، ص.21.

أ- جرة فخارية، تستعمل لتخزين الحبوب، عثر عليها بضواحي سكيكدة الحالية، تعود إلى الفترة الرومانية.

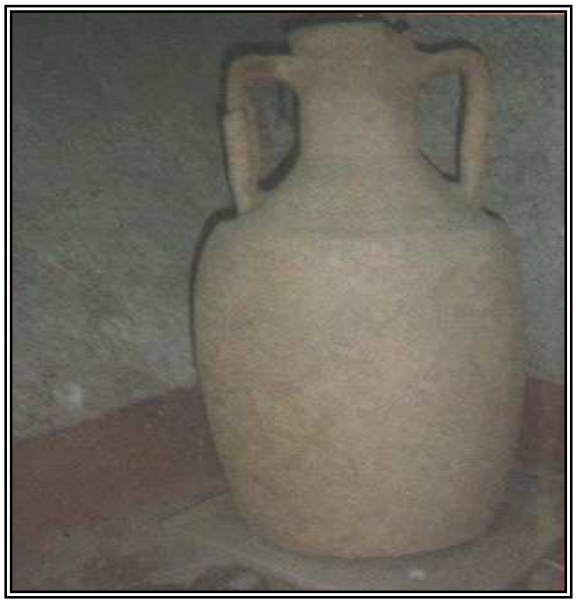

ب- جرة فخارية ذات مقبضين تستعمل للتخزين، وهي تشبه إلى حد كبير الجرار المجلوبة من بلاد الإغريق، تعود إلى الفترة الرومانية.

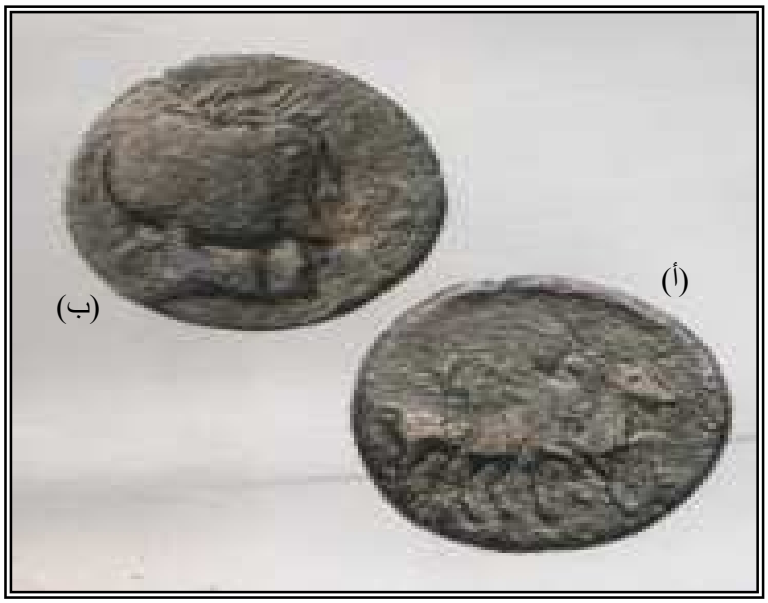

ج- عملة نوميدية مصنوعة من البرونز، خاصة بمدينة روسيكادا، حيث يلوح على الواجهة(أ) صورة حصانين في حالة جري سريع ، أما من جهة الظهر(ب) فالصورة غير واضحة المعالم، ويلوح في أسفل العملة كتابة بحروف بونية (ASG)، وقد تعني ترجمة لاسم المدينة (RUS GAD).

الشكل رقم:28 (أ،ب،ج)

متحف روسيكادا البلدي؛ محي الدين شبلي،المرجع السابق، ص.21.

أ- صورة تمثل نصبا جنائزيا بونيا صنع من الحجر الرملي، اكتشف في القرن التاسع عشر ميلادي بضواحي سكيكدة الحالية، عليه نقش قليل البروز يمثل رجلا يحمل في يده اليمنى تاجا في شكل الحرف الإغريقي ألفا (Α)، وفي يده اليسرى جسم غير واضح، لعله ذراع يد تحمل خبزا.

ب- صورة تمثل نصبا بونيا من حجر صغير، وقد أوتي بهذه القطعة الحجرية من قرطاجة (تونس)، وهي عبارة عن كتابة نذرية بونية مهداة للإلهة تانيت، ويلاحظ في أعلى الصورة شخص واقف لعله يرمز لتلك الإلهة، وفي الأسفل من ذلك وجدت كتابة بونية تتكون من أربعة أسطر.

الشكل رقم:29 (أ،ب)

متحف روسيكادا البلدي؛ محي الدين شبلي، المرجع السابق، ص.15.

1- صهاريج روسيكادا: تقع هذه الصهاريج على منحدر سهل بويعلى، الذي يوجد في أعالي المدينة في الجهة الجنوبية الغربية، التي تستقبل مياه وادي بني مالك، حيث تم ترميم وإصلاح هذا المنشآت خلال الفترة الاستعمارية بين سنتي 1845م – 1846م ثم سنة 1863م.

2- صهاريج اسطورا: تبعد اسطورا بحوالي4 كلم إلى الشمال الغربي لروسيكادا، حيث توجد صهاريج واسعة تملأ بواسطة قناة تجلب المياه من وادي القردة، تم ترميمها وتوسيعها عام 1843م[1].

هـ- <u>المسرح الروماني</u>:

لقد تأثرت بلاد المغرب القديم بالثقافة الرومانية، وتأثر الرومان بدورهم بطابع سكان المنطقة المحليين، يتضح ذلك في الإقبال الكبير على المسارح وحلبات السيرك والمصارعة التي كانت تعتبر ثقافة ذلك العصر[2].

كما تفيدنا الوثائق التاريخية والحفريات الأثرية، أن المنطقة المغاربية قديما عرفت بناء العديد من المسارح التي كان يمارس فيها أنواع الرياضات والفنون، كالرقص والمصارعة والموسيقى، كما كانت تقدم فيها مختلف العروض المسرحية، نذكر منها مسرح تيمقاد وتيبازة ثم جميلة وقالمة...الخ. ويعد مسرح سكيكدة من أهم المسارح الرومانية في تلك العهود[3].

وهكذا، فإنه على بعد أمتار من موقع صهاريج المياه السابقة الذكر، يقوم المسرح الروماني الذي لا تزال آثاره حتى يومنا هذا تصارع عاتيات الزمن، وهو يحتل مكانا قـــرب ثانوية النهضة حاليا، رغم أن معظم معالمه قد هدمت، واستعملت مساحته في بنايات أخرى،[4] لذلك فقد نوعا من الجمالية التي كان عليها خلال الفترة الرومانية[5].(أنظر الشكل رقم30(أ)، ص.130).

كما توجد في المسرح الروماني آثار متفرقة مثل شواهد قبور عليها كتابات باللاتينية، إضافة إلى توابيت وأشكال حجرية تذكارية مختلفة. (أنظر الشكل رقم:30(ب)، ص.130).

---

(1) -Vars (Ch.), op-cit., pp.10-11.

(2)– محمد بوكبوط، الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات، صفحات من تاريخ الأمازيغ القديم، مركز طارق بن زياد، ط.1، الرباط، 2002، ص ص. 58-59.

(3)– نفسه، ص.61.

(4) – محي الدين شبلي، المرجع السابق، ص.7.

(5) – جولة ميدانية للمسرح الروماني قامت بها معدة هذه المذكرة في فصل الشتاء من سنة 2008 م.

أ- صورة تمثل المسرح الروماني بسكيكدة الحالية، من 12مدرج، بحيث يتسع لأكثر من 3000 شخص، كما يظهر على الصورة حلبة المسرح، تحيط به 10 أبواب مقوسة، إضافة على البوابة الرئيسية. يوجد بالمسرح آثار متفرقة، منها ما نقل إلى متحف سيرتا (قسنطينة)، ومنها ما لا يزال محتفظا به داخل المسرح ومنها ما اندثر مع مرور الزمن.

ب- صورة تمثل قطعة من صفيحة حجرية تذكارية، مصنوعة من الرخام الأبيض، تتعلق ببناء مخازن المحصول السنوي باسطورا، وقد عثر عليها بالقرب من الخزانات الرومانية، والجزء الثاني من الصفيحة التذكارية يوجد بمتحف تولون بفرنسا، اكتشفت هذه القطعة في القرن التاسع عشر ميلادي. وقد قام المؤرخ الفرنسي هيلون دولافيل فوص (HERON DE LA VILLE FOS) بقراءة النص الكامل مل المكتوب على هذه الصفيحة وهو كما يلي:

(Pro Mag) ificentia Temporum (Principum) Maximorum Domi (norum Orbis) valentinani Et (Valentis Se) mper Augg Horrea (Ad Securta) tem Populi Romani (Pariter AcP) rovincialium Con) structa Om) ni Maturate (Dedicavit P) ublitus Caionius) Caeci) na Albinus VC Cons. Sexf. P N Cons.

وقد ترجم النص التذكاري على النحو التالي:

من أجل عظمة عهد أميرينا الكبيرين، سيدا العالم، الجليلين على الدوام، فالنتينياس وفالنس، دام مجدهما، بنيت هذه المخازن لضمان أمن الشعب الروماني وأمن سكان الأقاليم الموالية لهما، وملئت بالحبوب وأهديت من طرف بوبليليوس كايونيوس كايسينا ألبينوس، الرجل الذائع الصيت، والي إقليم نوميديا القنصلية صاحب الأشعة الست.

الكتابة المحصورة بين قوسين هي جزء من النص الموجود بمتحف تولون بفرنسا.

الشكل رقم:30 (أ،ب).

إعتمادا على: جولة ميدانية للمسرح البلدي، قامت بها معدة هذه المذكرة في فصل الشتاء، من سنة 2008م؛ محي الدين شبلي، المرجع السابق، ص ص.35-36؛ Messikh (M.H.), Histoire ancienne et contemporaine de Skikda l'antique, éd. Raïs, Alger, sans date, p.91.

و- بقايا أثرية أخرى

يحتفظ متحف مدينة روسيكادا بالعديد من البقايا الأثرية، من بينها تماثيل عديدة لنساء ورجـــال غير كاملـــة، إلى جانب عدد كبير ومتنوع من الجرار المصنوعة من الفخـــار ذي الطلاء الأحمر والأبيض، إضافة إلى بعض الأدوات الفخارية الصغيرة التي كانت تستعمل لأغراض الحياة اليومية...الخ[1].

3- نماذج من شولو:

تشير الدراسات الأثرية إلى أنه في الفترة الممتدة من شهر ديسمبر من سنة 1894م إلى غاية شهر مارس 1895م، قام الجنرال هيلو(Hélo) بعملية حفر عثر خلالها على 22 قبرا في مقبرة قديمة اكتشفت على بعد 300م جنوب منطقة القل الحالية.

وقد أكدت نتائج تلك الحفريات وجود فخار بوني يحمل طابعا هيلينستيا، إلى جانب مصابيح ذات طابع إغريقي، إضافة إلى نقود قرطاجية وبونية تعود على الأرجح إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، ويمكن أن تمتد حتى بداية القرن الأول قبل الميلاد، وهو ما يصادف فترة الملوك النوميديين، كذلك عثر على نصب يحمل نقشا خاصا بقرطاجة، نقشت عليه بعض الإشارات إلى العلاقة القرطاجية النوميدية[2].

أ- الجرار الفخارية:

أما من حيث الفخار، فقد عثر بموقع شولو (القل حاليا) على ثلاث جرار فخارية وذلك في تنقيبات مارس 1893م، وهي الآن محفوظة بمتحف سيرتا الوطني. وكانت تلك الجرار مصنوعة من الطين وقد طليت باللون الأحمر الفاتح، تعلو بدنها الخارجي صورا تمثل وجوها بشرية[3].

حيث أن صورة الجرة الأولى تمثل رأس امرأة، وهي محاطة بتسعة عشر حلقة، والتي تمثل تسريحة شعر المرأة الممثلة على الجرة، تمسك ثدييها والذراعين واليدين مفتوحتين وممتدتين تحت الثديين. وهذه الجرة تحتوي على مقبض واحد، وهي محفوظة في حالة جيدة.(أنظر الشكل رقم 31 (أ)، ص. 133).

أما الجرة الثانية، فهي بدورها تمثل رأس امرأة بتسريحة شعر على شكل ثلاثة عشـــر

---

(1) – جولة ميدانية لمتحف سكيكدة، قامت بها معدة هذه المذكرة في فصل الشتاء من سنة 2008 م.

(2) -Bertrandy (F.), op-cit., p.64.

(3) -Hélo (C.), Notice sur la nécropole libyco- phénicienne de Collo, B.A.C., 1895, pp. 18-35.

وردة وهي في غاية الدقة، زودت هذه الجرة بقاعدة مستديرة ترتكز عليها وبذراع واحد، إلى جانب بطن مشكلة عليها ثديين وذراعين ويدين[1]. (أنظر الشكل رقم 31 (ب)، ص. 133).

أما الجرة الثالثة، فهي أقل حجما من الجرتين السابقتين، إضافة إلى أنها مزودة بمقبضين وتحتوي على وجهين، فالوجه الأول له تسريحة شعر، أما الوجه الثاني فهو بدون تسريحة، وهناك تحت كل واحد منهما يوجد خمس حلقات وهي مفرقة الواحدة عن الأخرى بثلاث سنتيمترات.(أنظر الشكل رقم:31(ج)، ص.133).

وهذا النوع من الجرار كثير الانتشار في منطقة القل الحالية، ولا يزال يصنع في منطقة القل حتى الوقت الحالي، حيث عثر على عدد كبير منها في تسعة عشر مقبرة بنفس المنطقة.

وتعد الجرار الأكثر انتشارا في المدن الإغريقية والأتروسكية، كما توجد بجهات متفرقة من العالم المتوسطي، وقد تكون ذات صناعة محلية تعود على الأرجح إلى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد.

ب- <u>الأقداح</u>:

عثر على نماذج من الأقداح الفخارية في تنقيبات سنة 1935م بمنطقة القل، وهي عبارة عن أقداح ذات لون آجوري غامق، مزودة بطلاء أسود من الداخل والخارج، يستند القدح منها على قاعدة، وهي ذات حواشي عريضة مستديرة لا يستبعد –وفقا للكرونولوجي الزمني– أن تعود إلى النصف الأخير من القرنين الرابع و الثالث قبل الميلاد. (أنظر الشكل رقم: 32 ص.135).

وقد وجد نموذج آخر من الأقداح الفخارية محفوظة بمتحف سيرتا الوطني، وهي أقداح مصنوعة من الطـــين، مطلية بطلاء أســـود من الداخل والخارج، تستند على قاعـــدة عريضة نوعا ما، تعود إلى القرنين الثاني والأول قبل الميلاد.

ج- <u>المزهريات الفخارية</u>

عثر عليها في منطقة القل خلال تنقيبات مارس 1891م، التي قام بها الجنرال هيلو وهي الآن محفوظة بمتحف سيرتا الوطني، ولها أشكال مختلفة، منها ما يشبه شكل خف (Sandale)، وهذه الأخيرة مصنوعة من طين متجانسة عليها طلاء أسود، له قاعـــدة متصلة بخمسة مخارج لربط الخف بالرجل، والمزهرية تحتوي على مقبض يظهر في شكل

---

(1) -Ibid., p. 66.

الجرات الثلاث: وهي مصنوعة من الطين، وجدت بمنطقة القل، تعود إلى القرنين الثالث والرابـــع ق.م. موجـــودة بمتحف سيرتا، الجرتان (أ) و (ب) في حالة جيدة ، أما الجرة (ج) فقد تعرضت للكسر على مستوى العنق.

الشكل رقم:31 (أ،ب،ج).

اعتمادا على: Bertrandy (F.), op-cit., pp.64-66.

حلقة دائرية، وقد تكون ذات صناعة قرطاجية تعود إلى سنتي 250–150 ق.م [1]. (أنظر الشكل رقم: 33(أ)، ص.136).

وهناك أشكال أخرى من المزهريات من بينها ما عثر عليه في منطقة القل، وهي عبارة عن مزهرية غاية في الدقة، مصنوعة من طين ذات لون أحمر متجانس عليها طلاء أسود براق، ذات سطح أملس عليه خصلات نحاسية خاصة على مستوى المقبضين، لها قاعدة تستند عليها، أما المقبضين فهما مصنوعان بشكل في غاية من الجمال والدقة. (أنظر الشكل رقم:33(ب)، ص.136).

د- <u>المدمعيات</u>:

عثر على نوع من هذه المدمعيات بمنطقة القل الحالية، وهي الآن محفوظة بمتحف سيرتا. تبدو ذات شكل جميل متطاول تشبه القنينات العطرية، مزينة بخطوط منكسرة وملونة باللون الأبيض والأصفر والنيلي. كانت تستعمل في الطقوس الجنائزية المغاربية القديمة، ولعل هذه المدمعيات كانت تستعمل من طرف النسوة اللواتي يبتعد عنهن أزواجهن وأقاربهن، بحيث يجمعن الدموع التي يبكينها عليهم في تلك المدمعيات، وعندما يعود الغائبون يظهرن لهم مقدار الدموع التي جادت بها عيونهن، وذلك حتى يدرك هؤلاء مدى تعلقهن بهم...،[2] وهي تعود إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد. (أنظر الشكل رقم: 33 (ج)، ص.136).

هـ- <u>المصابيح</u>:

تعد أدوات الإنارة قديمة قدم الحضارات الإنسانية، وقد ازدهرت صناعتها وتطورات تبعا لتطور التقنيات الموجودة من ناحية، وتطور المنشآت والأغراض المستخدمة فيها هذه الأدوات من ناحية أخرى[3].

لقد جاء في الكتابات التاريخية، الإشارة إلى مدى مساهمة أدوات الإنارة التي غالبا ما تكون مصنوعة من الفخار، في إنارة المنازل و الشوارع والطرقات[4]. (أنظر الشكل رقم: 33 (د)، ص.136).

---

(1) - Ibid.

(2) -Caratini (R.), op- cit., p. 936, 2 B.d.

(3) – محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، ص.31.

(4) -Zemmouchi (R.), op-cit., p.24.

أقداح فخارية عثر عليها في تنقيبات 1935م، تعود إلى القرنين الثالث والنصف الأخير من القرن الرابع ق.م، وهي الآن موجودة بمتحف سيرتا (قسنطينة).

الشكل رقم:32.

اعتمادا على: Bertrandy (F.), op-cit., p.68.

أ- مزهرية مصنوعة من الفخار على شكل خف (Sandale)، عثر عليها في تنقيبات 1891م في منطقة القل، تعود إلى سنة 250-150 ق.م، وهي الآن موجودة بمتحف سيرتا.

ب- مزهرية أو إيناء لشرب السوائل، مزود بمقبضين، مصنوعة من الفخار، وجدت بمنطقة القل، تعود إلى القرن الرابع ق.م، وهي الآن موجودة بمتحف سيرتا.

ج- مدمعية مصنوعة من الطين، عثر عليها في منطقة القل، تعود إلى القرن الثالث ق.م، موجودة بمتحف سيرتا.

د- مصباح زيتي مصنوع من الفخار، عثر عليه بمنطقة القل، يعود إلى القرن الثالث والرابع ق.م، وهو الآن موجود بمتحف سيرتا.

الشكل رقم: 33 (أ، ب،ج، د).

اعتمادا على: Bertrandy (F.), op-cit., pp.67-69.

4- نماذج من إيجلجيلي:

تعد مدينة إيجلجيلي الأثرية من أهم المناطق الساحلية الجزائرية التي تتمتع بأغنى الغابات المتوسطية الكثيفة، إضافة على أنها تحظى بأحد أهم الموانئ في شمال إفريقيا والذي لعب دورا لا يستهان به على مر العصور، لاسيما في صناعة وتصدير الفخار[1].

بناءا على ما سبق، يمكن القول أن مدينة إيجلجيلي الأثرية تحتفظ بعدد لا يحصى من البقايا والمواقع الأثرية الفينيقية والنوميدية والرومانية... الخ.

وما تجدر الإشارة إليه، هو اكتشاف مقبرة فينيقية غرب جيجل الحالية بمنطقة "الرابطة" ترجع أقدم قبورها إلى القرن السابع ق.م، وتعتبر هذه المقبرة والبقايا الأثرية التي وجدت بها من بين الأدلة التي تؤكد للباحثين الأثريين على الوجود الفينيقي بالمنطقة [2].

يبدو من خلال تلك البقايا الأثرية أن الفينيقيين كانوا قد حلوا خلال القرن السادس قبل الميلاد، بالمنطقة حيث أسسو محطة إيجلجيلي، وكان الرومان قد أعادوا بناء المدينة فيما بعد وفقا لتخطيط مدنهم، وبذلك أصبحت محطة إيجلجيلي مستعمرة رومانية[3].

كان الرومان قد قاموا بشق الطريق الذي يربط جيجل بمحطة صالداي (بجاية حاليا)، واهتموا ببناء المنتزهات بها خصوصا في منطقة شواطئ المنصورية بالقرب من مصب وادي زيمس (في منطقة زيامة الحالية) [4].

وتكمن أهمية إيجلجيلي في مينائها التجاري الذي كان يعنى بتصدير محاصيل القمح الآتية من منطقة سطيف الحالية، كما كان ميناؤها يستخدم أيضا لاستقبال الجنود المسرحيين من الخدمة العسكرية[5].

بناءا على ما سبق، نستنتج أن محطة جيجل التاريخية القديمة كانت تعتبر بحق ملتقى لعدة حضارات تعاقبت عليها، لتترك بصمات واضحة تتمثل في البقايا الأثرية التي لا تزال شاهدة عليها، وفيما يلي سنقدم نماذج لها.

يحتوي موقع جيجل على بقايا أثرية شبيهة بتلك التي وجدت في كل من منطقة شولو وروسيكادا، لاسيما الأدوات الفخارية، نستعرض من ذلك ما يلي:

---

(1) - Alquier (P.), op.cit., p.414.

(2) – خديجة منصوري، جيجل (Igilgili) في الفترة الرومانية، حوليات المتحف الوطني للأثار، العدد12، ص.106.

(3) – نفسه.

(4) -Zemmouchi (R.) op- cit., p.24.

(5) -Féraud (L.), Histoire des villes de la province de Constantine, B.S.A.C., 14, 1870, p.17.

أ- <u>المزهريات الفخارية</u>:

وجدت المزهريات الفخارية في المقبرة البونية التي تحتل حافة البحر إلى الغرب من المدينة الرومانية، وذلك خلال الحفريات التي قام بها الباحث الأثري ألكي (Alquier) سنة 1929م، وبعدها تلك التي أنجزت من قبل استروك (Astruc.M) سنة 1936م [1].

لقد كان من بين المزهريات التي أبرزتها الحفريات المشار إليها، تلك المزهرية الصغيرة المصنوعة من الطين، ذات اللون الآجوري الناعمة والمتجانسة، عليها طلاء أسود لامع، وهي مصنوعة في غاية الدقة والتجانس، مزودة بمقبض صغير على شكل حلقة، أما على مستوى العنق فقد تعرضت للكسر، مما أفقدها شيئا من الجمالية التي كانت عليه من قبل.

وتعود صناعة تلك المزهريات على الأرجح إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وهي الآن محفوظة بمتحف سيرتا الوطني. (أنظر الشكل رقم: 34 (أ)، ص.139).

إضافة إلى ذلك، هناك مزهرية أخرى في غاية الجمال والدقة، وهي الأخرى مصنوعة من الطين مزودة بذراع واحد[2]. (أنظر الشكل رقم: 34 (ب)، ص.139).

ب- <u>المصابيح</u>:

تعد المصابيح الفخارية من أهم البقايا الأثرية التي وجدت بمنطقة إيجلجيلي، ومن بينها مصباح مصنوع من طين، ذو لون آجوري فاتح ممزوج بلون رمادي، يحتوي على فتحة تسمح بوضع الزيت، يستعمل للإنارة، ويعد من الصناعات المحلية.

وقد تعرض هذا المصباح للتلف من أحد جوانبه، ويعود على الأرجح على القرن الثالث قبل الميلاد، وهو الآن محفوظ بمتحف سيرتا الوطني. (أنظر الشكل رقم:34(ج)، ص.139).

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن المصباح السالف الذكر، يعتمد على دعامة يستند عليها، وهي الأخرى مصنوعة من طين، تتكون من قاعدة تتصل بعمود ذو شكل اسطواني يتسع نحو الأعلى تدريجيا ليأخذ شكلا مسطحا يسمح بوضع المصباح.(أنظر الشكل رقم: 34(د)، ص.139).

ويعد كل من المصباح والدعامة من الأدوات والشعائر الدينية التي تستعمل في الطقوس

---

(1) – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر...، ص.152.

(2) -Bertrandy (F.), op-cit., p.61.

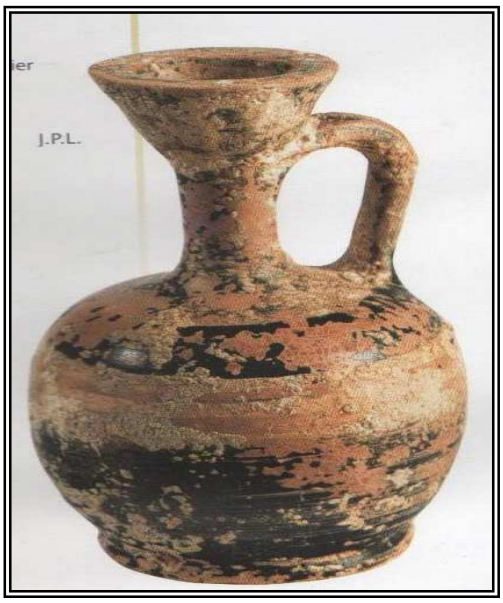

أ- مزهرية مصنوعة من الطين، ذات مقبض واحد، وهي في حالة حفظ جيدة، تعود إلى القرن الرابع ق.م، وهي محفوظة بمتحف سيرتا الوطني.

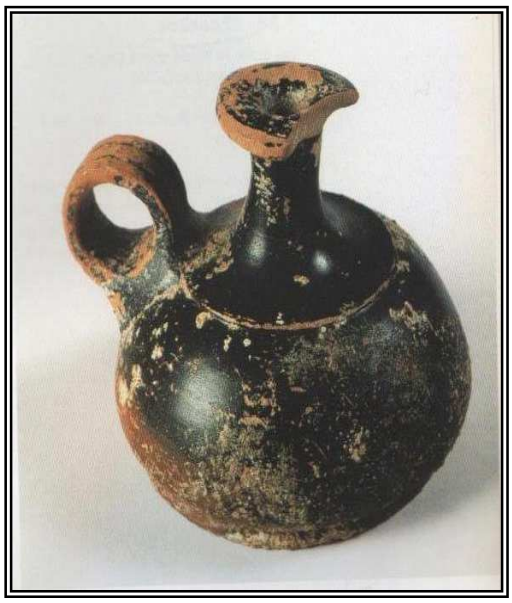

ب- مزهرية مصنوعة من الطين، ذات مقبض واحد، تعرضت للكسر على مستوى العنق، تعود إلى القرن الرابع ق.م، وهي محفوظة بمتحف سيرتا الوطني.

ج- مصباح مصنوع من الطين، تعرض للتلف من أحد جوانبه، يعود إلى القرن الثالث ق.م، وهو محفوظ بمتحف سيرتا الوطني.

د- الدعامة التي يستند عليها المصباح.

تعد كل من القطعتين (أ) و(ب) من بين أدوات الشعائر والطقوس الدينية التي توضع في قبر الميت، اعتقادا بالحياة الأخرى.

الشكل رقم: 34 (أ،ب،ج،د).

اعتمادا على: Bertrandy (F.), op- cit., p.63.

الجنائزية القديمة، التي تودع مع الميت في قبره، اعتقادا بالحياة الأخرى[1].

ج- أدوات فخارية مختلفة:

يوجد من بين الأدوات الفخارية المختلفة التي عثر عليها في جيجل، الصحون التي تعد أهم الأدوات المنزلية التي كان الإنسان المغاربي القديم يستخدمها في حياته اليومية، وقد وجدت نماذج منها في مدن الشرق الجزائري، وعلى وجه التحديد مدينة جيجل الأثرية، حيث عثر على نوع منها بإحدى المقابر الرومانية التي وجدت بالمنطقة، وهو مصنوع من الطين، في غاية الدقة والجمال، بداخله زخارف على شكل وريقات صغيرة، يعود إلى النصف الأخيرمن القرن الثاني قبل الميلاد. (أنظر الشكل رقم:35(أ،ب،ج)، ص.141).

إلى جانب ما سبق، توافرت الأكواب الفخارية، وقد عثر على نموذج منهايحتوي على كتابة بحروف بونية، و يعود على الأرجح إلى النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد[2].

وما تجدر الإشارة إليه، أن مدينة جيجل تحتوي على مواقع أثرية، غاية في الجمال والروعة، نذكر من ذلك الكهوف العجيبة التي تعتبر بحق إحدى الروائع الطبيعية على مر العصور[3].(أنظر الشكل رقم:36(أ)، ص.142).

إلى جانب الطريق الرابط بين جيجل وبجاية، والذي كان قد شق خلال الفترة الرومانية، عندما قام الرومان بإعادة بناء المدينة وفقا للتخطيط الروماني[4].(أنظر الشكل رقم:36(ب)، ص.141).

5 - نماذج من صالداي:

لا تقل مدينة صالداي (بجاية حاليا) أهمية عن بقية المدن الساحلية الأخرى الجزائرية السابقة الذكر، فميناؤها التجاري قد حظي باهتمام المؤرخين وحتى الأجانب، ولذلك فإن الدور الذي لعبه خلال الفترة الفينيقية والرومانية وما والاهما وحتى العصور اللاحقة، لا يمكن أن يستهان به، والأدلة الأثرية على ذلك لا تعد ولا تحصى، ذلك أن متحف مدينة بجاية الحالية، يحتوي على مجموعة كبيرة من البقايا الأثرية، تمثلت في مجملها في الأواني الفخارية ومجموعة من التماثيل والنصب وشواهد القبور، إلى جانب الحلي الخاصة بالتزيين،

---

(1) – محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، 1993.

(2) -Bertrandy (F.), op.cit., p.63.

(3) - Zemmouchi (R.), op-cit., p. 24.

(4) -Ibid.

أ- طبق مصنوع من الطين، توجد بداخله زخرفة على شكل زهرة بها وريقات صغيرة، يعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني ق.م.

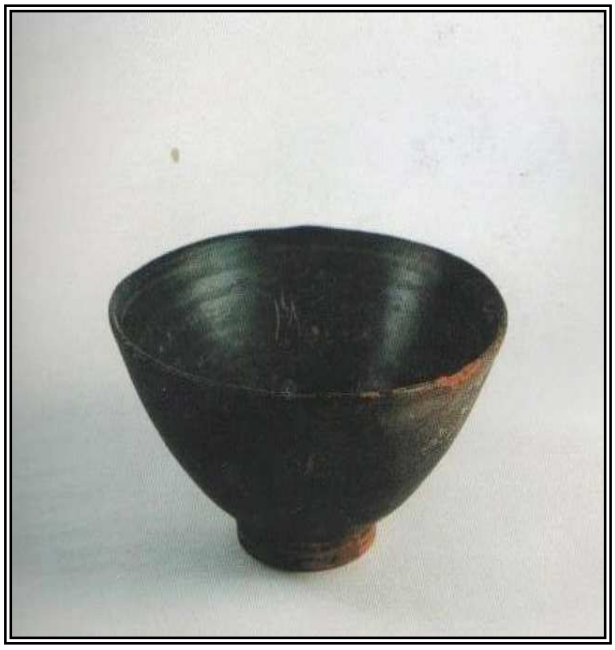

ب- كوب مفرطح الشكل مصنوع من الطين، عليه طلاء أسود، بداخله كتابة بحروف بونية، يعود إلى النصف الأول من القرن الأول ق.م.

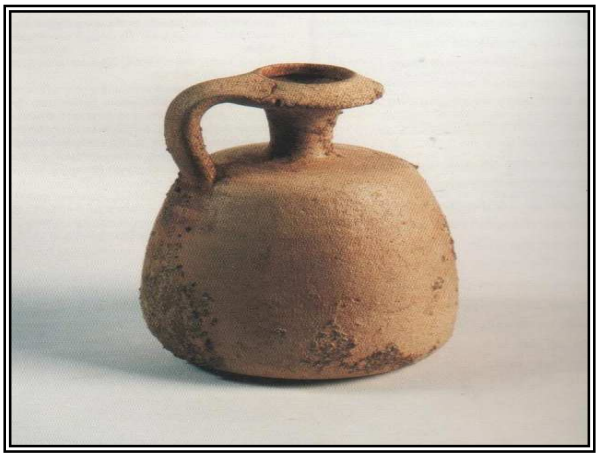

ج- جرة مصنوعة من الطين، ذات طلاء يميل إلى الحمرة، مزودة بمقبض، وهي في حالة جيدة، تعود إلى القرن الثالث ق.م، وهي الآن محفوظة بمتحف سيرتا الوطني.

الشكل رقم: 35 (أ،ب،ج).

اعتمادا على: Bertrandy (F.), op-cit., pp.62-63.

أ- منظر خارجي للكهوف العجيبة بمدينة جيجل، تعد هذه الكهوف من بين أهم المعالم الأثرية التي تتميز بها المنطقة، وهي عبارة عن مغارات طبيعية توجد تحديدا بمنطقة زيامة، بجانب هذه الكهوف يوجد جسر قديم. هذا المنظر الطبيعي المتميز يجمع بين الوادي والبحر والجبل والغابة معا.

ب- صورة تمثل منظر داخلي للكهوف العجيبة بمدينة جيجل، يظهر على الصورة الصواعد والنوازل التي تشكلت داخل الكهوف مع مرور الزمن.

الشكل رقم: 36 (أ، ب).

اعتمادا على: Zemmouchi (R.), Tourisme magazine, éd. Interexipo, Alger, 2007, p.24.

وغيرها من البقايا الأثرية التي تعود إلى فترات تاريخية مختلفة، وفيما يلي سنورد نماذج منها:

أ-العملة:

لقد كانت لمدينة صالداي عملة خاصة بها ، استعملتها خلال الفترة النوميدية في تجارتها الداخلية والخارجية، وذلك ما يبرهن على أنها كانت تتمتع بنوع من الاستقلالية في المجال التجاري[1].

ومن هذه العملة لدينا قطعة نموذجية مصنوعة من البرونز خاصة بمدينة صالداي تحمل المواصفات التالية: يظهر على الواجهة صورة لرأس إمرأة لا يستبعد أن تكون الآلهة حامية المدينة، شعرها بتسريحة، يغطي وجهها رداء مسدول على الكتفين، كما يظهر على هذه القطعة كتابة حرف بوني وهو حرف "G". أما من جهة الظهر فتوجد صورة لحصان يجري نحو اليمين، وفي الأسفل منه توجد كتابة بحروف بونية (SLDN)، تشير إلى اسم صالدانا (Saldana)، تعود إلى حوالي القرن الأول قبل الميلاد، وتزن: 5.69غ و قطرها 21 مم[2]. (أنظر الشكل رقم:37(أ)، ص.144).

ب- قنينة العطر:

هذا النوع من القنينات غاية في الدقة والجمال، وهي بأشكال زخرفية مختلفة، منها ما يزال محافظا على شكله ومنها ما تعرض للكسر. (أنظر الشكل رقم:37(ب)، ص.144).

وقد كانت قنينات العطور من المقتنيات الهامة في البيت المغاربي القديم على مر العصور، تعد من أدوات الزينة التي كانت تتألف من الأمشاط والمكاحل ودبابيس الشعر والملاقط وقوارير العطور[3].

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن الأواني المشار إليه آنفا لم تكن تتخذ كأوعية للعطور والدهون والزيوت فحسب، بل كانت تصنع كذلك في أشكال جمالية، وتعد من الأعمال الفنية، حيث أنها كانت تصنع من الخشب و العاج و الطين، وتتخذ أشكالا متطورة للحيوان والإنسان و الطير و السمك.

و قد كان يعثر عليها في القبور ضمن الأثاث الجنائزي، أو تصور في شكل زخارف

---

(1) – شارن شافية، المرجع السابق، ص.353.

(2) -Bertrandy(F.), op-cit., p.137.

(3) – جواد بوس، المرجع السابق، ص. 41.

أ–عملة مصنوعة من البرونز، خاصة بمدينة صالداي، في أسفل العملة توجد كتابة بحروف بونية (SLDN) ، وشرحها صالدانا (SALDANA) ، تعود إلى القرن الأول ق.م.

ب– قنينة عطر مصنوعة من الطين، مزخرفة البدن، تعرضت للكسر على مستوى المقبضين والقاعدة، وهو ما أفقدها نوع من الجمالية التي كانت عليها، تعود إلى القرنين السادس والخامس ق.م، وهي موجودة الآن بمتحف اللوفر بفرنسا.

الشكل رقم: 37 (أ، ب).

اعتمادا على: Bertrandy(F.), op.cit., pp.76-77.

على الجدران، و يمكن أيضا أن توضع قرب المتوفى أو المعبود [1].

ج- المزهريات الفخارية:

عثر على نوع من هذه المزهريات في موقع بجاية الحالية، وهي مصنوعة من الطين ذات أشكال مختلفة، تحتوي هذه الأخيرة على قاعدة في أسفلها، أما شكل العنق فهو ضيق نوعا ما.

كان هذا النوع من المزهريات قد انتشر بكثرة في معظم المدن القرطاجية، تعود على الأرجح إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد. (أنظر الشكل رقم38:(أ)، ص.146).

د- الجرار الفخارية:

يحتفظ متحف بجاية بعدد لا بأس به من الجرار الفخارية، نذكر منها تلك الجرة ذات الثلاث فصوص، التي تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد. (أنظر الشكل رقم:38(ب،ج)، ص.146).

هـ- الأقنعة:

تجدرالإشارة إلى أن الأقنعة الفخارية ذات الوجوه الضاحكة، والتي كان الهدف منها إضحاك أو إخافة العفاريت أو الشياطين لكي تؤمن الهدوء للأحياء والأموات، ومن الممكن أيضا أن هذه الأقنعة كانت تصور تلك العفريت نفسها، ويعود أقدمها إلى القرن السابع قبل الميلاد، وكانت الأقنعة لفترة طويلة تعد نتاجا بونيا خالصا يعود إلى الثقافة الفينيقية والقرطاجية [2].

وهناك نموذج من الأقنعة، عثر عليها بمحطة صالداي القديمة، وهو عبارة عن قناع مصنوع من الطين، يظهر عليه وجه شخص بشعر أجعد، يعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد. (أنظر الشكل رقم:38(د)، ص.146).

و- رؤوس التماثيل:

هي عبارة عن رؤوس لأشخاص مصنوعة من الطين، لدينا نموذجين منها: الأول يمثل رأس لشخص، أما الرأس الثاني فهو لإمرأة، قد تعرض للكسر على مستوى العنق،عثر على هذه الرؤوس في تنقيبات قوكلر(Gaukler) سنتي1891-1892 م، بمقبرة رومانية تعود إلى القرنين الثاني والثالث قبل الميلاد.(أنظر الشكل رقم:39(أ، ب)، ص.148) .

---

[1] - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.157.

[2] -نفسه، ص ص. 214-218.

أ- مزهرية مصنوعة من الطين، مزودة بمقبض وترتكز على قاعدة، تعود إلى القرن الثالث ق.م، وهي الآن موجودة بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر.

ب- جرة مزودة بمشرب ومقبض، وهي مصنوعة من الطين، تعود إلى القرن الثالث ق.م، وهي الآن موجودة بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر.

ج- جرة مصنوعة من الطين، مزودة بمقبضين، تعرضت للكسر على مستوى القاعدة، تعود إلى القرنين السادس والخامس ق.م، وهي موجودة حتى الآن بمتحف اللوفر بفرنسا.

د- قناع مصنوع من طين غير مشوي، يمثل صورة لشخص بشعر أجعد، يعود إلى القرن الثاني ق.م، وهو الآن موجود بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر.

الشكل رقم:38 (أ، ب،ج، د)

اعتمادا على: Bertrandy(F.), op.cit., pp.76-77.

ن- الحلي:

عثر على عدد منها في منطقة بجاية الحالية و هي خاصة بالتزيين، ومن هذه الحلي لدينا سـواران مصنوعان من الأحجار الكريمة، وهي بألوان وأحجـام مختلفـة، تعـود إلى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد[1]. (أنظر الشكل رقم:39(ج) ص.148).

نستخلص من كل ما سبق، اعتمادا على النماذج التي قدمناها لأهم المصادر المادية المحلية المتواجدة بسلسلة موانئ الشرق الجزائري القديم، أن هناك تشابه كبير في اللقى الأثرية المحلية من خلال صناعة الفخار في كل مدن ساحل الشرق الجزائري، بدليل توافر الجرار الفخارية المتناثرة هنا وهناك على طول سلسلة موانئ الشرق الجزائري، وهذا ما لمسناه خلال زياراتنا الميدانية لمواقع المدن – موضوع الدراسة – على أن تلك الموانئ قد مارست نفس النشاط التجاري داخليا وخارجيا.

وقد كانت الصفقات التجارية التي تتم في موانئ الشرق الجزائري تقوم على عملات مختلفة، حيث كان لبعض مدنها عملة خاصة بها، وهذا يعني أن هناك نوعا من الاستقلالية في نشاطها التجاري كما ذكرنا آنفا.

وقد أوضحنا فيما سبق، أن الأدلة الأثرية تتمثل فيما خلفه الإنسان المغاربي القديم من بقايا أعمدة لبنايات وشواهد قبور ونصب تذكارية...الخ. وقد كان اهتمام الفينيقيين والقرطاجيين والنوميديين والرومان لاحقا كبيرا بموانئ الشرق الجزائري، والدليل على ذلك بقايا أعمدة لبنايات وجدت بالقرب من تلك الموانئ، كما هو الحال في ميناء هيبونة، إضافـة إلى الجرار الفخارية التي كانت تخبأ فيها أنواع المحاصيل والزيوت وغيرها لتصديرها إلى ما وراء البحر المتوسط.

(1) –Bertrandy (F.), op-cit., p. 78.

أ- رأس لشخص مصنوع من الطين غير المشوي، عثر عليه في حفريات قوكلر (Gaukler) 1891-1892م، يعود إلى الفترة الهلينستية، وهو موجود الآن بمتحف اللوفر بفرنسا.

ب- رأس لامرأة بتسريحة شعر، تعرضت هذه القطعة إلى الكسر على مستوى العنق، تعود إلى القرنين الثالث والثاني ق.م، وهي موجودة الآن بمتحف اللوفر بفرنسا.

ج-تمثل الصورتين (أ) و(ب) حلي للزينة، وهما عبارة عن سوارين متكونين من خمسة عشر وسبعة عشر قطعة من الحجارة الكريمة مختلفة الأحجام والألوان، تعود إلى القرن الرابع والثالث ق.م، وهما الآن موجودان بمتحف اللوفر بفرنسا.

الشكل رقم:39 (أ،ب،ج).

اعتمادا على: Bertrandy (F.), op-cit., p.78.

الخـــاتمــة

تبين لنا من خلال ما قدمناه في هذه الدراسة، أن البيئة الجغرافية والمناخية والتراتـــب التاريخي لسلسلة موانئ الشرق الجزائري القديمة، قد أهلتها لأن تكون محط أنظـــار التجـــار الفينيقيين، الذين لم يحاولوا مهاجمة السواحل المغاربية القديمة أو أخذها والـــسيطرة عليهـــا بالقوة، بل نظروا إلى المنطقة على أنها توفر لهم محطات استراحة وحلقة ربط مع المغاربة القدماء الذين يقطنون في الداخل، إضافة إلى توفر المواد الخام، حيث أنشئوا مراكز لهم لـــم تكن أكثر من أسواق تجارية محاطة بضياع واسعة لإنتاج زيت الزيتون والحبوب والفواكـــه المجففة...إلخ.

وقد حافظ القرطاجيون فيما بعد على ما خلفه أسلافهم الفينيقيون من أسواق تجاريـــة، لكن ذلك لم يكن كافيا لحمايتهم من أي هجوم عسكري قد يتعرضون له، فحيـــاتهم البحريـــة والتجارية قد دفعتهم إلى بناء أساطيل حربية قوية يصدون بها هجمـــات أعـــدائهم، الـــذين يترقبونهم في الشاطئ الشمالي للحوض الغربي للبحر المتوسط، كالإغريق والرومان الـــذين بدأ الاحتكاك بهم تجاريا.

فالرومان صعقوا بما حققه القرطاجيون من نجاحات تجارية، وقد كان هـــدفهم الأول من دخولهم شمال إفريقيا كلها، هو تدمير قوة منافسهم الأول في البحر المتوسط، والنظر إلى المنطقة على أنها مصدر جيد للربح والثراء.

لقد ظهر لنا من خلال دراستنا هذه، أن الموانئ المغاربية القديمة الواقعة على ســـاحل الشرق الجزائري كان نشاطها قد ازداد خلال الفترة القرطاجية وبعدها، لاسيما خلال الفتـــرة الرومانية، حيث اهتم الأباطرة الرومان بتوسيع نشاطها وتزويدها بكل المرافق الضرورية.

وقد كانت موانئ الشرق الجزائري بحكم موقعها ودورهـــا فـــي النـــشاط التجـــاري المغاربي القديم، من بين أهم المحطات التجارية التي دفعت بالاقتصاد المغاربي إلى ما وراء البحر المتوسط على مر العصور.

إن ما تجدر الإشارة إليه، هو أن القرطاجيين كانوا قد ربطوا علاقات سلمية وثيقة مع المغاربة القدماء، لكن تلك العلاقات لم تدم طويلا، خصوصا عندما دخلـــت قرطاجـــة فـــي صراع مع الإغريق و الرومان، وانتهى ذلك الصراع بـــسقوط قرطاجـــة ســـنة 146 ق.م، وانتقال كفة القوة لصالح الرومان الذين قاموا برومنة كامل الشمال الإفريقي، علـــى عكـــس

القرطاجيين الذين حققوا بصمات واضحة في تاريخ المغرب القديم لعدة قرون، ويظهر ذلك جليا في الامتزاج الحضاري البوني في المنطقة.

إن رصدي للمصادر المادية والكتابية واستنارتي بالمراجع الحديثة فيما يخص موضوعي، جعلني أخرج بنتائج هامة أخولصها على الشكل التالي:

– تركيز التأثير الفينيقي– البوني في شرقي الجزائر أكثر منه في غربها، حيث أن هذا التأثير لم يبق منحصرا على السواحل الجزائرية فحسب، بل تسرب إلى الداخل حتى منطقة تبسة وقالمة ثم سيرتا وكامل المدن القديمة.

– تشابه البقايا الأثرية المحلية الخاصة بكل مدن ساحل الشرق الجزائري في طريقة ومادة الصنع، سواء أكان ذلك من الطين أو المعادن والزجاج.

– يعتبر الفخار من أهم البقايا الأثرية والأكثر انتشارا في سلسلة موانئ الشرق الجزائري، بدليل الجرار الفخارية الكبيرة منها والصغيرة التي وجدت قرب الموانئ، والتي استخرجت من البحر.

من جهة أخرى، بدا لي من خلال الزيارات الميدانية التي قمت بها لبعض متاحف الشرق الجزائري التي استطعت الدخول إليها، أن الأشياء كانت مرتبة على الشكل الآتي:

لذلك حاولت أن أزود الموضوع بصور و أشكال لبعض اللقى الأثرية لمختلف الحضارات التي مرت بالمنطقة، سواء ما كان منها متعلقا باللوبيين القدماء (بقايا الدولمن)، وما كان متعلقا بالفينيقيين القرطاجيين، مثل: الجرار والقوارير وقنينات الزينة وكذا المدمعيات، إضافة إلى بعض الأدوات المعدنية ممثلة في العملة والصنوج العائدة إلى الفترة النوميدية، وكذا تلك العائدة إلى الفترة الرومانية البيزنطية مثل الصور والنقوش وخزانات المياه والجرار الكبيرة وقوارير حمل السوائل وقنوات المياه المصنوعة من الفخار، وتوابيت الدفن وغيرها من اللقى الأثرية.

من هذا المنطلق، حاولت طرح بعض التساؤلات التي تبقى مطروحة مثل: هل كانت قرطاجة فعلا تحكم سلسلة موانئ الشرق الجزائري القديمة؟ أم أنها كانت تابعة لها إسميا فقط؟ أو أنها كانت تتعاون معها من حين لآخر؟ وهل فعلا أن حلول الرومان محل القرطاجيين كانوا قد قدموا لنا خدمات حضارية بإعادة ترميم وإصلاح الموانئ الجزائرية القديمة، لدفع عجلة النشاط الاقتصادي المغاربي لما وراء البحر المتوسط في تلك العهود؟.

ذلك ما لم أتمكن من الإجابة عنه في دراستي هذه، وهذا لنقص المـــصادر الكتابيـــة والمادية وغموضها في كثير من الأحيان، إضافة لقلة الحفائر الأثرية في المـــدن الـــساحلية الجزائرية، إن لم نقل انعدامها. ولعل الأبحاث المقبلة ستكشف لنا خفايا تاريخ الموانئ والمدن الجزائرية القديمة في ظل توفر المادة التاريخية الملائمة، لمحاولة إثراء مكتباتنـــا ومراكـــز بحثنا وقاعات متاحفنا الجزائرية التي هي بحاجة إلى مثل هذه البحوث العلمية التي نتمنى أن نكون قد وفقنا في جمع أشتاتها.

فهرس المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

أولا: المصادر والمراجع باللغة العربية:

أ- المصادر:

1) البكري،

- المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب، طبعة 1965م.

2) حسن بن محمد الوزان الفاسي،

- وصف إفريقيا، ترجمة محمد فتحي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ج.2، بيروت، 1983م.

3)-عبد الرحمن ابن خلدون،

كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، القسم الأول، المجلد الثاني، منشورات دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1966م.

4)-الكتاب المقدس،

- سفر الملوك الأول، 1-19.

ب- المراجع:

1)- أبو المحاسن عصفور،

- المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.

2)-إبراهيم رزق الله أيوب،

- التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، ط.1، لبنان، 1996م.

3) أحمد صفر،

- مدنية المغرب، دار بوسلامة للنشر، تونس، 1959م.

4) أحمد فخري،

- مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.2، القاهرة، 1960م.

5) أحمد المكناسي،

- مدينة ليكسوس الأثرية، دار كريمات، تيطوان، 1961م.

6) جواد بولس،

– لبنان والبلدان المجاورة، مؤسسة أبدران وشركاه للطباعة والنشر، ط.2، لبنـــان، 1973م.

7) جون ويلسون،

– الحضارة المصرية، ترجمة: أحمد فخري، مكتبة النهـــضة المـــصرية، القـــاهرة، 1951م.

8) حليمي عبد القادر علي،

– جغرافية الجزائر(طبيعية – بشرية – إقتصادية)، ط.2، الجزائر، 1968م.

9) حلمي محروس إسماعيل،

– الشرق العربي القديم وحضارته، بلاد مابين النهرين والـــشام والجزيـــرة العربيـــة القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

10) رشيد الناضوري،

– تاريخ المغرب الكبير، العصور القديمة (أسسها التاريخية الحضارية، الـــسياسية)، دار النهضة العربية، ج.1، بيروت، 1981م.

11) شارل أندري جوليان،

– تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي وبشير بن سلامة، الـــدار التونـــسية للنشر، تونس، 1983م.

12) عبد اللطيف أحمد علي،

– التاريخ الروماني، دارالنهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973م.

13) عبد الله محمود حسين،

– دراسات في التاريخ العسكري، المنارة، ط.1، بيروت، 2000م.

14) فيليب حتي،

– تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، مؤســـسة فرانكلين للطباعة والنشر، ج.1، بيروت، 1958م.

15) لوسيان فيغر،

– الأرض والتطور البشري، ترجمة: محمد السيد غلاب، دار المطبوعات الجديـــدة، 1973م.

16) محمد الطاهر العدواني،

- الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

17) محمد الصغير غانم،

- معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003م.
- التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، دار الهدى، الجزائر، 1992م.
- الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، الجزائر، 2005م.

18) محمد البشير شنيتي،

- الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة) 146ق.م-40 م، الجزائر، دون تاريخ.
- الجزائر في ظل الاحتلال الروماني (بحث في منظومة التحكم العسكري، الليمس الموريتاني ومقاومة المور)، ديوان المطبوعات الجامعية، ج.1، الجزائر، 1999م.

19) محمد الهادي حارش،

- التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري، منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992م.

20) موسكاتي،

- الحضارات السامية القديمة، ترجمة: أ. يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، بيروت، 1959م.

21) محفوظ قداش،

- الجزائر في العصور القديمة، ترجمة: صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993م.

22) محمد سحنوني،

- ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.

23) محمد جدار،

- أطلس الوطن العربي، قصر الكتاب، الجزائر، دون تاريخ.

24) محمد الهادي لعروق،

– أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر، دون تاريخ.

25) محمد رفعت،

– تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، مكتبة العلوم السياسية، دار المعارف، مصر، 1959م.

26) هاينريش فون مالتسان،

– ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج.2، الجزائر، 1979م.

27) ول ديورانت،

– قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج.1، المجلد الثاني، القاهرة، 1965م.

ج– المجلات والحوليات:

1) آسيا مسعودي بوعجيمي،

– إنشاء وتطور المرافق الأساسية للتجارة الرومانية في المغرب خلال العهد الإمبراطوري الأول، حوليات جامعة الجزائر، العدد8، الجزائر، 1994م.

2) خديجة منصوري،

– جيجل (Igilgili) في الفترة الرومانية، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد12، مطبعة سومر، الجزائر، 2002م.

3) محمد الصغير غانم،

– نظرة في العلاقات الحضارية الفينيقية الليبية القديمة من خلال المصادر المادية، مجلة سيرتا، العدد10، قسنطينة، 1988م.

محمد البشير شنيتي،

– التوسع الزراعي الروماني ومظاهر البداوة بالجزائر القديمة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.

4) محي الدين شبلي،

– دليل متحف روسيكادا، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2006م.

د- المعاجم والموسوعات:

- المعاجم:

1) حسن النجفي،

- معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم، دار واسط، ط.1، بغداد، 1982م.

2) **هنري عبود،**

- معجم الحضارات السامية، لبنان، 1988م.

- الموسوعات:

1) حسن جلال العروسي،

- الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م.

2) عبد الفتاح مقلد الغنيمي،

- موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي، ج.1، القاهرة، 1994م.

3) وليام لانجر،

- موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، ج.1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959م.

هـ- الرسائل الجامعية:

1) **آسيا مسعودي،**

- التبادل التجاري بين إيطاليا والمغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأول(القرن الأول- القرن الثالث)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، إشراف الأستاذ: محمد البشبير شنيتي، الجزائر 1987-1988م.

2) شارن شافية،

- النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني (العهد الإمبراطوري الأول) رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ القديم والآثار، ج.1، الجزائر، 2000-2001م.

3) عمر بن إدريس،

- الصراع القرطاجي الإغريقي في غربي المتوسط، مابين القرنين السادس والرابع

ق.م، جامعة الجزائر، دون تاريخ.

ثانيا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

أ- المصادر:

1) Aristote ,
- Politique, II.

2) Appian ,
- Histoire romaine, éd. P.viereck dans bib. Teulner, 1906, VII.

3) Hérodote ,
- Histoire, trad. P.H. Larcher, 1981.II.

4) Justin ,
- Histoire Phillippaire de trogue pompée, le livre XVIII.

5) Polybe ,
- Histoire, établi et traduit par Paul Pédech, éd. Les belles lettres, Paris, 1969 , livre I, III.

6) Pline l'ancien ,
- Histoire naturelle, éd. Les belles lettres, Paris, 1980, Volume V, XIII, XVI.

7) Plutarch,
- Cicéro. 2.2.

8) Strabon ,
- Géographie, éd. H.J. Jones, Coll. Joeb. 1917, XVIII.

ب- المراجع:

1) Auphan (P.),
- Histoire de la méditerranée, éd. La table ronde, Paris, 1962.

2) Bertrandy (F.),
- L'Algérie au temps des royaumes numides, V^{e} av. J-C, 1er siècle ap. J-C, musée départemental des antiquités, éd. Somogy, Paris, 2003.

3) Bloch (R.) et Conssin (J.),
- Rome et son destin, éd. Armand Colin, Paris, 1960.

4) Bouchenaki (M.),
- Recherche punique en Algérie, in ricerch puniche mel méditerranéo centrale, Rome, 1970.

5) Benson (B.) et kahan (M.),
- Les Bateaux, éd. Gamma, Paris, 1977.

6) Bertrand (L.),
- Catalogue du musée archéologique de Philippeville, Philippeville, 1914.

7) Braham (D.),
- Les mines antiques de la région de Collo, Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, 5eme volume, de la 5eme série, librairie éditeur, Alger, 1915.

8) Bousquet (G.H.) ,
- Les Bèrbères, Paris, 1957.

9) Cintas (P.),
- Le port de Carthage, extrait du manuel d'archéologie punique, éd. A et J. Picard, Paris, 1973.

10) Célerier (P.),
- Histoire de la navigation, Paris, 1961.

11) Casson (L.),
- Les marins de l'antiquité, Paris, 1961.

12) Charles-Picard (G.) et (C.),
- La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal, III siècle. Av. J.C, Hachette, Paris, sans date.

13) Caratini (R.),
- Histoire Universelle, le monde antique, préface de Grimal, 1er éd. L'Italie, 1968.

14) Camps (G.),
- Monuments et rites funéraires protohistoriques, Paris, 1916.

15) Compardou (J.),
- La nécropole de Taza, B.S.G.A.O., T.XXXVII, 1917.

16) Carthault (A.C.),
- La trière Athénienne, Paris, 1881.

17) Courtois (Ch.),
- La politique naval de l'empire romaine, Paris, 1939.

18) Carton (L.),
- Le port marchand et la mer de Carthage, Renet, T.XVIII, Paris, 1911.
- Documents des ports de l'enceinte de Carthage punique, éd. Ernest Leroux, Paris, 1913.

19) Cavaignac (E.),
- Le monde méditerranée jusqu'aux IV siècle av. J-C, éd. Boccard, Paris, sans date.

20) Colozier (F.),
- Les Etrusques et Carthage, M.A.H., T.IXV, 1953.

21) Derdour (H.),
- Annaba, 25 siècles de vie quotidienne et de luttes, T.1, Alger, 1982.

22) Decret (F.),
- Carthage ou l'empire de la mer, éd. Seuil, Paris.

23) Demerliac (J.G.) et Meriat (J.),
- Hannon et l'empire punique, éd. Les belles lettres, Paris, 1983.

24) Decret (F.) et Fantar (M.H.),
- L'Afrique du nord dans l'antiquité au 5ème siècle, éd. Payot, Paris, 1981.

25) Fantar (M.H.) ,
- Carthage la prestigieuse d'Ellissa, éd. Maison Tunisienne, 1970.

26) Farnoux (B.C.) ,
- Les guérres puniques, Presse universitaire de France, Paris, 1960.

27) Féraud (Ch.) ,
- Histoire des villes de la province de Constantine, R.S.A.C., 14, 1870.

28) Gsell (S.) ,
- Histoire ancienne de l'Afrique du nord, T.1.2, éd. Hachette, Paris, 1928.
- Atlas archéologique de l'Algérie, Tome Texte, éd. Spéciale des arts, Paris, 1911.
- L'Algérie dans l'antiquité, éd. Adolphe Jourdan, Alger, 1903.
- Les monuments antiques de l'Algérie, Paris, sans date.
- Tipaza ville de la Mauritanie Césarienne in M.E.F.R., 1894, T.XIV.
- Étendue de la domination Carthaginoise en Afrique. Imp. Oriental, Alger, 1905.

29) Gruet (M.),
- Gisements Atériens et néolithique du nord de Bisert, T.L1, Tunisie, 1947.

30) Gaudio (A.),
- Les empires de la mer, Paris, 1962.

31) Gusse (G.),
- Lettre adressé à Mr. St. Gsell, sur les ports de Carthage, (Salannules 12 Novembre 1926).

32) Gauckler (P.),
- Nécropole punique de Carthage, T.I.II, Paris, 1915.

33) Hours-Miedian (M.),
- Carthage éd. Presse universitaire de France, Paris, 1971.

34) Hélo (C.),
- Notice sur la nécropole libyco-phénicienne de Collo, B.A.C., 1895.

35) Hinglais (V.),
- Catalogue du musée archéologique de Constantine, R.S.A.C., 1904.

36) Julien (Ch.A.),
- Histoire de l'Afrique du nord des origines à la conquête arabe, T.II, S.E.E.D., 1978.

37) Kaddache (M.),
- L'Algérie des Algériens, de la préhistoire à 1954, Paris, 2003.

38) Lieussou (M.A.) ,
- Etudes sur les ports d'Algérie, éd. Paul dubont, Paris, 1850.

39) Lederman (E.),
- Philippeville et ses environs, éd. Syndicat d'initiative, Philippeville, 1935.

40) Logeart (F.),
- Grottes funéraires et carreaux sous rochés de Sila, R.S.A.C., T.IXIII, 1935.

41) Luciani ,
- Recueil de la société archéologique de Constantine, T.XIII, 1884.

42) Lapeyre (G.) et Pellegrin (A.),
- Carthage punique 814-146 av.J.C, Paris, 1942.

43) Le coq (A.),
- Le commerce de l'Afrique romaine, société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran, T.XXXII., 1912.

44) Mercier (E.),
- Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de département de Constantine, V.9, Adolphe Braham, Constantine, 1997.

45) Meriat (J.),
- Marine antique en méditerranée, éd. Finin Didot, Paris, 1964.

46) Moscati (S.),
- L'épopée des phéniciens, éd. Fayard, Paris, 1971.

47) Messikh (M.H.),
- Histoire ancienne et contemporaine de Skikda l'antique, éd. Raïs, Alger, sans date.

48) Nicolet (C.),
- Rome et la conquête du monde méditerranéen, Presses universitaires de France, Paris, T.2, 1978.

49) Raymond (M.),
- Le dolmen d'amerzurpat, B.S.P.M., 1937.

50) Rougé (J.),
- La marine dans l'antiquité, Paris, 1975.

- Recherches sur l'organisation du Commerce maritime en méditerranée sous l'empire romain, Paris, 1966.

51) Sauter (M.R.) ,

- Préhistoire de la méditerranée, paléolithique Mésolithique, éd. Payot, Paris, 1948.

52) Sempère (H.),

- Les ports et la vie maritime de l'Afrique du nord antique de Carthage à Tanger (Thèse de D.E.S.), Alger, 1937.

53) Sznycer (M.),

- Rome et la conquête du monde méditerranéen, T.2, Paris, 1978.

54) Salama (P.),

- Les voies romaines de l'Afrique du nord, Préface de Louis Leschi, S.A.M.A., Alger, 1951.

55) Vernaz ,

- Note sur les feuilles à Carthage, R.A., 1897.

56) Vars (J.),

- Art nautique dans l'antiquité, Klincksieck, Paris, 1886.

57) Ventre (M.),

- Les ports de Carthage, Tunis, 1913.

58) Warmington (G.),

- Carthage, London, 1960.

ج- الدوريات:

1) Berbrugger (A.),

- Igilgili, choba et Muslulio la revue africaine, XI, 1867.

2) Cintas (P.),

- Feuilles puniques à Tipaza, extrait de la revue africaine, T.III et IV, 1949.

3) Cousteau (J.Y.),

- La quête de la nourriture, éd. Grammont, Paris, 1975.

4) Marec (E.),

- Hippone, libyca, T.VIII, 1960.
- Le Forum, d'Hippone, Libyca, T.II, 1954.
- Trois mosaïques d´Hippone à sujets marins, services des antiquités archéologiques d'épigraphie, Libyca, T.V., 1958.

5) Ramendo (L.),

- Les industries préhistoriques djijelli Site-Ouest, Libyca, Anthropologies préhistoire-Ethnographie, 13, 1965.

6) Soulié (M.),

- Bougie, Libyca, T.VII, 1959.

7) Zemmouchi (R.),
- Tourisme magazine, éd. Interixépo, Alger, 2007.

فهرس أبجدي لأسماء الأماكن، الأشخاص والآلهة.

أسماء الأماكن

(أ)

إقليم قسنطينة: 10.

آيت روانة: 20.

آسيا الصغرى:27-28-29.

إفريقيا: 30-70-73-88-93-107 – إستوائية 46.

أعمدة هرقل: 45-67-73-109.

إيكوزيوم: 49-95.

إقليم أمبوريا: 73.

اسطورا: 86-88-89-91.

الأطلس المتيجي: 6.

الإمبراطورية الحثية: 27.

الإمبراطورية القرطاجية: 56-111.

الإقليم الشرقي: 7.

الإقليم الغربي:7.

إقليم البحر المتوسط: 12-13.

إفريقيا الشمالية: 32.

أوروبا: 73.

أيبيريا(شبه جزيرة): 118.

(ب)

البحر المتوسط: 2-3-6-9-19-28-29-30-36-40-42-48-51-59-69-75-88-100-147-149.

بلاد فينيقيا: 67.

بلاد مابين النهرين: 28.

بلاد الرافدين: 29-122.

بلاد الإغريق: 31.
بلاد اليونان: 62.
بلاد المغــرب القــديم: 15-16-17-18-19-22-30-32-47-48-49-53-55-56-57-58-59-60-67-70-72-78-81-89-91-110-111-112-129-150.
بيرصة: 69.
الباليار: 67.

(ت)

التوسع الآشوري: 28.
تيجزرت: 20.
التوسع الفينيقي: 28-29-51.
التوسع الإغريقي: 74.
التوسع القرطاجي: 72-73.

(ج)

جبال الأطلس التلي: 2-7-15.
جبل طارق: 3-55.
جبال إيدوغ: 6-9.
جبال نوميديا: 10.
جبال سوق أهراس: 6-7.
جبال مجردة: 6.
جبال تلمسان: 7.
جبال مليانة: 7.
جبال أوزكار: 7-8.
جبال الريف: 7.
جبال طاسالا: 8.
جبال الضاية: 8.
جبال سعيدة: 8.
جبال البليدة: 8-9.

جبال جرجرة: 9.
جبال البابور: 9-10.
جبال التيطري: 9.
جبال البيبان: 9.
جبال فرجيوة: 10.
الجبل الأزرق: 12.
جبل أم سطاس: 12.
جبال لبنان:13-17-27-29-32.
جزيرة إيبيريا: 47.
جزيرة رشقون: 50.
جزيرة قبرص: 54.
جزيرة القل: 12-70.
جزيرة مالطا: 73.
جزر الباليار: 73.
جدار كاري: 73.
جزيرة صقلية: 67.
جبال بوزقرة: 9.
جبل فلفلة: 89.
جزيرة قرنة: 73.
جيتوليا: 56.

(ح)

الحدود الجزائرية المغربية: 4.
الحدود الجزائرية التونسية: 4-7.
الحدود الجزائرية المراكشية: 7.
حوض البحر المتوسط: 17-53-57-59-76-78-89-107-150.
الحوض الغربي للبحر المتوسط: 28-30-31-37-45-51-58-60-65-67-69-72-74-84-105-110-111-149.

(خ)

خليج الجزائر: 3.
خليج عنابة: 3.
خليج سكيكدة: 3-12.
خليج بجاية: 3-10.
خليج قرطاجة: 12-69.
خليج قابس: 55.
خليج غينيا: 73.
خليج واد الذهب: 73.
خليج اسطورا: 86.
الخليج النوميدي: 88.
خليج سيدي يحي: 102.
خليج تونس: 30.
خليج السرت: 67.

(د)

الدولمن: 18-19-20.
الدولة المصرية: 27.
الدولة الآشورية:27.
دولة الحيثيين: 28.
الدولة القرطاجية: 60.
الدخيرة: 19.

(ر)

رأس ملوية: 4.
رأس فالكون: 4.
رأس البرج البحري: 4.
رأس الحديد (رأس كاربون): 4.
رأس بوقرعون: 4- 86-93.

رأس روزاروكس: 4.
رأس الحارس: 4.
رأس سولويس: 56.
رأس سبارتل: 86.
الرأس الأسود: 96-98.
رأس بونة (بون): 55-71.
رأس كانتن: 73.
الرأس الأخضر: 73.
الرابطة: 137.

(ز)

الزيتونة: 10.
زيامة: 137.

(س)

الساحل الجزائري: 2-3-4-9-10-12-13-19-51-88.
سواحل شمال إفريقيا: 2-16-88.
الساحل الشرقي الجزائري: 3-15-19-20-82-83-84-107-111-116-122-150.
سلسلة الأطلس التلي: 3-7-9.
سهل وهران: 5.
سهل متيجة: 5.
سهل عنابة: 5-12.
سهل بلعباس: 8.
سهل معسكر: 8.
الساحل الفينيقي: 27-28-29-30-31-32-61-105.
سوريا الداخلية: 27.
سبخة أريانة: 59.
ساحل البحر المتوسط: 12-42-69-76.
الساحل التونسي: 20.

سمندو: 12.
سواحل بلاد المغرب القديم: 16.
السرتين الكبير والصغير: 55.
سهل بويعلى: 129.
سواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط: 31.

(ش)

الشرق الجزائري: 7-18-19-22-72-81-91-140-147-149.
شرقي البحر المتوسط: 28-29-45-47-59-61-66-67-69.
الشمال الإفريقي: 17-59-73-82-84-100-118-137-149.
الشرق الأدنى القديم: 26-59.
الشاطئ الفينيقي: 28.
شواطئ المنصورية: 137.

(ص)

الصحراء الجزائرية: 19.
صلامبو: 59-71.
صالداي: 100-111-137-140-143-145.
الصحراء الغربية: 73.
الصحراء: 15-19.

(ع)

عين قشرة: 19.
العالية: 20.
العالم القديم: 32-42-44-57-60-63-71-91-122.

(غ)

غربي البحر المتوسط: 26-42.

(ق)

القارة الإفريقية: 46-73.

قبة سيدي إبراهيم: 50.
القاطون: 66.
القبائل الصغرى: 10.
قمة لالة خديجة:9.
القصرين: 20.

(ك)

كافولو (كافالو): 20.
كهوف قيوفيل: 17.
كهوف التروجلوديت: 17.
كهوف إيقاد: 17.

(م)

ميناء قرطاجة: 66-67-78.
مضيق مسينا: 76.
ميناء بجاية: 81-102.
ميناء سكيكدة (روسيكادا): 81-85-86-88-89-91.
ميناء اسطورا: 85.
ميناء عنابة: 81-120.
ميناء القل(شولو): 81-93.
ميناء دلس: 82.
ميناء تنس: 82.
ميناء المرسى الكبير: 4-82.
ميناء تكمبريت: 82.
ميناء أوستي: 89.
ميناء بوزوليس: 89.
المرسى الحديث:
محطة إيجلجيلي: 95-96-98-100-137.
المحيط الأطلسي: 40-46-51-56-59-86.

موانئ إيطاليا: 84-91.
المغرب الأقصى: 55-115.
المستوطنات الفينيقية: 46-58.
المدن الميتاغونيتية: 86.

(ن)

نهر طبسوس: 85.
نهر الصفصاف: 85.
نهر الصومام: 100.
نهر سيبوس: 105.
نهر السينغال: 73.
نهر ذرعا: 46.
نوميديا: 56-70-118.

(هـ)

الهقار: 19.
هيمرا: 70-74-75.

(و)

وادي سيبوس: 6-12.
وادي الصومام (وادي الساحل، وادي بوسلام): 10.
الوادي الكبير (وادي الرمال، وادي لمساغة): 10.
وادي الصفصاف: 12-86.
وادي الشرق: 12.
وادي زناتي: 12.
وادي مجردة: 12.
وادي النيل: 27-29.
وادي الرافدين: 27.
وادي التافنة: 50.
وادي بني مالك: 129.

وادي القردة: 129.
وادي العرب: 20.
وادي زيمس: 137.
(ي)
اليونان: 57.

أسماء المدن

(أ)
أقبو: 10.
ألب: 27.
إسبانيا: 30-46-67-70-73-109.
أوتيكا: 30-45-47-48-50-51-53-65-82.
أيول: 49-120.
إيطاليا: 44-98.
أكرا: 73.
(ب)
بجاية: 10-17-20-100-140-145-147.
البويرة: 10.
بانورموس: 74.
(ت)
تونس: 3-12-19-20-47-48-55-57-59.
ترشيش: 30-48-60.
تشميش: 46.
تيطوان: 46.
تيبازة: 48-49-51.
تنس: 82.
تيمقاد(لمباز): 89.
تازولت: 89.

تاروس: 74.
تمالوس: 19-110.
تبسة: 150.

(ج)

الجزائر: 7-8-12-17-18-20-22-49-50-70-82-84-95-115-150.
جرجرة: 10.
جميلة: 10.
جبيل: 27.
جاتينا: 27.
جيتي: 73.
جيجل: 137-138-140.

(ح)

حدرومات: 65-105.

(د)

دلس: 82.

(ر)

رشقون: 50-51.
روما: 62-69-74-76-91-98-111.
روسيكادا: 84-85-86-88-89-93-111-124-126-129-131.
رودس: 30.

(س)

سكيكدة: 3-20-86-110-129.
سوريا: 28-29-31.
سيناء: 29.
سردينيا: 30-67-70-73-75-78-100-118.
سيرتا: 88-132-138-150.

سوسة: 105.
ساراقوسة: 74.
سطيف: 137.

(ش)

شرشال: 49-50-82-102.

(ص)

صيدون (صيدا): 26-32.
صور: 38-47-53-55-59-66.
صقلية: 30-50-73-74-75-76-78-118.
صولونت: 74.

(ط)

طبسوس: 85.
طنجة: 102.
طروادة: 45.

(ع)

عنابة: 3-4-18-105-116-118-120-122-124.
عين البيضاء:12.
عين عبيد: 12.
عين قشرة: 19.

(غ)

الغزوات: 3.

(ف)

فينيقيا: 26-18-30-37-67.
فلسطين: 27.
فارس: 75.

(ق)

القالة: 3.

قالمة: 7-150.

القل(شولو): 9-19-20-91-93-111-131-132-134.

قبرص: 30.

قرطاجة: 31-38-44-46-47-48-50-53-55-56-57-58-59-60-61-62-63-66-67-69-70-72-74-75-76-78-82-86-88-89-91-102-110-112-118-126-149-150.

قادس: 27-45-47-51-82.

قورايا: 50.

قرط حدشت: 54.

قونوقو: 50-102.

قرطاجنة: 73.

قسنطينة: 115.

(ل)

ليكسوس: 30-45-46-51-73.

ليبيا: 55-56-67.

لبنان: 32.

لبدة: 73.

ليليبيوم: 75.

(م)

المدن الأمورية: 27.

مصر: 29-48-56-122.

موتيا: 75.

ميليتا: 73.

مالطا: 73.

المدن الفينيقية: 26-31.

موريتانيا: 56.

(ن)

نورا: 74.

(هـ)

هيبوأكرا: 105.

هيبوريجيوس(هيبونة): 105-107-111.

(و)

وهران: 17-82.

أسماء الأشخاص

(أ)

الآراميين: 27-28-31.

الآباطرة الرومان: 45-81-111-149.

أرسطو: 47-61-62-63.

أبيان: 55.

أحيرام: 28-32.

الآثينيين: 62.

أوكتافيوس أوغسطس: 96.

الإدريسي: 86.

الإغريق: 42-53-59-61-67-69-74-75-78-122-149.

ألكي: 98-138.

الأنطونيين: 91.

الأوليجارشيين: 71.

الأفارقة: 109.

أستروك: 138.

الأشوريين: 67.

أوغسطين(القديس): 105.

(ب)

البيزنطيين: 22.

بلينوس: 45-47-95-100.

بارث: 46.

بوليبيوس: 69.

بطليموس: 86-88-93-95.

البربر: 22-109-110.

بربريجي: 115.

بغماليون: 53-54.

البكري: 96.

البرقيين: 63.

(ت)

تجلات فلاسر الأول: 28.

تراديل: 46.

(ج)

الجيتول: 56.

الجيوش المصرية: 28.

(ح)

الحثيين: 27.

حنون: 46-73.

حنبعل: 76-111.

حسن الوزان: 96.

(د)

الملك داوود: 28.

ديرو: 115.

دولامار:115.

(ر)

الرومـــــان: 16-22-47-53-59-61-62-65-69-74-76-78-82-85-88-102-111-112-120-122-129-137-140-147-149.

الروم: 149.

رمسيس الثالث: 28.

(س)

سينتاس: 49.

السود: 33.

استرابون: 47-100-102.

سليمان الحكيم: 28-32-47.

سالوستيوس: 105-109.

سيلاكس: 85-102.

ستيفان قزال: 71-82.

السكان المحليين: 50-60-109-110-111-129.

سكان البحر المتوسط: 60.

السكان الأصليين: 64.

(ش)

الشرقيون: 20-22.

شعوب البحر: 27-28.

الشعوب القديمة: 37-40.

الشعوب السامية: 28.

الشعوب البحرية: 30.

الشوفيط: 62.

شيشرون: 107.

(ع)

عليسا: 53-54-57.

عاشرباس (ياراباس): 53-57.

العبيد: 32-64-122.
العبرانيين: 27-28-31.

(غ)

غانم: 22-115-118.
غايا: 118.

(ف)

الفرس: 16-76-109.
الفينيقيـــــين: 15-16-22-26-28-29-30-31-36-40-42-45-46-47-48-49-
50-51-53-58-60-64-66-67-70-73-75-78-85-93-96-100-105-110-
137-147-149-150.
فويمو: 50.

(ق)

القرطاجيين: 40-46-50-59-60-61-64-65-67-69-70-71-72-73-75-76-
78-110-147-149-150.
قوكلر: 145.

(ك)

كونتتو: 36.

(ل)

الليبيين القدماء: 49-56-59-64-109-150.
اللاتين: 61.
لوسيان: 19.

(م)

الموريون: 20.
المور: 22-56.
المصريون: 27.
مسيبسا: 49.

ماسينيسا: 89-126.
الماغونيين: 62-71.
المغاربة القدماء: 19-49-57-60.
الملاحون القدماء: 36.
الميديين: 109.
ماغون: 71.
المرتزقة: 64.
مرمول: 86.
متان: 53.

(ن)

النوميديون: 20-22-56-109-124-131-147.

(هـ)

هوميروس: 38-47.
الهكسوس: 48.
الهنود الحمر: 33.
هيرودوث: 56-57-75.
هيلو: 95-131-132.

(و)

الوندال: 22.

(ي)

يوبا الأول: 118.

أسماء الآلهة.

(أ)

أبولون:47.

(ت)

ثانيت: 71-75-126

(ع)

عشتارت: 54-85.

(ف)

فينوس: 85.

(م)

ملقارت: 53-59.

(هـ)

هرقل: 45.

فهرس الأشكال والخرائط.

أ- منظر طبيعي لموقع رأس الحديد (الواجهة الشرقية) لبجاية..... 5
ب- منظر طبيعي لموقع رأس الحديد (الواجهة الغربية) لبجاية..... 5
- خريطة تمثل تضاريس الجزائر الشمالية الشرقية..... 11
- منظر طبيعي يمثل الغطاء النباتي بمنطقة القل بالشرق الجزائري..... 14
- نموذج لقبور الدولمن الساحلية، عثر عليها بمنطقة القل بالشرق الجزائري..... 21
أ- صورة تمثل إنسان بدائيا، يحاول أن يجعل جدع شجرة يطفو فوق سطح الماء..... 34
ب- صورة تمثل حزمة من جذوع الأشجار تطفو فوق سطح الماء يحاول الإنسان البدائي دفعها بعصا طويلة 34
أ- صورة تمثل قاربا بدائيا بمجذاف..... 35
ب- صورة تمثل قاربا بدائيا بمجذاف أكثر تطورا..... 35
أ- نموذج لسفينة تجارية فينيقية..... 39
ب- نموذج لسفينة حربية فنيقية، ذات الصفوف الثلاثة من المجاذيف..... 39
أ- صورة تمثل نقش لسفينة رومانية تجارية بمجاذيف..... 41
ب- صورة تمثل سفينة رومانية حربية، تجمع بين الشراع والسارية و المجاذيف..... 41
- صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل موقع قرطاجة والميناء المزدوج..... 68
- خريطة تمثل المستعمرات الفينيقية والرومانية في الحوض الغربي للبحر المتوسط..... 76
- خريطة توضيحية، تمثل المستوطنات الفينيقية البونية في ساحل الشرق الجزائري..... 83
- خريطة توضيحية، تمثل مرافئ كل من روسيكادا، اسطورا والقل..... 87
- صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل مرفأ اسطورا..... 90
أ- صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل كل من ميناء سكيكدة القديم والميناء الحديث، مرفأ اسطورا، ووادي الصفصاف..... 92
ب- صورة فوتوغرافية لميناء سكيكدة في شكله الحالي..... 92
- صورة فوتوغرافية لميناء القل في شكله الحالي..... 94
- صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل ميناء جيجل الحالي..... 97
- مخطط يمثل موقع القبور البونية التي عثر عليها في جيجل..... 99

– صورة فوتوغرافية، تمثل ميناء جيجل في شكله الحالي..... 101
أ– خريطة توضيحية، تمثل مرفأ بجاية في العهود القديمة..... 103
ب– صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل كل من ميناء بجاية، موقع رأس الحديد، جبل قورايا، ووادي الصومام..... 103
أ– صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل ميناء بجاية في شكله الحالي..... 104
ب– صورة فوتوغرافية، تمثل ميناء بجاية في شكله الحالي..... 104
– خريطة توضيحية، تمثل موقع هيبونة القديمة والحديثة ووادي سيبوس..... 106
أ– صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية، تمثل كل من ميناء عنابة ووادي سيبوس..... 108
ب– صورة فوتوغرافية، تمثل ميناء عنابة في شكله الحالي..... 108
أ– طاحونة كبيرة تعود إلى الفترة الرومانية، كانت تستعمل لطحن الحبوب..... 117
ب– طاحونتين صغيرتي الحجم، إستعملتا لطحن الحبوب خلال الفترة الرومانية..... 117
أ– عملة مصنوعة من البرونز في حالة حفظ سيئة، خاصة بمدينة هيبونة..... 119
ب– نصب نوميدي هرمي الواجهة، يحمل كتابة بونية غير واضحة..... 119
ج– نصب نوميدي هرمي الواجهة، يحمل زخرفة تمثل شخصين في حالة وقوف ، وهو خالي من الكتابة..... 119
د– نصب نوميدي هرمي الواجهة، يحمل زخرفة تمثل شخصا في حالة وقوف، وملامح الوجه غير واضحة..... 119
أ– صورة أمامية لنصب روماني هرمي الواجهة، مزودة بناتئين في طرفيها..... 121
ب– صورة جانبية لنصب روماني مستطيل الشكل، يحمل على الواجهة صورة أشخاص يرتدون لباسا رومانيا..... 121
ج– صورة أمامية لنصب روماني، خالي من القاعدة، توجد في أعلاه صورة شخص واقف يمسك في يده اليمنى تاجا..... 121
د– صورة ثابوت روماني دفن فيه رجل بستاني، كان يهتم برعاية نباتات و أشجار المنطقة 121
هـ– بقايا حمام روماني خاص، بني بحجارة مقلمة، مزود بأدراج للنزول إليه..... 121

أ- نافورة رومانية في شكل وجه إنسان، يخرج من فمه الماء ليصب في حوض صغير..... 123
ب- صورة تمثل منظر للعبيد وهم ينقلون المواد المصدرة في إحدى الموانئ التابعة لروما..... 123
ج- صورة تمثل منظر لساحة سوق العبيد، أين يظهر على الصورة بقايا أعمدة رومانية... 123
أ- صورة تمثل بقايا جدار فينيقي، لايسبعد أن يكون يمثل جزءا من بناء لرصيف ميناء مدام لاصقا بلبحر ، كان في القديم عبارة عن ميناء صغير..... 125
ب- صورة تمثل بقايا جدران مرفأ روماني خصص للقوارب الصغيرة بني على أنقاض الجدار الفينيقي 125
ج- منظر عام للواجهة البحرية، يظهر على الصورة بقايا أعمدة لبنايات رومانية، بلطت أرضيتها بالفسيفساء..... 125
أ- جرة فخارية تستعمل لتخزين الحبوب ، عثر عليها بضواحي سكيكدة الحالية ، تعود إلى الفترة الرومانية 127
ب- جرة فخارية ذات مقبضين تستعمل للتخزين ، وهي تشبه إلى حد كبير الجرار المجلوبة من بلاد الإغريق، تعود إلى الفترة الرومانية 127
ج- عملة نوميدية مصنوعة من البرونز، خاصة بمدينة روسيكادا..... 127
أ- صورة تمثل نصبا جنائزيا بونيا صنع من الحجر الرملي ، أكتشف في الفرن التاسع عشر ميلادي بضواحي سكيكدة الحالية..... 128
ب- صورة تمثل نصب بونيا من حجر صغير، وقد أوتي بهذه القطعة الحجرية من قرطاجة 128
أ- صورة تمثل المسرح الروماني بسكيكدة الحالية..... 130
ب- صورة تمثل قطعة من صفيحة حجرية تذكارية، مصنوعة من الرخام الأبيض ، تتعلق ببناء مخازن المحصول السنوي باسطورا 130
- الجرات الثلاث، وهي مصنوعة من الطين، وجدت بمنطقة القل..... 133
- أقداح فخارية عثر عليها في تنقيبات 1935م، تعود إلى القرنين الثالث و النصف الآخير من القرن الرابع ق.م 135

أ- مزهرية مصنوعة من الفخار على شكل خف، عثر عليها في تنقيبات 1891م في منطقة القـــــل..... 136
ب- مزهرية أو إيناء لشرب السوائل مزود بمقبضين..... 136
ج- مدمعية مصنوعة من الطين، عثر عليها بمنطقة القل..... 136
د- مصباح زيتي مصنوع من الفخار، عثر عليه بمنطقة القل..... 136
أ- مزهرية مصنوعة من الطين، ذات مقبض واحد..... 139
ب- مزهرية مصنوعة من الطين، ذات مقبض واحد، تعرضت للكسر على مستوى العنق..... 139
ج- مصباح مصنوع من الطين، تعرض للتلف من أحد جوانبه، يعود إلى القرن الثالث ق.م..... 139
د- الدعامة التي يستند عليها المصباح..... 139
أ- طبق مصنوع من الطين، توجد بداخله زخرفة على شكل زهرة بها وريقات صغيرة . 141
ب- كوب مفرطح الشكل، مصنوع من الطين، عليه طلاء أسود، بذاخله كتابة بحروف بونية..... 141
ج- جرة مصنوعة من الطين، مزودة بمقبض، ذات طلاء يميل إلى الحمرة، مزودة بمقبض 141
أ- منظر خارجي للكهوف العجيبة بمدينة جيجل..... 142
ب- صورة تمثل منظر داخلي للكهوف العجيبة بمدينة جيجل..... 142
أ- مصنوعة من البرونز، خاصة بمدينة صالداي..... 144
ب- قنينة عطر مصنوعة من الطين، مزخرفة البدن، تعرضت للكسر على مستوى المقبضين و القاعدة 144
أ- مزهرية مصنوعة من الطين، مزودة بمقبض، ترتكز على قاعدة..... 146
ب- جرة مزودة بمشرب ومقبض، و هي مصنوعة من الطين 146
ج- جرة مصنوعة من الطين، مزودة بمقبضين، تعرضت للكسر على مستوى القاعدة ... 146
د- قناع مصنوع من طين غير المشوي، يمثل صورة لشخص بشعر أجعد..... 146
أ- رأس لشخص مصنوع من الطين غير المشوي ، عثر عليه في حفريات قوكلر..... 148

ب- رأس لأمرأة بتسريحة شعر، تعرضت هذه القطعة للكسر على مستوى العنق..... 148
ج- حلي للزينة وهما عبارة عن سوارين 148

فهرس المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

أولا: المصادر والمراجع باللغة العربية:

أ- المصادر:

ب- المراجع:

ج- المجلات و الحوليات

د- المعاجم و الموسوعات

- المعاجم.

- الموسوعات.

هـ- الرسائل الجامعية.

ثانيا- المصادر و المراجع باللغة الأجنبية:

أ- المصادر.

ب- المراجع.

ج- الدوريات.

قائمة بأسماء المختصرات الأجنبية المعتمدة

A.A.A.: Atlas Archéologie de l'Algérie, St Gsell, Alger, 1911.

B.A.A. : Bulletin d'Archéologique algérienne, Alger.

B.S.A.S. : Bulletin de la société Archéologique de Sousse.

B.S.G.A.O. : Bulletin de la société de géographie et Archéologie de la Province d'Oran.

H.A.A.N.: Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, St. Gsell, Paris, 1913-18.

L.A.E: Libyca Archéologie Epigraphie.

L.A.P. : Libyca Antropologie- Archéologie Préhistorique.

R.A. : Revue Archéologique, Paris.

R.A.F.: Revue Africaine, Alger.

R.S.A.C. : Recueil des notices et mémoires de la société archéologique Historique et géographique du département de Constantine.

قائمة لشرح أهم المصطلحات المستعملة في البحث:

أعمدة هرقل: مضيق جبل طارق.

التيميلوس: القبور الحجرية ذات الشكل المخروطي.

الحوانيت: القبور المنحوتة في الصخر(غرف).

الدولمن: القبور المنضدية.

الليبيون القدماء: المغاربة القدماء.

النوميديون: المغاربة القدماء.

القاطون: الميناء الحربي المنحوت في الصخر.

فهرس المحتوى

المقدمة..... أ،ب،ج،د،ه

المدخـــــــل:

البيئة الجغرافية والمناخية والتراتب التاريخي لسلسلة موانئ الشرق الجزائري.

أولا- البيئة الجغرافية والمناخية لسلسلة موانئ الشرق الجزائري..... 2
1 - ظاهرة الخلجان..... 3
2 - ظاهرة الروؤس البحرية..... 3
3 - السهول الساحلية..... 6
4 - السلاسل الجبلية التلية..... 7
5 - المناخ 9
6 - الأودية التي تصب في البحر..... 10
7 - الغطاء النباتي..... 12
ثانيا- التراتب التاريخي لسلسلة موانئ الشرق الجزائري..... 13
1- نمط الحياة الاجتماعية للإنسان المغاربي القديم..... 15
أ- حياة التنقل والترحال..... 16
ب- حياة الاستقرار..... 16
2- الكهوف الطبيعية والمغارات..... 17
3- المدافن الحجرية البدائية..... 18
4- امتداد مناطق الدولمن بسواحل الشرق الجزائري..... 19
5- صناعة الفخار..... 20
أ - فخار دولاب الخزاف البسيط..... 22
ب- الفخار النموذجي..... 22

الفصـــــل الأول:

عوامل التوسع الفينيقي وتأسيس المحطات الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

أولا- عوامل التوسع الفينيقي في حوض البحر المتوسط..... 26

1- العوامل السياسية..... 26

2- العوامل الاقتصادية..... 29

3- العوامل الاجتماعية..... 30

ثانيا- نشأة و تطور صناعة السفن و تأسيس المحطات الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط..... 32

1- نشأة وتطور صناعة السفن..... 32

أ-نشأة القوارب..... 32

1- وفرة الثروة الخشبية..... 32

2 - صناعة القوارب..... 33

ب-تطور صناعة السفن..... 36

1- السفن التجارية..... 37

2-السفن الحربية..... 40

2- تأسيس المحطات التجارية..... 42

أ- المحطات التجارية الطبيعية..... 42

ب- المحطات التجارية الاصطناعية..... 43

1- الأحواض..... 43

2- الكاسرات..... 43

3- الأرصفة..... 44

4- قيادة الميناء..... 44

3-نماذج لأهم المحطات الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط..... 44

أ- محطة ليكسوس..... 45

ب- محطة أوتيكا..... 46

ج- محطة تيبازة..... 48
د- محطة قورايا..... 49
هـ-محطة رشقون..... 50

الفصل الثاني:

دور مستوطنة قرطاجة في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

أولا- نشأة مدينة قرطاجة..... 53
1- محتوى أسطورة عليسا وتأسيس المدينة..... 53
2- أوضاع المغرب القديم قبيل تشييد مدينة قرطاجة..... 55
3- دور قرطاجة في العلاقة القرطاجية المغاربية..... 58
ثانيا- التنظيم السياسي القرطاجي..... 61
1- مراحل الحكم السياسي..... 61
أ- المرحلة الأولى..... 61
ب- المرحلة الثانية..... 62
ج- المرحلة الثالثة..... 63
2- وظائف المؤسسات الدستورية القرطاجية..... 63
أ- الملك..... 63
ب- مجلس الشيوخ..... 64
ج- مجلس الشعب..... 64
ثالثا- ميناء قرطاجة والنشاط الاقتصادي القرطاجي..... 65
1- الميناء..... 65
2- النشاط الاقتصادي القرطاجي..... 67
أ- التجارة..... 67
ب- الصناعة..... 70
ج- الزراعة..... 71

رابعا- علاقة قرطاجة بموانئ الحوض الغربي للبحر المتوسط..... 72
1- التوسع القرطاجي..... 72
2-الصراع القرطاجي الإغريقي..... 74
3-الصراع القرطاجي الروماني..... 75

الفصل الثالث:

الموانئ التجارية القديمة الواقعة على ساحل الشرق الجزائري.

أولا- الموانئ المغاربية القديمة..... 81
1- الموانئ الرئيسية..... 81
2- الموانئ الثانوية..... 82
ثانيا- أهم الموانئ التجارية القديمة الواقعة على ساحل الشرق الجزائري... 82
1- مراكز غربي روسيكادا..... 84
أ- محطة روسيكادا- اسطورا..... 84
1-أصل التسمية..... 84
2- موقع المدينة والميناء..... 86
3- النشاط التجاري القديم لميناء روسيكادا- اسطورا..... 88
ب- محطة شولو..... 91
1- أصل التسمية..... 91
2- موقع المدينة والميناء..... 93
3- النشاط التجاري القديم لمحطة شولو..... 93
ج-محطة إيجلجيلي..... 95
1- أصل التسمية..... 95
2- موقع المدينة والميناء..... 96
3- النشاط التجاري بمحطة إيجلجيلي القديمة..... 98
د- محطة صالداي..... 100
1- أصل التسمية..... 100

2- موقع المدينة والميناء..... 100
3- النشاط التجاري القديم لمحطة صالداي..... 102
2- مراكز شرقي روسيكادا..... 105
أ- محطة هيبوريجيوس..... 105
1- أصل التسمية..... 105
2- موقع المدينة والميناء..... 105
3- النشاط التجاري القديم بمحطة هيبوريجيوس..... 107
ثالثا- السكان المحليون الأوائل لسواحل الشرق الجزائري..... 107
1- رأي سالوست عن أصل المغاربة القدماء..... 109
2- علاقة القرطاجيين الأوائل بالمغاربة القدماء..... 110

الفصل الرابع:

نماذج لأهم المصادر المادية المحلية المتواجدة بسلسلة موانئ الشرق الجزائري

- لمحة تاريخية عن المصادر المادية المتعلقة بتاريخ الجزائر القديم... 115
1- نماذج من هيبونة..... 116
أ- الطواحن..... 116
ب- العملة..... 116
ج- نصب القبور النوميدية..... 118
د- نصب القبور الرومانية... 120
هـ- تابوت البستاني..... 120
و- الحمامات الخاصة..... 120
ز- النافورات..... 122
ح- سوق العبيد..... 122
ط- بقايا أثرية أخرى..... 122
2- نماذج من روسيكادا – اسطورا..... 124
أ- الجرار الفخارية..... 124

ب- العملة..... 126
ج- النصب النذرية..... 126
د- صهاريج المياه..... 126
هـ- المسرح الروماني..... 129
و- بقايا أثرية أخرى..... 131
3- نماذج من شولو..... 131
أ- الجرار الفخارية..... 131
ب- الأقداح..... 132
ج- المزهريات الفخارية..... 132
د- المدمعيات..... 134
هـ- المصابيح..... 134
4- نماذج من إيجلجيلي..... 137
أ- المزهريات الفخارية..... 138
ب- المصابيح..... 138
ج- أدوات فخارية مختلفة..... 140
5- نماذج من صالداي..... 140
أ- العملة..... 143
ب- قنينة العطر..... 143
ج- المزهريات الفخارية..... .. 145
د- الجرار الفخارية..... 145
هـ- الأقنعة..... 145
و- رؤوس التماثيل..... 145
ن- الحلي..... 147
الخاتمة..... 149
فهرس المصادر والمراجع العربية والأجنبية المعتمدة في البحث..... 152
فهرس أبجدي لأسماء الأماكن، الأشخاص والآلهة..... 163
فهرس الأشكال والخرائط..... 181

فهرس المحتوى..... 185